التخطيط العسكري عند النبي

صلى الله عليه وعلى آله وسلم

مع الربط الإلكتروني للمواقع الواردة فيه

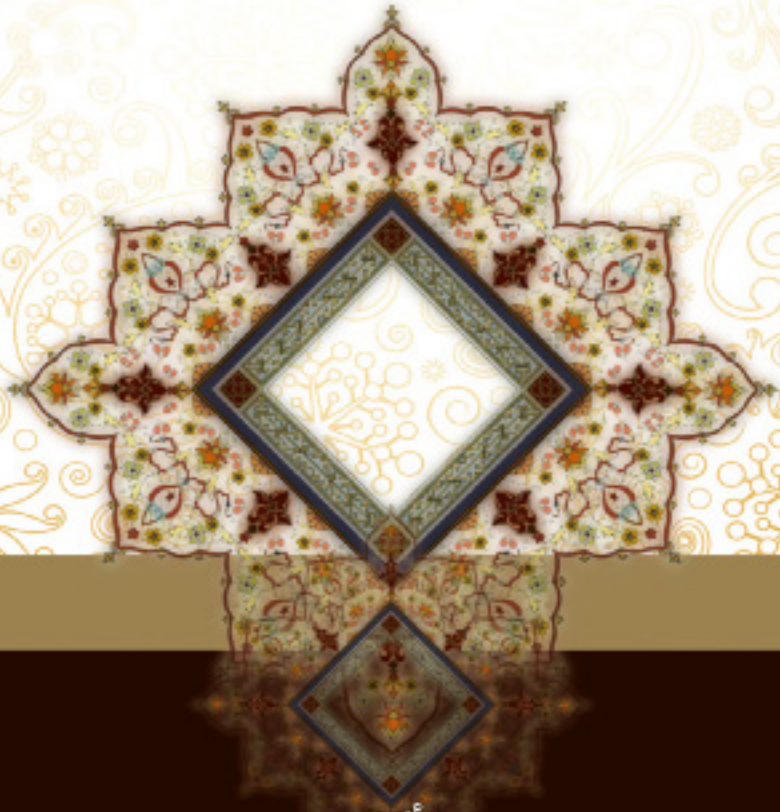

تأليف

الدكتور نزار محمود قاسم الشيخ

دكتوراه تخصص فقه مقارن وباحث في السيرة النبوية

حقوق الطبع والنسخ الألكتروني محفوظة للمؤلف
لا يجوز استنساخ الكتاب أو طباعته أو ترجمته أو جزء منه بأية وسيلة
إلا بإذن خطي من المؤلف.

جوال/ ٩١٦ ١٨١ ٥٠٩ ٩٦٦+
البريد الألكتروني Dr.nezar.alshiekh@gmail.com

التخطيط العسكري عند النبي

صلى الله عليه وعلى آله وسلم

مع الربط الإلكتروني للمواقع الواردة فيه

تأليف

الدكتور نزار محمود قاسم الشيخ

دكتوراه تخصص فقه مقارن

تقديم

أ.د. عبد العزيز بن إبراهيم سليمان العمري

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ * إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٣٨-٤١].

تقديم
أ.د. عبد العزيز بن إبراهيم سليمان العُمري

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

فإنّ الاعتبار والنظر والتأليف في سيرة الرسول ﷺ، وفي فقه هذه السيرة والدروس المستفادة منه لأُمّته ﷺ؛ بدأت في حياته، وستستمر ـ بحول الله وقوّتِه ـ إلى يوم القيامة، وبكثافة، وفي كافة الجوانب المدنية والعسكرية في حياته ﷺ، وقد حظيت بدراسات متعددة، ومن ذلك الجوانب التخطيطية والتنفيذية بما فيها من أهداف ووسائل.

ويأتي كتاب الدكتور نزار الشيخ وعنوانه: «التخطيط العسكري عند النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم مع الربط الإلكتروني للمواقع الواردة فيه» وقد اجتهد د. نزار في استخراج قواعد في التخطيط العسكري الاستراتيجي من خلال سيرة الرسول ﷺ مستشهداً له بما صاحَبَ حياته من أحداث عسكرية مختلفة.

ويأتي هذا الكتاب ليُغطي جوانب في هذا الفنّ؛ وهو التاريخ العسكري وفقهه من حياة وسيرة الرسول ﷺ؛ حيث كان ﷺ يرسم خططاً واضحة يأتي على رأسها تحقيق الأهداف من تلك الأعمال العسكرية التي نفّذها الرسول ﷺ، كما يأتي على رأس ذلك أيضاً الحرص على سلامة جيشه وجنده ﷺ، والانتصار على عدوّه، وتحقيق ما يهدف له ﷺ من تلك الخطط التي وضعها، وغير ذلك من القواعد التي استنتجها الباحث ودرسها بعمق.

والتخطيط في الحقيقة ووضع الرؤى والأهداف من العلوم الرئيسة في القيادة عموماً، وفي القيادة العسكرية خصوصاً، وكلّنا نعلم أنّ أقوى قائد وأرحم قائد شَهِدَته الإنسانية هو رسول الله ﷺ؛ حيث جمع بين الرحمة والقوة، وكان يخطّط لأي تَحرُّك عسكري قبل الانطلاق، ويُغيّر في ذلك حسب الواقع والحاجة، منطلقاً من محدِّدات واضحة وجليّة، وهذا ما يُعالجه الكتاب للباحث الموفّق الدكتور نزار.

وقد تميّز كتاب الدكتور نزار الشيخ بمميزات؛ من أهمها: الاستدلال في تلك القواعد الاستراتيجية بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة.

وكذلك امتاز الكتاب ببساطة أسلوبه، وإمكانية فهمه من مستويات مختلفة.

ويأتي الكتاب استكمالاً لعدّة مؤلفات سبق أنْ خدم بها الدكتور نزار الشيخ سيرة الرسول ﷺ، وخصوصاً مؤلّفاته المتخصّصة في جغرافية سيرة النبي ﷺ، وما يرتبط بأحداثها من أماكن، وها هو يُبدِعُ في جانب من جوانب فقه السيرة، وقد تركّزت تلك المحدِّدات التي تحدَّث عنها الدكتور نزار في إعلاء كلمة الله بالدرجة الأولى، واتّخاذ القوّة المناسبة لرفع راية «لا إله إلا الله» بما يُصاحِبُها من تنظيمٍ لحياة الناس رحمة لكافة العالمين؛ بما فيهم أعداؤه، جامعاً ﷺ بين القوّة والرحمة، مع الاستجابة لأوامر الله سبحانه وتعالى بالعفو والسماحة وحفظ الحقوق، مع رقيّ التعامل مع الإنسان، مع القدرة والقوّة وعدم الضعف أمام الأعداء وحفظ الأرواح، كما كان يَهدف له ﷺ، وكذلك حفظ المال، بل وحفظ البيئة، وهذه قضايا كثيرة يتطرّق لها هذا الكتاب، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يُثيبَه عليه، وأن يكون جزءاً من أعمالٍ متعدِّدة يخدم بها مع غيره سيرةَ المصطفى ﷺ.

بقلم

أ.د. عبد العزيز بن إبراهيم سليمان العُمري

أستاذ السيرة النبوية بجامعة

الإمام محمد بن سعود (سابقاً)

مقدمة

الحمد لله القائل: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ..﴾ [التوبة: ١٢١].

والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل قائد، وخير مجاهد، ما عرف التاريخ فاتحاً أرحم منه، ولا غازياً أَرْأَفَ منه، رسولُ المرحمة ونبيّ الملحمة.

وبعد فلقد بلغت مواقف النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في القيادة العسكرية القمَّة التي لمْ يَرْقَ إليها أحدٌ، فما مِنْ قضية مهمَّة في أمر الحرب إلا وكان رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ سبَّاقاً إلى المعرفة فيها، ورائداً في جميع تفصيلاتها، مع أعلى القِيَم الحضاريَّة والإنسانيَّة.

فالجهاد عنده صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ ليس مقصوداً لذاته، بل لغايات عظمى أعلاها تبليغ دين الله تعالى، ولم يبدأْ صلى الله عليه وعلى آله وسلّم أحداً بالعدوان عليه، بل كان يشرع بقتال عدوِّه إذا علم عزمَه على الاعتداء على الدِّين، أو على بلاد المسلمين، أو منع وصول رسالة الإسلام للعالمين.

فإذا عزم صلى الله عليه وعلى آله وسلم على القتال، خطط لخوض المعركة، فلم يترك صغيرة ولا كبيرة في أمور الحرب إلا وضعها في الحسبان، بل كان صلى الله عليه وعلى آله وسلّم يخطِّط للخسارة في المعركة على احتمال وقوعها، ويضعُ الخطط البديلة في حال تغيُّرِ مُجرَيات الحرب.

هذا والآية السابقة من أعظم الأدلة على وجوب اتباع منهج النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلّم في الجهاد؛ للأمر الوارد فيها بعدم التخلّفِ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن لا يُقَدِّمُوا أنفسَهم على نفسه الشريفة صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

ومَنْ عَبَدَ اللهَ على جهلٍ فكأنَّما عصاه، والجهاد هو كأحدِ الفروضِ على المؤمن؛ يجب عليه أن يتعلّم أحكامه، قبل أن يبدأ الخوض فيه، فقد كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قبل أن يبعث أي واحد في مهمة دعوية أو جهادية يفقّهه في الدِّين، ويأمر الصحابة بتعليمه، كما فعل مع عُمَيْرَ بْنِ وَهْبٍ الْجُمَحِيّ رضي الله عنه لمَّا أسلم وأراد أن يرجع إلى مكة ليدعو قومه لدين الله تعالى، فقالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «فَقِّهُوا أَخاكُمْ في دينِهِ، وأَقْرِئوهُ القُرْآنَ..»[1].

لزوم الطاعة والتزام الجماعة:

لذا جاء الهدي النبويُّ واضحَ المعالم في بيان الجهاد الصحيح منَ السَّقِيم، فكان من أكبر حدوده لزوم الطاعة لولي الأمر في غير معصية الله تعالى ممن وجبت طاعتهم، والتزام الجماعة، بأن يكون تحت راية الدولة المسلمة، والعمل بشرع الله تعالى قدر الاستطاعة، ومن أوضح الأدلة على ذلك قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ..﴾ [النساء: ٥٩].

وروى مسلم عن أبي هُرَيرةَ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أَنَّهُ قال: مَن خرجَ من الطَّاعةِ وفارقَ الجماعةَ فماتَ، ماتَ مِيتةً جاهِلِيَّةً، ومَنْ قاتلَ تحتَ رايةٍ عِمِّيَّةٍ يَغضبُ لِعَصَبةٍ أو يدعو إلى عَصَبةٍ أو يَنْصُرُ عَصَبةً فقُتِلَ فقِتْلَةٌ جاهِلِيَّةٌ، ومَنْ خرجَ على أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّها وفاجِرَها ولا يتحاشى من مُؤْمِنِها، ولا يفي لِذي عَهْدٍ عَهْدَهُ فليسَ مِنِّي ولَستُ منه[2].

---

(١) المعجم الكبير للطبراني ١٧/ ٥٨، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٨/ ٢٨٦.
(٢) صحيح مسلم رقم١٨٤٨.

لأجل ما سبق عمدت إلى جمع مئة قاعدة في منهج النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في التخطيط العسكري، مُتَضَمّنة بعض الآداب النبوية في جهاده صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وقسمتها وفق خمسة منطلقات، ووَسَمت الكتاب بـــ «**التخطيط العسكري عند النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم مع الربط الإلكتروني للمواقع الواردة فيه**».

مميزات هذا البحث عن غيره:

امتاز هذا البحث بمميزات كثيرة بمجموعها لم يسبقني إلى مثلها ممَّن كتب في هذا الموضوع، ومِن أهمها:

١ـ هيكلة القواعد العسكرية عند النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وفق قواعد يَسهل على أيِّ مطالعٍ لها حفظها وفهمها.

٢ـ الاستدلال لتلك القواعد بالقرآن الكريم والسنة المطهّرة والسيرة العطرة.

٣ـ الكثير من هذه القواعد تناولت الجانب الأخلاقي في سيرة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم العسكرية، لكني ذكرتها تحت اسم «قاعدة» للتأكيد على أهميتها، وضرورتها كما لو أنه كان شيئاً ثابتاً ومطَّرِداً.

٤ـ لغة البساطة في الكتابة كي تكون مقدورة الفهم لكلِّ صغير وكبير، ومُثقَّف وغير مُثقَّف.

٥ـ ومن مميزات هذا البحث أني زوَّدتُه **بملحق يحوي الجدول الرقمي التقريبي لغزوات النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وسراياه**، وفيه حولت ما استطعت تحويله من جميع الغزوات والسرايا إلى أرقام، حيث يظهر للمتأمل فيه عظمة هذا النبي الكريم في جميع المعارك التي خاضها ضد أعدائه.

٦ـ ومن جميل هذا البحث أني زوَّدت في آخرِه أيضاً ببعض المصوَّرات لعددٍ من الغزوات التي صارت فيها مواجهة، واقتصرتُ على أخذ الصورةِ من جوجل إرث، ثم الشرح عليها.

٧ـ ومن ميزات هذا البحث ـ ولعلّي لم أُسبَق لمثل هذا ـ التعريفُ بجميع المواقع الجغرافية من مدن أو غيرها مما وردَت في البحث وفق الإحداثيات الجغرافية حسب خطي الطول والعرض، ثم عرض هذا عن طريق (الباركود) (كيو آردريود)، بحيث يستطيع المطالع الوصول لأي موقع عن طريق هاتفه النقّال، بواسطة برنامج Qr Droid.

وهذا هو شكل الباركود.

ومَن أراد الاستزادة في مطالعة المزيد من الصُّوَرِ الواقعية لمواقع الغزوات فعليه مراجعة كتابي «**مصوَّر غزوات النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وطريق الهجرة**».

خطوات عمل (كيو آردريود):

وللوصول إلى الموقع عن طريق هذا الباركود اتبع الخطوات التالية:

١ـ إنزال برنامج قارئ الباركودات من المتجر عن طريق خانة البحث على الهاتف واسمه: Qr Droid

وهذا هو شكل البرنامج

٢ـ تقومُ بفتح البرنامج وتقريب الهاتف إلى أمام الباركود، وبعد قراءة الباركود سينقلك إلى الموقع الجغرافي، بواسطة جوجل ماب.

وبهمسة..

فشخصية النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم العسكرية لا تتحدّد في هذه المئة، بل ما ذكرتُه هو قطرة في بحر المعرفة العسكرية عند النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، لكن هذا هو جهد المُقل، وأرجو من الله القبول لي ولمن قرأ هذا الكتاب، ولمن ساهم بالزيادة عليه.

وقد راعيت في هذه القواعد تسمية القاعدة، مع شرح بسيط عليها، ومن ثَمَّ الاستدلال عليها من القرآن الكريم، ومن كتب السنة المطهرة والسيرة النبوية العطرة، مما وقفتُ عليه ووجدتُه مناسباً.

تنبيه:

ولم ألتزم بالتخريج الكامل للحديث في كتب السّنّة المطهّرة أو السيرة النبوية، بل انتقَيتُ من الروايات ما هو الأكمل والأنسب للمسألة المراد بحثها.

وكذلك لم ألتزم ببيان درجة الرواية من حيث الصحة أو الضعف؛ مع تجنّب الموضوع ـ بل أضعها إن تيسّرت من المرجع الذي أستقي منه الخبر ـ لأن الكتاب لا يُعالِج أحكاماً شرعية، بل يقوم على توجيه الروايات ذات الموضوع الواحد نحو ما يستفاد منها، وهذا مما تساهلَ فيه أهل العلم، حيث أجازوا رواية الضعيف في غير الأحكام مما لم يشتدّ ضعفه ولم يكن موضوعاً، ويبقى العمل بالحديث الضعيف أفضل من العمل بالرأي عند تعذُّرِ الحديث الصحيح، فقد ثبتَ عن الإمام أحمد أنَّه قال: إِذَا رُوِّينا عن رَسولِ الله صَلَّى اللهُ علَيهِ وَسَلَّم في الحَلالِ والحرامِ والسُّنَنِ والأحكامِ تَشَدَّدْنا في الأَسانِيدِ، وإذا رُوِّينا عنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ علَيهِ وَسَلَّم في فَضائِلِ الأَعْمالِ وما لَا يَضَعُ حُكْمًا وَلَا يَرْفَعُهُ تَساهَلْنا فِي الأسانِيدِ[1].

(١) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ص ١٣٤.

فجاء هذا البحث محتويًا على مقدمة وخمسة فصول وهي كالتالي:

المقدمة:

وتناولت في هذه المقدّمة بعض العناوين الهامّة للدخول في صلب البحث، وهي تعريف التخطيط العسكري الاستراتيجي والفرق بين الغزوة والسرية، وأهمية التعرّف على مواقع غزوات النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ثم بيان أقسام الجهاد في التخطيط الاستراتيجي، وختمتُ التمهيد ببيان فضل الجهاد والرباط، وأهمية التعرّف على شخصية النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ العسكرية.

ثم بدأت ببيان منطلقات التخطيط الاستراتيجي في قيادة النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ العسكرية، وهي كالآتي:

الفصل الأول: منطلق التعامل مع غير المسلمين في الحرب.

وهذا الفصل يبيِّن المنهج الحضاري في معاملة غير المسلمين من خلال عشرين منطلقاً وهي:

١ـ الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.

٢ـ البدء بالحوار قبل التحام السِّنان.

٣ـ لغة التأثير في العدوّ.

٤ـ كسب العدوّ بالطرائق الودّية.

٥ـ رعاية أسرى الحرب.

٦ـ وفاء النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لأعدائه.

٧ـ إعلام العدوّ بالحرب عند نقض العهد.

٨ـ العفو والصفح والسماحة مع المغلوب.

٩ـ منع التمثيل بجثث الأعداء أو تعذيب جرحاهم.

١٠ـ حرمة الاعتداء على الأعداء بغير حق.

١١ـ النهي عن قتل غير المقاتلين.

١٢ـ الوفاء بتأمين المحاربين والمُسْتَأْمَنِين.

١٣ـ الاستجابة للسلم، والتمسك بالثوابت.

١٤ـ قبول جوار غير المسلم.

١٥ـ حرمة الغدر بالكافر بعد إعطائه الأمان.

١٦ـ الرفق بالعدو إنْ حصلت النِّكاية بما يردُّه عن كيده.

١٧ـ عرض الإسلام العملي على الأسير.

١٨ـ رعاية حق الرَّحِم.

١٩ـ تعويض الخطأ في دماء المشركين في الحرب.

٢٠ـ حرمة الاعتداء على البيئة في الحرب بغير حق.

الفصل الثاني: منطلق المجلس العسكري.

وهذا الفصل يتحدَّث عن مهام المجلس العسكري من خلال عشرين منطلقاً:

٢١ـ الشورى.

٢٢ـ رسم الخطة الحربية.

٢٣ـ الجمع بين العبقرية العسكرية والسياسة الحربية.

٢٤ـ تعزيز القِيَم الحضارية.

٢٥ـ اختيار القادة.

٢٦ـ لغة المحبة بين القائد وجنده.

٢٧ـ بين المركزية وعدم المركزية في القيادة العسكرية.

٢٨ـ صلاحية ولي الأمر في الأسرى.

٢٩ـ السمو الأخلاقي مع الجند.

٣٠ـ العناية بأُسرِ الشهداء.

٣١ـ رعاية الحالة النفسية عند الجنود.

٣٢ـ المكافأة المادية للجند.

٣٣ـ المكافأة المعنوية للجند.

٣٤ـ وجوب طاعة القائد.

٣٥ـ تعويض الحقوق المعنوية للجند.

٣٦ـ الاهتمام بفكّ أسرى المسلمين.

٣٧ـ التربية البدنية للجنود.

٣٨ـ تأمين رسل العدو.

٣٩ـ الموازنة بين المرونة والحزم.

٤٠ـ العدل بين جند المسلمين.

الفصل الثالث: منطلق التربية الأخلاقية في الحرب.

وهذا الفصل هو الأساس في كل ما تقدَّم وما تَأَخَّر من أمور الحرب، وبيانه في خمسة عشر منطلقاً وهي:

٤١ـ تحديد المنطلق إلى الله تعالى.

٤٢ـ التعبئة الإيمانية.

٤٣ـ شجاعة القائد وأثرها في توجيه الجند.

٤٤ـ استنهاض الهمم وجمع الشمل.

٤٥ـ الانتصار على الهزيمة وتحريم الفرار.

٤٦ـ تعزيز الولاء للدِّين وسرعة حلّ الخلافات الداخلية.

٤٧ـ التربية الروحية والأخلاقية للجنود.

٤٨ـ جهاد النساء والكهول والصبيان.

٤٩ـ التماس الرُّخَص.

٥٠ـ الصبر.

٥١ـ التحري في دماء المسلمين عند اختلاطهم بأهل الكفر.

٥٢ـ الخطأ في دماء المسلمين في الحرب.

٥٣ـ الإخلاص لله تعالى.

٥٤ـ الشكر لله تعالى واليقين بنصره.

٥٥ـ معالجة حالات الضعف في الجُنْد.

الفصل الرابع: منطلق الاستعداد العسكري.

وهي القواعد الأساس قُبيل البدء بأي عمل عسكري، وبيانه في عشرين منطلقاً، وهي كالتالي:

٥٦ـ الإعداد المادي الشامل.

٥٧ـ المبادرة بغزو العدو إن همَّ بالحرب.

٥٨ـ التخذيل بين الأعداء.

٥٩ـ التجسس على الأعداء.

٦٠ـ أفضل الجهات في الحرب.

٦١ـ المعرفة التامة بعتاد العدو وعُدَّته ومكانه.

٦٢ـ استغلال الظروف الجوية.

٦٣ـ السرية التامة في التخطيط العسكري.

٦٤ـ تحضير فِرَقِ الإنقاذ والفرق الطبية.

٦٥ـ تأمين الجبهات الداخلية.

٦٦ـ هيكلة الجيش.

٦٧ـ تحصين الجند.

٦٨ـ اختبار كفاءة الجند.

٦٩ـ تفقّد الموارد الطبيعية.

٧٠ـ تحسّس الأحوال الجوية والاستعداد لكوارثها.

٧١ـ اتخاذ المُساندين في أرض المشركين.

٧٢ـ لزوم تضافر جميع أنواع الجهاد.

٧٣ـ العدد الأكمل في تعداد الجيش.

٧٤ـ تعليم الجند الفنون الحربية.

٧٥ـ تصنيع الأجهزة الحربية وإتقان صناعتها.

٧٦ـ الدعاية الحربية.

٧٧ـ الإعلام الحربي.

٧٨ـ رفع الكفاءة الحربية.

٧٩ـ استراتيجية الإنفاق في المؤسسة العسكرية.

٨٠ـ تعريب الأجهزة الحربية والاستقلال الحربي بجميع أشكاله.

٨١ـ تضافر العلوم الكونية مع العلوم العسكرية.

٨٢ـ استراتيجية الاستثمار في المؤسسة العسكرية، والمحافظة على أموالها.

٨٣ـ تعلم العلوم الشرعية، والحفاظ على الكفاءات العلمية.

٨٤ـ دعم المؤسسة العَسْكَرِيَّة بالعلوم النفسية.

٨٥ـ حماية الحدود وتحصينها.

الفصل الخامس: منطلق الخطط العسكرية.

وهي القواعد الأساسية للإدارة الميدانية لأي معركة، وهي:

٨٦ـ الجاهزية القتالية.

٨٧ـ التورية المكانية.

٨٨ـ اختيار المواقيت الزمانية.

٨٩ـ اختيار المواقع الاستراتيجية.

٩٠ـ استخدام عنصري المفاجأة والمداهمة في الحرب.

٩١ـ قطع الإمداد عن الأعداء.

٩٢ـ حرب العصابات في أرض الأعداء.

٩٣ـ الترشيد في استخدام الأسلحة.

٩٤ـ السياسة الحربية في إدخال الرهبة والخوف في قلب العدو.

٩٥ـ تجنب المواجهة القتالية.

٩٦ـ مواجهة المواقف الصعبة بالتدابير المناسبة لها.

٩٧ـ نقل الحرب إلى أرض العدو.

٩٨ـ تبييت الغارات.

٩٩ـ المراسلات في المهمات العسكرية.

١٠٠ـ توحيد صفوف المسلمين.

الفصل السادس: التخطيط العسكري المستقبلي.

الخاتمة: وفيها أهم ما يؤخذ من البحث وعن وجوب اتباع شخصية النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في القيادة العسكرية.

تنبيه: في صيغة الصلاة على الحبيب الأعظم صلى الله عليه وعلى آله وسلم:

إنَّ العُرف الذي درج عليه أكثر المؤلفين هو ذكر الصلاة على النبي صلى الله عليه

وعلى آله وسلم دون ذكر الصلاة على الآل، فأحببت ذكر الصلاة على الآل لوصية الله تعالى ووصية رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بهم، سواء أكان تفسير مفهوم الآل حسب المعنى الخاص؛ وهم قرابة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أم حسب المفهوم العام، وهو أن كل تقي من آل بيته صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

فاجعل النية أخي الكريم تشمل الأمرَين، فلعلّه أبلغ في الأجر والله أعلم.

وأضفت أيضاً حرف «على» قبل الآل، فهي من الناحية البلاغية أعلى بلاغةً، فمع وجودها تصبح الصلاة عليهم مُبْتَدَأَة، وكأنك أفردتهم بالصلاة عليهم، وهذا أبلغ في كمال حقِّهم.

وأخيراً إن الأَوْلى عند ذكر الصلاة على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن تكون مكتوبة على السطر دون ترتيبها بهذا الشكل ﷺ؛ ولا تليق الإشارة إليها برمز (ص)، تعظيماً لحق النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم علينا، وليقف قلب القارئ عندها، ويردّدها بلسان فمه وحال قلبه، حتى يأخذ كمال الأجر في الصلاة على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

فحقيقة الصلاة على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم هي أنك تصلي على النبي بصلاة الله عليه، وتطلب من الله تعالى أن يصلّي ويسلّم على هذا النبي العظيم بأن يعطيه الله جميع الكمالات من رحمات ومقامات وتجليات ومِنَحٍ ربَّانيَّة ليس لها حدٌّ ولا انقطاعٌ، ولا يعلم بمقدارها إلا الله تعالى.

فإذا صلَّيت على هذا النبي الكريم تَشَرَّفْت في الدخول في حزب الله وملائكته الذين يصلون عليه؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

فقد روى الطبراني وغيره بإسناد حسن عن حَبّانَ بنِ مُنْقِذٍ الأنصاري رضي الله عنه أَنَّ رَجلًا[١] قال: يا رسولَ الله أَجْعَلُ ثُلُثَ صَلاتي عليكَ؟ [٢]

قال: نعمْ إِنْ شِئْتَ.

قال: الثُّلُثَينِ؟

قال: نعمْ.

قال: فصلاتي كُلَّها؟

قال رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: إذنْ يَكفيكَ اللهُ ما أَهمَّكَ مِنْ أَمرِ دُنْياكَ وآخِرتِكَ[٣].

وختاماً أرجو من الله عزّ وجلّ أن يكتب لهذا البحث القبول عنده وعند خلقه، وأن تكون هذه الرسالة منارة يهتدي بها المسلمون كلهم، وخاصة المجاهدون في جهادهم، والقادة في إدارتهم، والمفكّرون في تفكيرهم، والمسلمون في تعامُلِهم مع إخوانهم ومع خصومهم.

والله ولي التوفيق.

وكتبه

د. نزار قاسم محمود الشيخ

dr.nezar.alshiekh@gmail.com

nezar.alshiekh@gmail.com

---

(١) الرجل هو الصحابي أُبي بن كعب رضي الله عنه، كما في سنن الترمذي رقم ٢٤٥٧.

(٢) أي يجعل الثلث من الوقت غير الوقت المشغول بالفرائض، ومما تمسّ له الحاجة كالنوم.

(٣) المعجم الكبير للطبراني رقم٣٥٧٤.

تمهيد

- تعريف التخطيط الاستراتيجي والفرق بين الغزوة والسرية.
- أهمية التعرُّف على مواقع الغزوات وأزمِنَتِها في التخطيط الاستراتيجي.
- أقسام الجهاد في سبيل الله في التخطيط الاستراتيجي.
- فضل الجهاد والرباط وفضل الشهادة في سبيل الله.
- البعد الروحيّ في التعرّف على شخصية النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ العسكرية.

❊ ❊ ❊

تعريف التخطيط الاستراتيجي العسكري والفرق بين الغزوة والسرية

إنَّ مصطلح الاستراتيجية يُعدُّ من المصطلحات القديمة المأخوذ من الكلمة الإغريقية Strato، وتعني: الجيش أو الحشود العسكرية، ومن تلك الكلمة اشتقَّت اليونانية القديمة مصطلح Strategos وتعني: فنّ إدارة الحروب وقيادتها.

فالاستراتيجية تعني: أصول القيادة الذي لا اعوجاج فيه، فهي تخطيط عالي المستوى، ومن ذلك الاستراتيجية العسكرية أو السياسية التي تضمن للإنسان تحقيق الأهداف؛ من خلال استخدامه وسائل معينة، ثم استعملت هذه الكلمة في المجالات المتعددة في شتى شؤون الحياة العامة.

فأصل الكلمة يعود إلى التعبير العسكري، ولكنها الآن تستخدم بكثرة في سياقات مختلفة مثل استراتيجيات العمل، واستراتيجيات التسويق والتصنيع..، فلذا تُعَرَّفُ الاستراتيجية حسب ما يقترن بها من إضافات.

ويصير معنى التخطيط الاستراتيجي العسكري: **فنّ وضع خُطط الحرب والعِلمِ بها، وإدارة العمليَّات الحربيَّة**[1].

وإنَّ الناظر في القيادة الاستراتيجية العسكرية لدى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم؛ ليرى شمولية التخطيط الحربي عنده من حيث الابتداء بالحرب؛

---

(١) يراجع ويكيبيديا مصطلح استراتيجية.

فهو حسب مواءمة الزمان والمكان، وحسب ملاءمة المقُاتِلين والمقُاتَلين، ومن حيث الانتهاء؛ فهو حسب وضع الأهداف والوصول إليها.

والفرق بين الغزوة والسرية: أنه كلُّ عسكرٍ حضره النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بنفسه يسمى غزوةً، وما لم يحضره بل أرسل بعضاً من أصحابه إلى العدو يُسمى سَريَّة أو بعثاً.

أهمية التعرُّف على مواقع الغزوات وأزمنتها في التخطيط الاستراتيجي:

إن التَّعَرُّفَ على أماكِنِ غَزَواتِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ وأزمنتها حَسْبَ المعْطَياتِ الجُغْرافيَّةِ اليَومَ، لمِنْ أهَمِّ الوَسائِلِ المُفيدَةِ في التَّعَرُّفِ على شَخْصيَّةِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ العَسْكَريَّةِ، فإذا عرفت التخطيط العسكري الذي عمله النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ حسب الزمان والمكان اللَّذَيْنِ قاتل فيهما، تعرَّفت على أسباب النصر التي أعدّها النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في تلك المواقع حتى حصل على تلك النتائج.

ومن أساليب التعرُّف على مواقع الغزوات معرفة الجبال والوديان والآبار التي مرَّ بها النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أو المساجد التي بناها النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في تلك الأماكن وصلَّى فيها، فهي شواهد على وُصولِ النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ إلى تلك الأماكن.

وقد ارتبطت كثير من المساجد بأماكن الغزوات، فقد كان من أعمال النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في غزواته أنه إذا انتهى إلى مكانٍ وعَسْكَرَ فيه جعل له مصلى لصلاة الجماعة فيه، كما فعل النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ

وسلَّمَ في خيبر(١)، وللنبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ بين تبوك والمدينة مساجدُ كثيرة نحو ستة عشر مسجداً، أولها في تبوك(٢) وآخرها بذي خُشُب(٣)، قد صلى في موضعها، ثم بنيت مساجد عليها.

لذا اهتم بعض السَّلَفِ الصّالِحِ مِنَ الصَّحابَةِ وغيرِهِم في تَتَبُّعِ المواضع التي صلى فيها النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في غزواته وأسفاره فصلّوا فيها، كما فعلَ ابنُ عُمرَ رضيَ اللهُ عنهما، فقد روى البخاري رحمه الله بسنده ـ في باب المساجدِ التي على طُرُقِ المدينةِ والمواضِعِ التي صلى فيها النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ ـ إلى موسى بن عُقْبَةَ أنه قال: رأيتُ سَالِمَ بن عبد الله(٤) يتحرَّى أماكنَ من الطَّرِيقِ فَيُصَلِّي فيها، ويُحدِّثُ أَنَّ أَباهُ كان يُصَلِّي فيها، وَأَنَّهُ رأى النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يُصَلِّي في تلكَ الْأَمْكِنَةِ(٥).

---

(١) السيرة الحلبية ٢/ ٧٣١.

وخيبر: مدينة على بعد ١٥٠كم شمال المدينة المنورة على طريق تبوك.

الإحداثيات: "٣٩°١٦'٤,٨٦ ٢٥°٤٣'٤٩,٢٩"

(٢) ويسمى المسجد في تبوك بمسجد التوبة أو مسجد الرسول، وقد صلى فيه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أثناء إقامته في تبوك، وهي مدينة تبعد عن المدينة المنورة ٧٧٨كم.

الإحداثيات: "٣٦°٣٣'٢٣,٥٥ ٢٨°٢٢'٥٨,٧٦"

(٣) الدرر في اختصار المغازي والسير تأليف ابن عبد البر١/ ٢٤٢.

و«ذي خُشُب» هي المندسة على طريق المدينة المنورة/ تبوك نحو ٣٥كم عن المدينة.

الإحداثيات للمنطقة: "٣٩°٢١'٣٣,٩١ ٢٤°٣٥'٢٧,١٧"

(٤) ابن عمر رضي الله عنهما.

(٥) صحيح البخاري رقم ٤٨٢.

وكان عدد غزوات الرسول صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ التي غزاها بنفسه الكريمة سبعاً وعشرين غزوة، قاتل في تسع غزوات منها:

بدر[١]، وأحد[٢]، والخندق[٣]، وقريظة[٤]، وبني المصطلق[٥]، وخيبر[٦]، وفتح مكة[٧]، وحنين[٨] والطائف[٩].

ومنذ أن أُمر النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ بالجهاد في آخر السنة

(١) الإحداثيات: "٣١,٢٨ ٣٨°٤٧' ٤٦,٢٠ ٢٣°٤٦'"

(٢)الإحداثيات: "٤١,٧٥ ٣٩°٣٦' ١٣,٤١ ٤°٣٠'"

(٣) أول الخندق عند أطمي الشيخين: "٤١,٤٤ ٣٩°٣٦' ٦٢,١٣ ٢٤°٢٩'"

آخر الخندق عند أطم المزاد: "٥١,٣٢ ٣٩°٣٥' ٢١,٢٢ ٢٤°٢٨'"

(٤) الإحداثيات: "٧٤,١٤ ٣٩°٣٨' ٣٧,٤٤ ٢٤°٢٦'"

(٥) الإحداثيات: "٤٠,١٠ ٣٩°٣٩' ٧٤,٣٢ ٢٢°٣٣'"

(٦) الإحداثيات: : "٨٦,٤ ٣٩°١٦' ٢٩,٤٩ ٢٥°٤٣'"

(٧) الإحداثيات: "٥٧,١٧ ٣٩°٥٠' ٥٤,٣١ ٢١°٢٦'"

(٨) الإحداثيات: "٩٧,٤ ٠° ٤٠' ٧,٧٥ ٢١°٣٤'"

(٩) الإحداثيات: "٩١,١١ ٤٠°٢٣' ٩٧,٢٣ ٢١°١٥'"

الأولى للهجرة لم يتركه إلى آخر لحظةٍ من عمره المبارك، فلا تمرّ بضعة شهور إلا وللنبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ فيها غزوة أو سرية[١].

ولما كان العمل العسكري هو أحد أقسام الجهاد، وهناك أقسام أخرى تجتمع كلّها لِتُكوِّن الأساس الأول للتخطيط العسكري؛ لَزِمَ بيانها على وجه الاختصار.

أقسام الجهاد في سبيل الله في التخطيط الاستراتيجي:

مما لا خلاف فيه بين أهل العلم أن الجهاد فُرِضَ في المدينة المنورة، وأنه لم يُبِحِ الله تعالى للمسلمين القتال في الفترة المكية الدعويَّة، بل كانوا مأمورين بالصبر والعفو والصفح، وجهاد النفس، وجهاد الدعوة، بالقرآن والحجة والبرهان، وذلك لأمور عدّة؛ ومنها قلّة عددهم، ومن أجل تهيئةِ نفوسِهم بالإيمان الراسخ[٢].

لكن وردت ثلاث آيات في القرآن المكيّ ذُكِرَ فيها «الجهاد» والمعنى فيها منصرف إلى غير القتالِ بالسيف، قال الله تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٦]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

فورود الجهاد في القرآن المكيّ يؤكِّد أمرَين اثنين؛ الأول: وجوب تزكية النفس والاستعداد للجهاد، والثاني: أنَّ أنواع الجهاد الأخرى ـ كما سيأتي

---

(١) سمى العلماء العمل العسكري الذي خرج فيه النبي صلى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلمَ بنفسه غزوة، سواء حارب فيه أو لم يحارب، وما أَخرج فيه أحد قادته دون أن يخرج هو صلى الله عليه وعلى آله وسلم سُمِّي سَرِيَّة.

(٢) يراجع تفسير ابن كثير ٢/ ٣٥٩.

ذكرها ـ لا تقلُّ أهمية في لزوم الاعتناء بها عن جهاد القتال.

لذا كان المعيار الحقيقيّ للنصر في الجهاد في جميع ميادينه العسكرية؛ هو بامتثال أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه، مع التوكّل على الله تعالى حقّ التوكُّل في الأخذ بأسباب النصر؛ لقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٧]، ولقول الله تعالى: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

وعلى هذا دأب الصحابة رضوان الله تعالى عليهم في الأخذ بأسباب النصر قدْرَ ما يستطيعونه، والباقي يتكفَّل الله تعالى به، ومن شواهد ذلك ما رواه الإمام أحمد رحمه الله عن عِياض الأَشْعَرِي، قال: شَهِدْتُ اليَرمُوكَ[1]، وعلينا خمسةُ أُمَراءَ: أبو عُبَيدةَ بنُ الجَرَّاحِ، ويزيدُ بنُ أبي سُفْيانَ، وابنُ حَسَنَةَ، وخالِدُ بنُ الوَليدِ، وعِياضٌ.

قال: وقال عُمرُ: إذا كانَ قتالٌ فعليكم أَبو عُبَيدةَ.

قال: فكتبنا إليهِ، إنَّهُ قَدْ جَاشَ[2] إلينا الموتُ، واستمدَدْناهُ[3].

---

(١) معركة اليرموك وقعت عام ١٥هـ ـ ٦٣٦م بين المسلمين والروم (الإمبراطورية البيزنطية) في شمال الأردن قرب نهر اليرموك في محافظة إربد، عند بلدة سحم الكفارات.
الإحداثيات: "٣٢°٤١'٤٦,٧٠"٣٥°٤٦'٣٤,٦١

(٢) أي تدفَّق.
(٣) أي طلبنا منه أن يمدَّنا بمزيد من الجنود.

فكتبَ إلينا: إنَّهُ قد جاءَني كتابُكمْ تَسْتَمِدُّونِي، وإنِّي أدُلُّكم على منْ هو أَعَزُّ نَصْرًا وَأَحْضَرُ جُنْدًا: اللهُ عزَّ وجَلَّ، فاسْتَنْصِرُوهُ، فإنَّ محمَّدًا صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ قد نُصِرَ يومَ بدْرٍ في أقلَّ مِنْ عِدَّتِكُمْ، فإذا أتاكُمْ كتابي هذا فقاتِلُوهُمْ، ولا تُراجِعوني.

قال: فقاتلْناهُمْ فهزمْناهُمْ[1].

هذا، وإنّ من أكبر طامّات الفكر الجهاديّ لدى بعض الشباب هو قصر الجهاد على جهاد القتال والجهل بأحكامه، مع أن أصناف الجهاد في القرآن جاءت متساوية في وجوب الأخذ بها، وإليك بيان أقسام الجهاد في التخطيط الاستراتيجي:

١ـ جهاد العلم: ويكون بتعلُّمِنا وتعليمنا الأحكام الشرعية خاصة، وغيرها من العلوم الكونية، كالطبِّ والفيزياء والرياضيات؛ وهذه على الكفاية، ولا تخفى أهميتها على بصير في التخطيط الاستراتيجي العسكري؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

ومن هذا القبيل الجهاد بالقرآن الكريم، ويكون بتعلُّم القرآن الكريم وتعليمه، قال الله تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢][2].

ومن جهاد العلم هنا المعرفة بمشروعية الجهاد وأحكامه، ومعرفة الراية

---

(١) مسند الإمام أحمد ٣٢٦.

(٢) تفسير الطبري ١٨/ ١٥.

التي يُجاهد تحتها، وكيفية إخلاص النية لله تعالى في الجهاد، وإلا كان جهادُه وَبالاً عليه؛ لما رواه مسلم وغيره عن أبي هُرَيْرةَ رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسولَ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يقول: «**إن أَوَّلَ الناس يُقْضَى فيه يوم القِيامةِ ثلاثةٌ؛ رَجلٌ اسْتُشْهِدَ فأُتي به، فعَرَّفهُ نِعَمَهُ فعَرَفَها، فقال: وما عَمِلْتَ فيها؟ قال: قاتَلْتُ فيكَ حتى قُتِلْتُ.**

قال: كذبتَ، ولكنَّكَ قاتَلْتَ لِيُقالَ هو جريء فقدْ قِيلَ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فيُسْحَبُ على وَجْهِهِ حتى أُلْقِيَ في النَّارِ..»[(١)].

٢ـ جهاد اللسان: ويأتي في الدرجة الثانية بعد أن نتعلَّم العلوم الشرعية، والأحكام المُخْتَلَف فيها؛ وذلك بأن نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، مع مراعاة الخلاف في المذاهب الفقهية، أو بالدعوة إلى الإسلام وشرائعه، أو بإقامة الحجّة على الباطل، أو ببيان الحقّ وإزالة الشبهات، أو بتحريض المؤمنين على القتال، أو الدعاء لهم..؛ قال الله تعالى: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا﴾ [النساء: ٨٤]، ولما رواه أبو داود وغيره رحمه الله تعالى عن أنسٍ رضي الله عنه، أن رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ قال: «جَاهدُوا المشركينَ بأموالِكم وأنفسِكُمْ وألسنتِكم»[(٢)].

ومن أنواع الجهاد العمل الإعلاميّ والدعائيّ؛ بمثلِ ما سبق في صفحات

---

(١) صحيح مسلم رقم ٥٠٣٢.

(٢) سنن أبي داود رقم ٢٥٠٤، وسنن النسائي الكبرى رقم ٤٣٠٤، وأخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ٢/ ٨١.

التواصل الاجتماعيّ والمرئيّ والمنتديات وصفحات الإنترنت وغيرها؛ لما روى مسلم رحمه الله عن عائِشةَ رضي الله عنها أَنَّ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آله وسَلَّمَ قالَ: «اهْجوا قُرَيْشًا، فإنَّهُ أَشَدُّ عليها مِنْ رَشْقٍ بِالنَّبْلِ، فأرسلَ إلى ابْنِ رَواحةَ فقالَ: اهْجُهُمْ فهجاهُمْ فلمْ يُرْضِ، فأرسلَ إلى كعبِ بنِ مالكٍ، ثُمَّ أرسلَ إلى حسَّانَ بنِ ثابتٍ، فلمَّا دخلَ عليهِ، قال حسَّانُ: قدْ آنَ لَكُمْ أَنْ تُرْسِلوا إلى هذا الأسدِ الضَّارِبِ بِذَنَبِهِ، ثُمَّ أَدْلَعَ لسانَهُ فجعلَ يُحرِّكُهُ، فقالَ: والَّذِي بعثَكَ بالحَقِّ لأَفْرِيَنَّهُمْ بلساني فَرْيَ الأَديمِ.

فقالَ رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: لا تَعْجَلْ، فإنَّ أبا بكرٍ أعلَمُ قُرَيْشٍ بأنْسابِها، وإنَّ لي فيهم نسَبًا، حتَّى يُلَخِّصَ لكَ نسَبي فأتاهُ حسَّانُ.

ثُمَّ رَجَعَ فقالَ: يا رسولَ الله! قَدْ لَخَّصَ لي نسَبَكَ، والَّذِي بعَثَكَ بالحَقِّ لأَسُلَّنَّكَ منهُم كما تُسَلُّ الشَّعْرَةُ مِنَ العَجينِ.

قالتْ عائشةُ: فسمعْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، يقولُ لحسَّانَ: إنَّ رُوحَ القُدُسِ لا يَزالُ يُؤَيِّدُكَ، ما نافحتَ عَنِ الله ورسولِهِ.

وقالتْ: سمعْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقولُ: هجاهُمْ حَسَّانُ فَشَفَى واشْتَفَى.

قَالَ حَسَّانُ:

هَجَـوْتَ مُحَمَّدًا فَأَجَبْـتُ عَنْهُ وَعِنْـدَ الله فـي ذاكَ الجَـزاءُ
هَجَـوْتَ مُحَمَّدًا بَـرًّا حَنِيفًا رَسُـولَ الله شِـيمَتُـهُ الوَفـاءُ
فـإنَّ أَبِي ووالِـدَهُ وَعِرْضِي لِعِرْضِ مُحَمَّـدٍ مِنْكُمْ وِقـاءُ

ثَكِلْتُ بُنَيَّتِي إِنْ لَمْ تَرَوْهَا ... تُثِيرُ النَّقْعَ مِنْ موعدُها كَدَاءُ
يُبَارِينَ الأَعِنَّةَ مُصْعِدَاتٍ ... على أَكْتافِها الأَسَلُ الظِّمَاءُ
تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطِّرَاتٍ ... تُلَطِّمُهُنَّ بِالْخُمُرِ النِّسَاءُ
فإِنْ أَعْرَضْتُمُو عَنَّا اعْتَمَرْنَا ... وكانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ
وإِلَّا فَاصْبِرُوا لِضِرابِ يومٍ ... يُعِزُّ اللهُ فيهِ مَنْ يَشاءُ
وقالَ اللهُ: قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا ... يَقُولُ الحَقَّ لَيْسَ بِهِ خَفاءُ
وقالَ اللهُ: قَدْ يَسَّرْتُ جُنْدًا ... هُمُ الأَنْصَارُ عُرْضَتُهَا اللِّقَاءُ
لَنَا في كُلِّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدٍّ ... سِبابٌ أَوْ قِتَالٌ أَو هِجاءُ
فمَنْ يَهْجُو رسولَ الله مِنْكُمْ ... وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ
وجِبْرِيلٌ رسولُ الله فينا ... وَرُوحُ القُدسِ لَيْسَ لَهُ كِفاءُ[1]

٣ـ جهاد القلب والنفس: بأن نجاهد الشيطان والنفس عن الشهوات المحرّمة، ونجاهد أنفسنا بالصبر على الطاعات، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

---

(١) صحيح مسلم رقم٦٤٧٨.
الأسل: الرماح، الظماء: الرقاق العطشى لدماء الأعداء، الأعنّة: جمع عنان؛ وهو سير اللجام الذي تُمسِك به الدابة؛ والمقصود: الخيل، أفري: أمزّق أعراضهم بالهجاء كما يمزّق الجلد، النَّقع: الغبار.
وقال في نهاية الأرب في فنون الأدب (١/ ٣٤٥): قال حسان في أبي سفيان بن الحارث قبل إسلامه:

أبوك أبٌ حرٌ وأمّك حرةٌ ... وقد يلدُ الحرانِ غيرَ نجيب
فلا تعجبن الناس منك ومنهما ... فما خبثٌ من فضةٍ بعجيب

وقال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩- ١٠].

وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٧].

وروى الترمذيّ رحمه الله تعالى وغيره عن فُضَالَةَ بنِ عُبيْدٍ رضي الله عنه.. أنه قال: سَمِعْتُ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يقول: «المُجاهِدُ مَنْ جاهَدَ نَفْسَهُ»(١).

وجهادُ النفس على أربع مراتب: أُولَاها حمْلُها على تعلُّم أمور الدِّين، ثم حملها على العمل بذلك، ثم حملها على تعليم مَنْ لا يعلم من أهل الإسلام وحضِّهم على التمسّك بالدِّين، ثم دعوة غير المسلمين إلى الإسلام في حقّ مَنْ لمْ يُسلم.

٤ـ جهاد اليد: ويتجلّى بإنفاق الأموال في سبيل الله تعالى أولاً، وبزجر أهل المنكر ثانياً، على حسب استطاعة المسلم في كليهما؛ لقول الله تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١].

ولما رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: سَمِعْتُ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يقولُ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسانِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فبقَلبِهِ، وذلكَ أَضْعَفُ الإيمانِ»(٢).

---

(١) سنن الترمذي رقم: ١٦٢١، وقال أبو عيسى: «..حديثُ فُضَالَةَ حديثٌ حسنٌ صحيحٌ».
(٢) صحيح مسلم رقم٨٦.

ولما رواه الشيخان عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله تعالى عنه أَنَّ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ قال: «الخَيْلُ لِثَلاثةٍ: لِرَجُلٍ أَجْرٌ، ولِرَجُلٍ سِتْرٌ، وعلى رَجُلٍ وِزْرٌ؛ فأَمَّا الَّذي لَهُ أَجْرٌ؛ فرَجُلٌ ربَطَها في سَبيلِ الله فأطالَ في مَرْجٍ أَوْ رَوْضَةٍ، فَما أصابَتْ في طِيَلِها ذَلكَ مِنَ المَرْجِ أو الرَّوْضَةِ كانَتْ لَهُ حَسَناتٍ، ولَوْ أَنَّها قَطَعَتْ طِيَلَها فاسْتَنَّت شَرَفاً أَوْ شَرَفَينِ، كانَتْ أَرْواثُها وآثَارُهَا حَسَناتٍ لَهُ، ولَوْ أَنَّها مَرَّتْ بِنَهْرٍ فشَربَتْ مِنْهُ، ولمْ يُرِدْ أَنْ يَسْقِيَها، كانَ ذَلكَ حَسناتٍ لَهُ، فَهِيَ لِذَلكَ أَجْرٌ، وَرَجُلٌ رَبَطَها تَغَنِّيًا وَتَعَفُّفًا، ثُمَّ لَمْ يَنْسَ حَقَّ الله في رِقَابِها، ولا ظُهُورِها، فَهِيَ لِذَلكَ سِتْرٌ، وَرَجُلٌ رَبَطَها فَخْرًا ورِياءً ونِواءً لأَهْلِ الإِسلامِ، فَهِيَ على ذَلكَ وِزْرٌ.

وَسُئِلَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عنِ الحُمُرِ، فقالَ: «مَا أُنْزِلَ عليَّ فِيها شَيءٌ إِلَّا هَذِهِ الآيةُ الجامِعةُ الفاذَّةُ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧- ٨][1].

٥ـ جهاد القتال: أن نقاتل المشركين بالسلاح من أجل الإسلام؛ دفاعاً عنه، أو نقاتل مَن وقف في طريق دعوته؛ حتى يُسلم الكفار أو يسالموا؛ لقوله تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١].

---

(١) صحيح البخاري رقم ٧٣٥٦، وصحيح مسلم رقم ٩٨٧.
قوله: «في مرج أو روضة» المرج: الأرض الواسعة ذات نبات كثير تمرج فيها الدواب، أي تخلّى تسرح مختلطة كيف شاءت، والروضة: الموضع الذي يستنقع فيه الماء، قوله: «طِيَلها» هو الحبل الذي تُربط به ويطول لها لترعى، قوله: «فاستنّت» من الاستنان؛ وهو العدْوُ، و«الشَّرَف» الشوط. عمدة القاري ١٤/ ١٥١، والنهاية لابن الأثير ٤/ ٣١٥.

وروى الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أُمِرْتُ أَنْ أُقاتِلَ الناسَ حتى يشهدوا أن لا إلهَ إلا اللهُ وأَنَّ محمدًا رسولُ الله، ويُقِيمُوا الصَّلاةَ، ويُؤْتُوا الزكاةَ، فإن فَعَلُوا عَصَمُوا دِماءَهُم وأَمْوالَهُمْ إلا بِحَقِّها وحِسابُهُمْ على الله»(١).

ولما رواه أبو داود وابن ماجه رحمهما الله تعالى ـ بإسناد حسن ـ عَنْ أَبي أُمامةَ رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: «مَنْ لَمْ يَغْزُ، أَوْ يُجَهِّزْ غازِياً، أَوْ يخلُفْ غازِياً في أَهْلِهِ بِخَيْرٍ، أَصَابَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى بِقَارِعةٍ قبلَ يومِ الْقِيامة»(٢).

٦ـ **جهاد الرباط**: الرباط هو قسيم جهاد القتال، إذْ كلُّ مرابطٍ مجاهدٌ، وليس العكس.

وقد أمر الله تعالى به في قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

ومن الأدلة على فضل الرباط ما رواه الطبراني رحمه الله تعالى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: قال رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: «أولُ هذا الأمرِ نبوةٌ ورحمةٌ، ثم يكونُ خلافةً ورحمةً، ثم يكونُ مُلكاً ورحمةً، ثم يكونُ إمارةً ورحمةً، ثم يتكادَمونَ عليها تَكَادُمَ الحميرِ، فعليكم

---

(١) البخاري رقم ٢٥، ومسلم رقم ٢٢.

(٢) أبو داود رقم ٢٥٠٣، وسنن ابن ماجه رقم ٢٧٦٢. وانظر رياض الصالحين ١/ ٢٤٧.

قوله: «أو يخلف» أي لم يقم بعده في خدمة أهله، بأن يصير خليفة له ونائباً عنه في قضاء حوائجه، قوله: « بقارعة» أي: بداهية مهلكة، يقال: قرعه أمر، إذا أتاه فجأة، وجمعها قوارع.

بالجهادِ، وإن أفضلَ جهادِكم الرباطُ، وإن أفضلَ رباطِكم عَسْقلان»[١].

وروى النَّسَائيُّ والحاكم وغيرهما رحمهما الله تعالى عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: «ألا أُنبئكم بليلةٍ أفضلَ من ليلةِ القدر؟! حارسٌ حَرَسَ في أرضِ خوفٍ لعلّه أن لا يرجعَ إلى أهله»[٢].

وتدخل هذه الأقسام جميعها في قوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨]، فكل مَن أتعب نفسه في ذات الله تعالى فقد جاهد في سبيله، إلا أن الجهاد إذا أُطْلِقَ لا يقع إلا على مجاهدة الكفار بالسلاح.

فمَن وجب عليه الجهاد وجبت عليه المشاركة فيه بنفسه، فإن لم يستطع فعليه دفع المال لتجهيز الغزاة، فيجب على الموسرين النفقة في سبيل الله، وعلى

---

(١) معجم الطبراني رقم١١١٣٨، ورجال الحديث ثقات. انظر مجمع الزوائد رقم٨٩٦٤.
وقوله: «يتكادمون عليها»: الكدم: العضُّ، والمراد أنهم يتنافسون على أخذها وقبضها كما يعضّ الحمار على عُشبه.
وعسقلان: مدينة في فلسطين على ساحل البحر الأبيض بين غزّة وبيت جِبْرين، ويقال لها: عروس الشام، ويقال لدمشق: عسقلان أيضاً. ينظر معجم البلدان ٤/ ١٢٢.

الإحداثيات: "٣١°٣٩'٤٤,٩٦ "٣٤°٣٢'٤٧,١١

(٢) سنن النسائي الكبرى رقم ٨٨٦٨، والمستدرك على الصحيحين رقم ٢٤٢٤.

هذا فيجبُ على النساء الجهاد في أموالهن إن كان فيها فضل، وكذلك في أموال الصغار إذا احتيج إليها، أو يجاهد بتعليم الناس الخير، ويكفّ عنهم أذاه، أو يخلف الغازين في أهلهم بخير، فإن لم يستطع فعليه بالدعاء.

فأما إذا هجم العدوّ على بلد مسلم، صار الجهاد فرض عين على جميع أهل هذا البلد الكبير والصغير القادِرَين، ذكراً كان أو أنثى؛ ثم تتوسّع دائرة فرض العين على مَن حولهم من المسلمين شيئاً فشيئاً حتى يتمّ دفع العدوّ، أو يشمل الجهاد فرض عين على كل مسلم على وجه الأرض؛ لأنّ دفْع ضرر العدو عن الدِّين والنفس والحرمات واجب إجماعاً.

فضل الجهاد والرباط وفضل الشهادة في سبيل الله تعالى:

إنَّ من أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله تعالى الجهاد والرباط، لما فيهما من بذل الروح في سبيل الله تعالى وإعلاء كلمته، ونصرة المؤمنين وإعزاز كلمتهم.

ولقد كان العلم واليقين بفضل الجهاد والرباط والشهادة في سبيل الله؛ هو الأساس الروحيّ الأول في التخطيط الاستراتيجي في المعارك، فالروح إذا رَخُصَت مقابل الأشياء السابقة، سمت بالتفكير العقليّ في تدبير إدارة المعارك، لذا كثرت الأدلة على فضل الجهاد والرباط والشهادة ومنها:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

وروى مسلم عنْ أَبي هُرَيرةَ رضي الله عنه أنه قالَ: قالَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: «تَضَمَّنَ اللهُ لِمَنْ خَرَجَ في سبيلِهِ، لا يُخْرِجُهُ إِلَّا جِهادًا في سَبيلي، وإيمانًا بي، وتَصْديقًا بِرُسُلي، فهوَ علَيَّ ضامِنٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، أو أَرْجِعَهُ إلى مَسْكنِهِ الَّذِي خرجَ مِنهُ، نائلاً ما نالَ مِنْ أَجْرٍ، أو غَنيمَةٍ، والَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، ما مِنْ كَلْمٍ يُكْلَمُ في سَبيلِ الله، إِلَّا جاءَ يومَ القِيامةِ كَهَيْئَتِهِ حينَ كُلِمَ، لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ، وَرِيحُهُ مِسْكٌ، والَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْلا أَنْ يَشُقَّ على المُسْلِمِينَ ما قَعَدْتُ خِلافَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ الله أَبَدًا، ولَكِنْ لا أَجِدُ سَعةً فأَحْمِلَهُمْ، ولا يَجِدُونَ سَعةً، وَيَشُقُّ علَيهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفوا عَنِّي، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي أَغْزُو في سَبيلِ الله فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ»[١].

وعنْ قَتادةَ رضي الله عنه أنه قالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بنَ مالِكٍ رضي الله عنه، يُحَدِّثُ عَنِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، أنه قالَ: «ما مِنْ أَحَدٍ يَدْخُلُ الجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إلى الدُّنْيا، وأَنَّ لَهُ ما على الأَرْضِ مِنْ شَيءٍ غَيْرُ الشَّهيدِ، فإِنَّهُ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ، فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ، لِمَا يَرَى مِنَ الْكَرَامَةِ»[٢].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرةَ رضي الله عنه أنه قالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: ما يَعْدِلُ الجِهادَ فِي سَبيلِ الله عَزَّ وجَلَّ؟

قالَ: «لاَ تَسْتَطِيعُونَهُ».

قالَ: فأَعادُوا علَيهِ مرَّتَينِ، أَوْ ثَلاثًا كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ: «لاَ تَسْتَطِيعُونَهُ»، وقالَ

(١) صحيح مسلم رقم٤٨٩٢.
(٢) صحيح مسلم رقم٤٩٠٢.

فِي الثَّالِثَةِ: «مَثَلُ المُجَاهِدِ في سَبيلِ الله كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْقَانِتِ بِآيَاتِ الله، لَا يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ، ولا صَلاةٍ، حَتَّى يَرْجِعَ المُجَاهِدُ في سَبيلِ الله تَعَالَى»(١).

وعَنْ أَنَسِ بنِ مالِكٍ رضي الله عنه أنه قالَ: قالَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: «لَغَدْوَةٌ في سَبيلِ الله، أَوْ رَوْحَةٌ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيا وما فيها»(٢).

وعَنْ أَبي سَعيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ قالَ: «يا أَبا سَعيدٍ، مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وبِالإسلامِ دِينًا، وبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ».

فَعَجِبَ لَها أَبُو سَعِيدٍ، فقالَ: أَعِدْهَا عليَّ يا رسولَ الله، فَفَعَلَ.

ثُمَّ قَالَ: «وَأُخْرى يُرْفَعُ بِها الْعَبْدُ مِئةَ دَرَجةٍ فِي الْجَنَّةِ، ما بَينَ كُلِّ دَرَجَتَينِ كَما بَيْنَ السَّماءِ والأَرْضِ».

قالَ: وَمَا هِيَ يا رَسُولَ الله؟

قالَ: «الجِهادُ في سَبيلِ الله، الجِهادُ في سَبيلِ الله»(٣).

وعَنْ أَبي قَتادةَ رضي الله عنه أَنَّهُ قال: إنَّ رسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ قام فيهِمْ: فَذَكَرَ لَهُمْ أَنَّ الجِهادَ في سَبيلِ الله، والإِيمانَ بِالله أَفْضَلُ الأَعْمالِ، فقامَ رَجُلٌ، فقالَ: يا رَسُولَ الله! أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ في سَبيلِ الله، تُكَفَّرُ عَنِّي خَطاياي؟

---

(١) صحيح مسلم رقم٤٩٠٣.
(٢) صحيح مسلم رقم٤٩٠٧.
(٣) صحيح مسلم رقم٤٩١٣.

فقالَ لَهُ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: «نَعَمْ، إِنْ قُتِلْتَ في سَبيلِ الله، وأَنْتَ صابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غيرُ مُدْبِرٍ».

ثُمَّ قالَ رَسُولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: «كَيْفَ قُلْتَ؟»

قالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ في سَبيلِ الله أَتُكَفِّرُ عَنِّي خَطاياي؟

فَقَالَ رَسُولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: «نَعَمْ، وأَنْتَ صابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ، إِلَّا الدَّيْنَ، فَإِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قالَ لي ذَلكَ»(١).

وعَنْ مَسْروقٍ رحمه الله أنه قالَ: سَأَلْنَا عبدَ الله بنَ مسعود عَنْ هَذِهِ الآيةِ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٧٤].

قالَ: أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: «أَرْوَاحُهُمْ في جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَها قَناديلُ مُعَلَّقَةٌ بِالعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إلى تِلْكَ القَناديلِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمُ اطِّلاعةً، فقالَ: هَلْ تَشْتَهونَ شَيْئًا؟

قالُوا: أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا، قَالُوا: يَا رَبُّ، نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنا في أَجْسادِنا حتَّى نُقْتَلَ في سَبيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا(٢).

وأما عن فضل الرباط في سبيل الله فهو كثير وكبير، والأدلة على ذلك كثيرة ومنها:

---

(١) صحيح مسلم رقم٤٩١٤.

(٢) صحيح مسلم رقم٤٩١٩.

ما رواه البخاري رحمه الله تعالى عن سهل بن سعد السَّاعِدِيّ رضي الله عنه: أن رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ قال: «رباطُ يومٍ في سبيلِ الله خيرٌ من الدنيا وما عليها، وموضعُ سوطِ أحدكم منَ الجنةِ خيرٌ منَ الدنيا وما عليها، والروحةُ يروحُها العبدُ في سبيلِ الله أوِ الغدوةُ، خيرٌ منَ الدنيا وما عليها»(١).

وأخرج أحمد رحمه الله تعالى عن أمِّ الدرداء رضي الله عنها، أنَّ رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ قال: «مَنْ رابَطَ في شيءٍ من سواحلِ المسلمينَ ثلاثةَ أيامٍ أجزأتْ عنه رباطَ سنةٍ»(٢).

وروى الطبراني عن أبي الدرداء عن رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ أنه قال: «رباطُ شهرٍ خيرٌ من صيامِ دهرٍ، ومَنْ ماتَ مرابطاً في سبيلِ الله أمِنَ مِنَ الفَزعِ الأكبرِ، وغُدِيَ عليهِ برزقِهِ، وريحٍ منَ الجنةِ، ويجري عليه أجرُ المجاهدِ حتى يبعَثَهُ اللهُ عزَّ وجلّ»(٣).

وروى الترمذي رحمه الله تعالى عن فُضَالةَ بنِ عُبيْدٍ رضي الله عنه أنه قال: قال رسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: «كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ على عَمَلِهِ إلَّا الّذِي ماتَ مُرابِطاً في سبيلِ الله، فإنّهُ يُنْمى لَهُ عَمَلُه إلى يومِ القيامةِ، ويَأْمَنُ من فِتْنَةِ الْقَبْرِ..»(٤).

---

(١) صحيح البخاري رقم٢٧٣٥. وقوله: «موضع سوط في الجنة» يريد ما صغر في الجنة من المواضع كلها من بساتينها وأرضها.

(٢) مسند الإمام أحمد رقم٢٧٠٨٥.

(٣) مجمع الزوائد رقم٩٥٠٤.

(٤) سنن الترمذي الحديث رقم١٦٢١، قال الترمذي رحمه الله: «حديثُ فُضَالَةَ حديثٌ حسنٌ صحيحٌ». مسند أحمد بن حنبل، رقم ٢٣٩٩٧.

البعد الروحي في التعرّف على شخصيةِ النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ العسكرية:

إنَّ التعرّف على جوانب التخطيط العسكريّ عند سيدنا محمد صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ؛ يعني التعرّفَ على الأرض التي وصل إليها النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في غزواته، والطّرق التي سلكَها.

ويعني التعرُّفَ على الزمانِ الذي قاتلَ فيه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

ويعني التعرُّفَ على الوسائل والخطط التي استخدمها النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ أثناء غزواته.

ويعني استشعارَ تأييد الله نُصْرة للمسلمين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٩].

بل يعني اتصالَ مَددِ السماء بمددِ الأرض، وحضور الملائكة فزعة للمسلمين: ﴿إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ * بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ * وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٤-١٢٦].

عندها لا بُدَّ لك من وقفة روحيَّة وفكرية تستشعر بها الرحمات الربانية التي هبطت على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم والصحابة الكرام، وإكرامهم

بالنصر: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا * لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا * وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا * هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا * وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا * وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ۚ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١-٥، ١٠].

وتستشعر مدى الجهد الذي بذله النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، وكذا جهد صحابته الكرام في تبليغ دين الله تعالى، وكيف خطَّطَ النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ لغزواتِه وانتصرَ فيها.

وتنظر كيف قطع النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ والصحابة رضوان الله عليهم تلك المسافات راجلِينَ وراكبينَ، وأكبر همِّهم تبليغ الدِّين، وكيف أنه كانت عقولهم وقلوبهم متيقِّظة للتخطيط والتدبير للأمور العسكرية.

وفي المحصّلة ستقطع شوطاً كبيراً في محبة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ومحبّة صحابته الكرام، لما قدَّموه لنا وللبشرية من هداية كانت السبب الأول لسعادتنا، ونسأل الله تعالى أن يتمِّمَ هذه السعادة بأن يحشرَنا مع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وصحابته الكرام؛ في أعلى جنّاتِ الخُلد.

وفي الحقيقة؛ فإنَّ أعظمَ عمل عسكريٍّ مُخَطَّطٍ وغير مُسلَّح هو الهجرة النبويَّة، وهجرة الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، إذْ لولاها لما ابتدأت دولة الإسلام، لذا عظَّمَ الله من شأنها في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ * وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ٩-١٠].

ثم إن الله تعالى عظَّمَ من شأن جهاد الصحابة بالمال والنفس في كلِّ مكان يَصِلُون إليه ويُغَاظُ الكفّارُ فيه، فقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرۡغَبُواْ بِأَنفُسِهِمۡ عَن نَّفۡسِهِۦۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ وَلَا نَصَبٞ وَلَا مَخۡمَصَةٞ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ * وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةٗ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةٗ وَلَا يَقۡطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمۡ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٢٠- ١٢١].

ومن النماذج على جهدِ الصحابةِ وحبِّهم الجهاد: قولُ النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ: «**لقد تَرَكْتُمْ بِالمَدِينَةِ رِجَالاً ما سِرْتُمْ من مَسِيرٍ، ولا أَنْفَقْتُمْ من نَفَقَةٍ، ولا قَطَعْتُمْ من وادٍ، إلا وهُمْ مَعَكُمْ فيه**»، **قالوا: يا رسولَ الله! وكَيْفَ يَكونونَ معَنا وهُمْ بِالمَدِينَةِ؟ قال:** «**حَبَسَهُمُ العُذْرُ**»[1].

وما رواه البخاريُّ ومسلم رحمهما الله تعالى عن أنس رضي الله عنه أنه

(١) مسند الإمام أحمد رقم ١٢٦٥٠.

قال: عَمِّي الذي سُميتُ به لمْ يشهد مع رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ بدراً، قال: فشقَّ عليه، قال: أولُ مشهدٍ شهدَهُ رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ غُيِّبْتُ عنه، ولئن أشهدني الله تعالى مشهداً مع رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ لَيَرَيَنَّ الله ما أصنع، قال: فهابَ أن يقولَ غيرها.

قال: فشهد مع رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ أُحداً، قال: واستقبله سعدُ بنُ معاذٍ، فقال له أنس: يا أبا عمرو أين؟!

قال: واهاً لريحِ الجنةِ، أجدُه دونَ أُحُدٍ.

قال: فقاتلَهم حتى قُتِل.

قال: فوُجِد في جسدهِ بِضْعٌ وثمانونَ ما بينَ ضربةٍ وطعنةٍ ورميةٍ.

قال: وقالت أُختُه عمتي الرَّبيع بنت النَّضْرِ: فما عرفتُ أخي إلا ببَنانِه، ونزلت هذه الآية: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣] قال: فكانوا يَرَون أنها نزلت فيه، وفي أصحابه[1].

وروى مسلم رحمه الله تعالى عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه، قال سمعت أبي ـ وهو بحضرة العدوّ ـ يقول: قال رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: «إنَّ أبوابَ الجنةِ تحتَ ظلالِ السيوفِ».

فقام رجلٌ رثُّ الهيئة فقال: يا أبا موسى! أأنتَ سمعتَ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يقولُ هذا؟

---

(١) صحيح البخاري رقم٣٨٢٢، وصحيح مسلم رقم١٩٠٣.

قال: نعم.

قال: فرجعَ إلى أصحابِه فقال: أقرأُ عليكمُ السلامَ، ثم كسرَ جَفْنَ سَيفِهِ[١] وألقاه، ثم مشى بسيفِه إلى العدوِّ فَضَربَ به حتى قُتل[٢].

وأخرج البيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ مرَّ بخِباءِ أعرابيٍّ وهو في أصحابه يريدونَ الغزو، فرفعَ الأعرابيُّ ناحيةً من الخباءِ، فقال: مَنِ القومُ؟

فقيلَ: رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ وأصحابه يريدونَ الغزوَ، فسارَ معهم.

فقال رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: «والذي نفسي بيدهِ إنهُ لمنْ ملوكِ الجنةِ».

فلقوا العدوَّ فاستشهدَ وأُخبرَ بذلك رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، فأتاهُ فقعدَ عندَ رأسهِ مستبشراً يضحكُ ثم أعرضَ عنه، فقلنا: يا رسول الله رأيناكَ مستبشراً تضحكُ، ثم أعرضتَ عنه؟!

فقال: «أما ما رأيتمْ من استبشاري فَلِمَا رأيتُ منْ كرامةِ روحهِ على الله، وأما إعراضي عنه فإنَّ زوجتهُ منَ الحورِ العينِ الآن عند رأسه»[٣].

وأخرج البيهقي رحمه الله عن مالِك بْن دينارٍ، أنه قالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ

---

(١) غِمد السيف.

(٢) صحيح مسلم رقم١٩٠٢.

(٣) شعب الإيمان رقم٤٣١٧، وإسناد الحديث حسن. انظر الترغيب والترهيب ٢/ ٢١٤، رقم ٣٠٧.

الزَّاوِيةِ[١]، قالَ عَبْدُ الله بنُ غَالِبٍ: إِنِّي لَأَرَى أَمْرًا ما لِي علَيهِ صَبْرٌ، رُوحُوا بِنا إلى الجَنَّةِ، قالَ: فَكُسِرَ جَفْنُ سَيْفِهِ، وتَقَدَّمَ فقاتلَ حتَّى قُتِلَ، قالَ: وكانَ يُؤْخَذُ مِنْ قبرِهِ رِيحُ المِسْكِ، قالَ مالِكٌ: فانْطَلَقْتُ إلى قَبْرِهِ فأَخَذْتُ مِنْهُ تُرابًا فَشَمَمْتُهُ، فوجَدْتُ منْهُ رِيحَ المِسْكِ[٢].

ويستدلّ من الأحاديث السابقة على أن الجنّة بنعيمها وحُورِها تقتربُ من المجاهدين حيث يَصيرُ قتالهم، اقتراباً لا تحيط به عقولنا، وأنهم ينتقلون إليها فَورَ استشهادهم، لذلك جاءت السنة باستحباب دفنِ الشهداء في أمكنةِ قَتلِهم[٣]، فقد روى الترمذيُّ رحمه الله تعالى عن جابر رضي الله عنه أنه قال: لما كانَ يومُ أُحُد جاءت عمّتي بأبي لتدفِنَهُ في مقابرنا، فنادى منادي رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ رُدُّوا القتلى إلى مضاجعِهم[٤].

---

(١) معركة الزاوية: معركة كبيرة بين جيش التابعي الفقيه عبد الرحمن بن الأشعث وجيش الحجاج بن يوسف الثقفي، في ولاية عبد الملك بن مروان، في أوائل سنة (٨٢هـ/ ٧٠١م)، التقى الفريقان في مكان يدعى «الزاوية» جنوب العراق في ناحية البصرة، انهزم في النهاية جيش ابن الأشعث وفرَّ ابن الأشعث، وكانت الغلبة للحجّاج. انظر تاريخ خليفة بن خياط ص٢٨٢، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ١/ ٢٠٣.
الإحداثيات: "٣٠°٢٣'٣,٠٢ "٤٧°٤١'٥٥,٦٠

(٢) شعب الإيمان رقم٤٠١٤.

(٣) فائدة: قال البهوتي الحنبلي رحمه اللهّ في الروض المربع ص١٣٣: ويُستحب جمع الأقارب [أي الموتى] في بقعة؛ لتسهيل زيارتهم، قريباً من الشهداء والصالحين لينتفع بمجاورتهم في البقاع الشريفة. وانظر المبدع ٢/ ٢٧٦- ٢٧٧، ونحو هذا الكلام في الشرح الكبير ١/ ٤٢١، وانظر فيض القدير ٤/ ٣٢، راجع صحيح البخاري، رقم الحديث ١٣٣٩.

(٤) سنن الترمذي رقم ١٧١٧، قال أبو عيسى: هذا الحديث حسن صحيح.

والحكمة في ذلك ـ والله أعلم ـ أن مكان استشهادهم هو محلُّ تشريف اقتربت الجنة إليه ـ كما مرَّ ـ بل هو محلُّ مدد الله تعالى ورحمته وتَنَزُّل ملائكته.. فأصبح لهذا المكان مزيّة على غيره، وهذا تشريفٌ عظيم للشهداء لشبَهِهِمْ بالأنبياء؛ حيثُ يُدفنُ النبي في المكان الذي مات فيه، فأُلحِقَ بهم الشهداء[١].

ومن الأدلة على ترحّم النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ على مَن دُفِنَ من الصحابة في أرض المعركة ما قالَه ابن سعد رحمه الله تعالى: ثم غزوة رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ بني لِحْيَانَ، وكانوا بناحية عُسفان[٢] في شهر ربيع الأول سنة ستّ من مُهاجره، قالوا: وَجَدَ رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ على عاصم بن ثابت وأصحابه وَجْداً شديداً، فأظهر أنه يريد الشَّام، وعسكر في مائتي رجل ومعهم عشرون فرساً، واستخلف على المدينة عبدَ الله ابنَ أمِّ مكتوم، ثم أسرع السير حتى انتهى إلى بطنِ غُرَانٍ[٣]، حيث كان مصابُ أصحابه، فترحَّم عليهم ودعا لهم، فسمعت بهم بنو لِحْيَان، فهربوا في رؤوس الجبال، فلم يقدر منهم على أحد.

---

(١) فيض القدير ٤/ ٣٢.

(٢) إحداثيات موقع غزوة بني لحيان في عسفان: "٨٢,٣١'٢١°٣٩"٥٢,٣٦'٥٧°٢١

(٣) اسم السرَّيَّة التي ذهب فيها عاصم بن ثابت وأصحابه رضي الله عنهم سرية الرَّجِيع، وهي سرية استطلاع، ليجمعوا له المعلومات عن تحركات قريش التجارية والعسكرية، حتى إذا كانوا في منطقة الرجيع أغار عليهم بنو لِحْيان فقتلوا بعضهم، وأسروا البعض، والرجيع ماء، ويُعرَف اليوم باسم الوطية، ويبعد عن مكة نحو ٧٠كم على اليمين للمتّجه منها إلى عُسفان شمال غرب قرية الشامية.
إحداثيات سرية الرجيع: "٨٦,٣٥'٢٦°٣٩"٨٣,٢٣'٥٣°٢١

فأقام يوماً أو يومَين، فبعث السرايا في كل ناحيةٍ، فلم يَقدروا على أحد، ثم خرج حتى أتى عُسفان، فبعثَ أبا بكر في عشرةِ فوارس؛ لتسمعَ به قريش فيذعرهم، فأتَوا الغميم(١)، ثم رجعوا ولم يَلقَوا أحداً، ثم انصرفَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ إلى المدينة، وهو يقول: «آيبونَ تائبونَ عابدونَ لربنا حامدونَ، وغاب عن المدينة أربع عشرة ليلة»(٢).

وروى الشيخان عن عقبة بن عامرٍ رضي الله عنه أنه قال: إنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم خَرَجَ يوماً، فَصَلَّى على أَهْلِ أَحُدٍ صلاتَهُ على المَيِّتِ، ثم انصرف إلى المنبرِ، فقال: «إني فَرَطٌ لكُمْ(٣)، وأنا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وإني والله لَأَنْظُرُ إلى حَوْضِي الآنَ، وإنِّي أُعْطِيتُ مفاتيحَ خَزَائِنِ الأرضِ، أو مفاتيحَ الأرضِ، وإني والله ما أَخَافُ عليكُمْ أَنْ تُشْرِكوا بعدِي، ولكنْ أَخافُ عليكُمْ أن تَنَافَسُوا فيها»(٤).

وبعد الجولة في بيانِ أقسام الجهاد في سبيل الله في الاستراتيجية العسكرية، وبيان البعد الروحي في التعرّف على شخصية النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ العسكرية إليك معالم قيادته الكريمة.

---

(١) الغميم أي كُراع الغميم: يقع جنوب عسفان بـ ١٦كم بين الجموم وعسفان، على الطريق المتجهة لمكة على بعد ٦٤كم من مكة، وتُعرَف اليوم ببرقاء الغميم. معجم المعالم الجغرافية ١/ ٢٦٣. ومِن قراه الشامية.

الإحداثيات: "٦٦ ,١٧'٢٧°٣٩"٥٥ ,٣٨'٤٩°٢١

(٢) الطبقات الكبرى ٢/ ٧٨.

(٣) قوله: «فَرَطٌ لكم» أي مُتَقَدِّمُكُمْ إليه، يُقال: فَرَطَ يَفْرِطُ، إذا تَقَدَّمَ القومَ لِيَرْتَادَ لهم الماءَ، ويهيئ لهم الدِّلاءَ. انظر النهاية ٣/ ٤٣٤.

(٤) أخرجه البخاري رقم١٣٤٤، ومسلم رقم٢٢٩٦.

منطلقات التخطيط الاستراتيجي في قيادة النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ العسكرية

لقد بلغت مواقفُ النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في القيادة العسكرية القمّة التي لم يَرْقَ إليها أحد، فما من قضيَّة مهمَّة في أمرِ الحرب إلا وكان رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ سبَّاقاً إلى المعرفة فيها، ورائداً في جميع تفصيلاتها، مع أعلى القيم الحضارية، من عفوٍ عن الأعداء، والرحمة بهم، وصدقٍ في المواثيق والعهود، وكرمٍ وشجاعة، والحرص على سلامة العباد والبلاد.

وهذه الصفات قَلَّمَا توجدُ في قائد، فالجهادُ عنده صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ ليس مقصوداً لذاته، بل لغاياتٍ عظمى؛ أعلاها تبليغ دين الله تعالى إلى الناس كافَّةً، فكان لا يبدأ أحداً بالعدوان، ولكنه إذا علم بعزم الأعداء على قتاله، بادر إلى قتالهم.

هذا وتعدَّدت سماتُ القيادةِ العسكرية عند النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، وقد وُفِّقْتُ إلى بيان مئة قاعدة منها، وإليك بيانها حسب عناوين الفصول الآتية:

الفصل الأول
منطلَق التعامل مع غير المسلمين في الحرب

١ـ الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.

٢ـ الدعوة قبل التحام السِّنَان.

٣ـ لغة التأثير في العدوّ.

٤ـ كسب العدوّ بالطرائق الودية.

٥ـ رعاية أسرى الحرب.

٦ـ وفاء النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لأعدائه.

٧ـ إعلام العدوّ بالحرب عند نقض العهد.

٨ـ العفو والصفح والسماحة مع المغلوب.

٩ـ منع التمثيل بجثث الأعداء أو تعذيب جرحاهم.

١٠ـ حرمة الاعتداء على الأعداء بغير حقّ.

١١ـ النهي عن قتل غير المقاتلين.

١٢ـ الوفاء بتأمين المحاربين والمُسْتَأْمَنِين.

١٣ـ الاستجابة للسلم، والتمسك بالثوابت.

١٤ـ قبول جوار غير المسلم.

١٥ـ حرمة الغدر بالكافر بعد إعطائه الأمان.

١٦ـ الرفق بالعدوّ إنْ حصلت النِّكاية بما يردُّه عن كيده.

١٧ـ عرض الإسلام العملي على الأسير.

١٨ـ رعاية حق الرَّحِم.

١٩ـ تعويض الخطأ في دماء المشركين في الحرب.

٢٠ـ حرمة الاعتداء على البيئة في الحرب بغير حق.

* * *

القاعدة الأولى
الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة

قال الله تعالى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المدثر: ٢].

وقال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ..﴾ [النحل: ١٢٥].

وقال تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ..﴾ [الشورى: ١٥].

مما لا شكّ فيه أنَّ الإسلامَ انتشرَ بصدقِ الكلمةِ وحُسْنِ المعاملة، وبحجة الإقناع لا بسلطة الإخضاع، وبلسان العدل لا بسيف الظلم، فلم يشهدِ التاريخ فاتحين أكثر رحمة من المسلمين، عملاً بقول الله تعالى السابق، وبهذا شهد القاصي والداني، والمستشرق والمستغرب.

ومن الشواهد على ذلك أيضاً تَأَخُّر فَريضة الجهاد إلى أواخر السنة الأولى من الهجرة، إذ لولا الحاجة إليه لما فُرض، وهو ما حلَّ بالمسلمينَ من الظلم والاضطهاد والتشريد والتغريب: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٣٩-٤٠] وفي المقابل كان تأخُّر فرض الجهاد له دور كبير في ترسيخ الإيمان في نفوس الناس، وانتشاره بالحكمة والموعظة الحسنة.

فالقتال جاء في الإسلام بمثابة الدواء الأخير، وهو لأحد أمرين؛ إما للدفاع عن حرمة الدِّين وأهله، أو لتبليغ دعوة الدين، فمَن وقفَ في وجه الدعوة الإسلامية حُورِبَ حتى يَصِلَ الدِّين إلى مَنْ وراءه، فالقتالُ هو الحَلُّ الأخير، أو كما يقولون: آخر الدواء الكَيّ.

وحتى بعد فرض الجهاد لا يجوزُ البدء بالقتال قبل وصول دعوة الإسلام، ومما يدلُّ على هذا الكتبُ والرسائلُ التي بعثها النبيّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ إلى الملوك والرؤساء، وكذا استراتيجية إرسال السرايا من قبل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فأول ما يُبْدأ به مع غير المسلمين هو الدعوة، وكمْ مِنْ بلادٍ غير مسلمةٍ تحوَّلت إلى بلاد مسلمة بسبب الدعوة إلى الله تعالى.

ومن الشواهد على وجوبِ تبليغِ دينِ الله تعالى قبل إعلان أي قتال؛ ما رواه مسلم رحمه الله عَنْ بُرَيْدةَ رضي الله عنه أنه قالَ: كانَ رَسُولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ إذا أَمَّرَ أميرًا على جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ في خاصَّتِهِ بِتَقْوَى الله ومَنْ معهُ مِن المُسْلِمينَ خَيرًا، ثُمَّ قالَ: «.. إذا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِن المُشْرِكينَ فَادْعُهُمْ إلى ثَلَاثِ خِصالٍ أَوْ خِلالٍ: فأَيَّتُهُنَّ ما أجابوكَ فاقبَلْ مِنْهُمْ وكُفَّ عَنْهُمْ.

ثُمَّ ادْعُهُمْ إلى الإسلامِ، فإن أَجابوكَ فاقْبَلْ مِنْهُمْ وكُفَّ عَنْهُمْ.

ثُمَّ ادْعُهُمْ إلى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إلى دارِ المُهَاجِرِينَ، وأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَعَلَيْهِمْ ما على المُهَاجِرِينَ.

فإن أَبَوا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْها فأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كأَعْرابِ المُسْلِمِينَ؛ يَجْرِي علَيهم حُكْمُ الله الَّذِي يَجْرِي على المُؤْمِنِينَ، ولا يكونُ لَهُمْ في الغَنيمةِ والفَيءِ شَيءٌ، إِلَّا أَنْ يُجاهِدوا معَ المُسْلِمِينَ.

فإن هم أَبَوا فَسَلْهُم الجِزْيةَ، فإن هم أجابوكَ فاقْبَلْ منهم، وكُفَّ عَنْهُمْ.

فإن هم أبَوا فاسْتَعِنْ بِالله وقاتِلْهُمْ..»[١].

ومِن شواهد السَّلف الصالح على تقديم الدعوة على الجهاد ما حدثَ بين أهل سمرقند[٢] وعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى لَـمّا تولّى زمام الخلافة، فقد بعثوا له: أن قُتَيْبَة ظلمنا وغدر بنا، وأخذ بلادنا مباغتة، وقد أظهر الله العدل والإنصاف، فأْذنْ لنا فليقدمْ منا وفدٌ على أمير المؤمنين، فأَذِنَ لهم، فوجّهوا وفداً إلى عمر وذكروا مظلَمَتَهم من قُتَيْبة.

فكتبَ عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى سليمان والي سَمَرْقند: إنَّ أهلَ سمرقند شكوا ظلماً وتحامُلاً من قُتَيْبَةَ عليهم حتى أخرجهم من أرضهم، فإذا أتاك كتابي فأجلسْ لهمُ القاضي فلينظُرْ في أمرِهم، فإن قضى لهم فأخرِجِ العربَ إلى معسكرهم كما كانوا قبل أن يَظهرَ عليهم قُتَيْبَة.

فأجلسَ لهم سليمانُ جُمَيعَ بنَ حاضر القاضي، وبعد انتهاء جلسة القضاء، قضى أن تَخرجَ العربُ إلى معسكرهم ويُنابذوهم على سواء، فيكون صلحاً جديداً أو ظفراً عنوةً، فقال أهل الصُّغْد (اسم لما يضم سمرقند وغيرها من تلك الناحية): نرضى بما كانَ، ولا نُحدِثُ شيئاً، وتواصوا بذلك[٣]، ودخل الكثير منهم في دين الله تعالى بسبب هذا العدل.

---

(١) رواه مسلم رقم ٣٢٦١.

(٢) تقع مدينة سَمَرْقَنْدُ في آسيا الوسطى، في بلاد أوزبكستان ومعنى الاسم «قلعة الأرض»، تم الفتح الإسلامي لمدينة سمرقند على يد القائد المسلم قُتَيْبَة بن مسلم الباهليّ رحمه الله؛ في سنة (٨٧هـ ـ ٧٠٥ م). معجم البلدان (٣/ ٢٤٨)، ويكيبيديا.

الإحداثيات: "٣٩°٣٩'١٧,١٤"٦٦°٥٨'٣٢,٣٢

(٣) نهاية الأرب في فنون الأدب ٦/ ٩٦.

القاعدة الثانية
الدعوة قبل التحام السِّنَان

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦].

إنَّ من أعظم ما تميَّز به هذا الدِّين الحنيف أنه انتشرَ بسلطان العدل، لا بسلطان الظلم، بل أوجب الإسلام تبليغ الدعوة قبل إحداث أيِّ قتال، كما مرَّ في مقدمة القواعد، وأوجب إمهال مَنْ ندعوهم، وسماع حجّتهم، وحوارهم بالتي هي أحسن، قال الله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

وروى البخاري رحمه الله عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: بَعَثَ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم خالِدَ بن الوَلِيدِ إلى بَني جَذِيمةَ[1] فدعاهُمْ إلى الإسلام، فلم يُحْسِنُوا أَنْ يقولوا: أَسْلَمْنَا، فجعلوا يَقولونَ: صبأْنا صبأْنا، فجعلَ خالِدٌ يَقْتُلُ منهم وَيَأْسِرُ، وَدَفَعَ إلى كل رَجُلٍ مِنَّا أَسِيرَهُ حتى إذا كان يَوْمٌ، أَمَرَ خالِدٌ أَنْ يَقْتُلَ كُلُّ رَجُلٍ مِنَّا أَسِيرَهُ.

---

(١) سرية خالد بن الوليد إلى بني جَذِيمة، وكانت في شوال سنة ٨هـ، وكان بنو جَذيمة في ناحية الْغُمَيْصَاء، وفي تقديري أنه قبيل ميقات يلملم، وهو في جنوب مكة بنحو ٦٠كم.

الإحداثيات: "١٤,٥٩ ٥٤°٣٩'٣٣,١٧ ٥٥°٢٠

فقلت: والله لا أَقْتُلُ أَسيري ولا يَقْتُلُ رَجُلٌ من أَصحابي أَسيرَهُ، حتى قَدِمنا على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فذكَرْناهُ، فرفعَ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يديه فقال: «اللهم إني أَبْرَأُ إِلَيكَ مِمَّا صنعَ خالِدٌ، مَرَّتَين»[1].

قاعدة: الخطأ في العفو خير من الخطأ في القتل.

❊ ❊ ❊

(١) صحيح البخاري رقم ٤٠٨٤.

القاعـــدة الثالثـة
لغة التأثير في العدوّ

قال الله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ..﴾ [الفتح: ٢٩].

إنَّ من أعظم ما كان بين النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ وبين صحابتِه الكرام؛ هو ذاك الحبُّ الذي تجسَّـــدَت معانيه في أصعب الســـاعات، وأحلك الظروف؛ وهي ســـاعات الشِّـــدّة في الحرب، فقد آثروه على أنفسهم، وجعلوا أجســـادهم دون جسدِه ســـتاراً، وأرواحهم دون روحه صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وســـلَّمَ فداءً، حتى انعكســـت آثار هذه المحبّة على غير المســـلمين، هيبة منه صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وســـلَّمَ، وخوفًا منه، ورغبةً في الدخول في هذا الدِّين، أو مسالمته.

ومن أمثلةِ هذا ما حصل مع عُرْوةَ بنِ مسعودٍ رضي الله عنه[1] في قصّة الحديبية، فقد روى البخاري رحمه الله تعالى في قصة صلح الحديبية أنَّ عُرْوةَ جَعَلَ يَرْمُقُ أصحابَ النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ بِعَيْنَيْهِ.

قال: فوالله ما تَنَخَّمَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ نُخامةً إلا وقعَتْ في كَفِّ رَجُلٍ منهم، فدلكَ بها وجهَهُ وجلْدَهُ، وإذا أمرهمُ ابتدروا أَمْرَهُ،

(١) وذلك قبل إسلامه.

وإذا تَوَضَّأَ كادُوا يَقْتَتِلونَ على وَضُوئِهِ، وإذا تَكَلَّمَ خَفَضوا أَصْواتَهم عندَهُ، وما يُحِدّونَ إليه النظرَ؛ تعظيمًا له.

فرجَعَ عُرْوةُ إلى أصحابِهِ فقال: أَيْ قَوْمِ، والله لقد وفدْتُ على المُلوكِ، ووفدْتُ على قيصَرَ وكِسْرى والنَّجَاشِيِّ، والله إنْ رأيتُ ملِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أصحابُهُ ما يُعَظِّمُ أصحابُ مُحَمَّدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ مُحَمَّدًا... وإنَّهُ قد عَرضَ علَيكم خُطَّةَ رُشْدٍ فاقبلوهَا[١].

ومن مظاهر الفداء ما فعله أبو دجانة يوم أُحُد حيث ترَّس بنفسه دون رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ، فكانت النبل تقع في ظهره وهو ينحني عليه حتى كثرت فيه النبل[٢].

ومِن شواهدِ ذلك أيضاً ما ذكرَه الواقديّ في مغازيه عن أبي بكرٍ الصِّدِّيق رضيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: جِئْتُ إلى النّبيّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ يومَ أُحُدٍ فقالَ[٣]: علَيك بِابْنِ عَمّك، فأتى طَلْحةَ بنَ عُبَيْدِ الله، وقدْ نَزَفَ الدّمُ، فَجَعَلْتُ أَنْضَحُ فِي وَجْهِهِ المَاءَ، وهو مَغْشِيّ علَيهِ، ثُمّ أفاقَ، فقالَ: ما فعلَ رَسُولُ الله؟ فَقُلْت: خيرًا، هو أَرْسَلَني إلَيك، قالَ: الحَمْدُ لِله كُلّ مُصِيبةٍ بعدَهُ جَلَلٌ[٤][٥].

❊ ❊ ❊

(١) صحيح البخاري رقم٢٥٨١.
(٢) السيرة النبوية لابن حبان ١/ ٢١٨.
(٣) رغم ما حلَّ برسولِ الله صلىَّ اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ من جراح.
(٤) أي قليلة.
(٥) مغازي الواقدي ١/ ٢٥٥.

القاعدة الرابعة
كسب العدوّ بالطرائق الودّية

قال الله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤].

الأصل في شخصية النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ الحربية السِّلم، ولا يجنح إلى القتال إلا بعد استنفاذ وسائل الدعوة الأخرى، فكان النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يعمل على كسب العدوّ بترغيبه بأشياء مادية أو معنوية، أو إجراء الصلح معه ما أمكن إلى ذلك سبيلاً؛ كما يفهم من الآية السابقة، فإذا كسب عدوّه وضعَه في المكان الصحيح له، واستخدمه فيما هو أهل له.

والأمثلة على كسب العدوِّ وترغيبه في الإسلام واستخدامه كدرع عسكريّ لما وراءه من الكفار ما قاله ابن هشام أنه صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ سأَلَ وَفْدَ هَوازِنَ عن مالِكِ بنِ عَوْفٍ: ما فعلَ؟

فقالوا: هو بالطّائِفِ مَعَ ثَقِيفٍ.

فقالَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: «أَخْبِرُوا مالِكًا: أَنَّهُ إنْ أَتاني مُسلمًا رَدَدْت علَيْه أَهْلَهُ ومالَهُ، وأعطَيْتُه مِئةً مِن الإبلِ».

فأُتيَ مالِكٌ بذلكَ، فخرجَ إلَيهِ مِن الطّائِفِ، وقد كانَ مالِكٌ خافَ ثَقِيفًا على نفسهِ أنْ يعلموا أَنّ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ قالَ لهُ ما قالَ، فيحبِسوهُ، فأمرَ بِراحِلتِهِ، فَهُيِّئَتْ لهُ وأمرَ بفرسٍ لهُ فأُتيَ بِهِ إلى الطّائِفِ، فَخَرَجَ لَيْلًا، فَجلسَ على فرسِهِ فرَكَضَهُ حَتّى أَتَى رَاحِلَتَهُ، حَيْثُ أَمَرَ بها أَنْ تُحْبَسَ فَرَكِبَها،

فَلَحِقَ بِرسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ؛ فَأَدْرَكَهُ بِالجِعْرانةِ[١] أو بِمَكّةَ، فَرَدّ علَيهِ أَهلَهُ ومالهُ وأعطاهُ مِئةً مِن الإبلِ، وأسلَمَ فَحَسُنَ إسلامُهُ.

فقالَ مالكُ بنُ عَوْفٍ حينَ أسلَمَ :

ما إنْ رَأَيْتُ ولا سَــمِعْتُ بِمِثْلِهِ ... فِي النّاسِ كُلّهِــم بِمِثْلِ مُحَمّدِ

أَوْفَى وأعطَى لِلجزيلِ إذا اجْتُدِي ... ومتى تشَــأْ يُخْبِرْكَ عَمّا فِي غَدِ

وإذا الكَتيبــةُ عَــرّدَتْ أَنْيَابُهــا ... بالسّــمْهَرِيّ وَضَرْبِ كُلّ مُهَنّدِ

فكأنّــهُ لَيْــثٌ علــى أَشْــبالِهِ ... وَسْــطَ الهَباءَةِ خادِرٌ فِي مَرْصَدِ

فاستعْملَهُ رسولُ اللّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ على مَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ؛ وتلكَ القَبائِلُ ثُمالَةُ وَسَلِمَةُ وَفَهْمٌ، فكانَ يُقاتِلُ بِهِمْ ثَقِيفًا، لا يَخْرُجُ لَهُمْ سَرْحٌ إلّا أَغارَ علَيْهِ حَتّى ضَيّقَ علَيْهِمْ[٢].

وبهذا أمَّن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم الجبهة الجنوبية للمدينة المنورة، كي يتوجّه للجبهة الشمالية منها.

* * *

(١) وهي بلدة بين مكة والطائف، نزلها النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لما قسم غنائم هوازن مرجعَه من غزاة حُنين، وأحرم منها للعمرة، حيث يمرُّ منها حدّ الحرم من الجهة الشمالية الشرقية. راجع المعالم الأثيرة في السنة والسيرة ص ٩٠.

الإحداثيات: "٤٠ ,٤ '٥٧ °٣٩ "٨٣ ,٥ '٣٤ °٢١

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٩٠.

القاعدة الخامسة
رعاية أسرى الحرب

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الأنفال: ٧٠].

هذه الآية أصلٌ عظيمٌ في رعاية الأسرى والإحسان إليهم، فمِن عظيم رحمته صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ بالأسرى أنه كان يطعمهم، ويسقيهم، ويبعد عنهم ما يُؤذيهم، فلا يجوز قتلهم صبراً، ولا تعذيبهم، ويجوز العفو عنهم أو قبول الفداء منهم، وكان هذا الخُلُق أهم الأسباب في دخولهم الإسلام، حتى جاء في هذا حديث صحيح رواه البخاري وغيره عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: «عَجِبَ الله من قَوْمٍ يدخلونَ الجَنَّةَ في السَّلاسِلِ»(١).

معناه: يُؤْسَرونَ ويُقَيَّدونَ ثُمَّ يُسْلِمونَ فيَدخلونَ الجَنَّةَ.

وقد مدح الله تعالى الإحسان للأسير فقال: ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨].

وقال الله تعالى في قضية إطلاق الأسير والعفو عنه: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَا..﴾ [محمد: ٤].

---

(١) صحيح البخاري رقم ٣٠١٠.

ومن الشواهد على الإحسان للأسير ما قالَه ابنُ إسْحاقَ: حَدّثَنِي نُبيّهُ بنُ وَهْبٍ أَخُو بَنِي عَبْدِ الدّارِ أَنّ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ حِينَ أَقْبَلَ بِالأُسارى فَرّقَهُمْ بينَ أصحابِهِ، وقالَ: «اسْتَوْصُوا بِالأُسارى خَيْرًا».

قالَ: وكانَ أبو عزيزِ بنُ عُمَيْرِ بنِ هَاشِمٍ، أَخُو مُصْعَبِ بنِ عُمَيْرٍ لِأَبيهِ وأُمّهِ فِي الأُسارى.

قالَ: فقالَ أَبُو عَزِيزٍ: مَرّ بِي أَخِي مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَرَجُلٌ مِن الأَنْصَارِ يَأْسِرُنِي، فقالَ: شُدّ يَدَيْك بِهِ، فَإِنّ أُمّهُ ذَاتُ مَتَاعٍ لَعَلّهَا تَفْدِيهِ مِنْك.

قالَ: وَكُنْتُ فِي رَهْطٍ مِنَ الأَنْصَارِ حِينَ أَقْبَلُوا بِي مِنْ بَدْرٍ، فكانُوا إذَا قَدّمُوا غَداءَهُمْ وعَشاءَهُمْ خَصُّونِي بِالْخُبْزِ، وَأَكَلُوا التّمْرَ؛ لِوَصِيّةِ رَسُولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ إيّاهُمْ بِنَا، مَا تَقَعُ فِي يَدِ رَجُلٍ مِنْهُمْ كِسْرَةُ خُبْزٍ إلّا نَفَحَنِي بِها، قالَ: فَأَسْتَحْيِي فَأَرُدّهَا على أَحَدِهِمْ فَيَرُدّهَا عَلَيّ ما يَمَسّهَا[1].

وذكر الواقدي رحمه الله تعالى أن رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ قال في بني قريظة: أَحْسِنوا إسارَهُمْ وقَيّلُوهُمْ واسْقوهُمْ حَتّى يُبْرِدوا فَتَقْتُلُوا مَنْ بَقِيَ، لَا تَجْمَعُوا عليهِمْ حَرَّ الشّمْسِ وَحَرّ السّلاحِ، وكانَ يَوْمًا صائِفًا..

وَنَظَرَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ إلى سَلْمى بِنْتِ قَيْسٍ، وكانَتْ إحْدَى خالاتِهِ، وكانَتْ قَدْ صَلّتْ الْقِبْلَتَيْنِ وَبَايَعَتْهُ؛ وكانَ رِفَاعَةُ بنُ سَمَوْأَلٍ لَهُ انْقِطَاعٌ إلَيْهَا وَإِلَى أَخِيهَا سَلِيطِ بْنِ قَيْسٍ وَأَهْلِ الدّارِ، وكانَ حِينَ حُبِسَ أَرْسَلَ إلَيْهَا أَنْ كَلّمِي مُحَمّدًا فِي تَرْكِي، فَإِنّ لِي بِكُمْ حُرْمَةً وَأَنْتِ إحْدَى أُمّهَاتِهِ فتكُونَ لَكُمْ عِنْدِي يَدًا إلى يومِ القِيامةِ.

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٦٥٤.

فقالَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: «ما لَك يَا أُمّ الْمُنْذِرِ؟»

قالَتْ: يا رسولَ الله! رِفاعَةُ بنُ سَمَوْأَلٍ كانَ يَغْشانا وَلَهُ بِنا حُرْمَةٌ فَهَبْهُ لِي.

وقد رَآهُ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يَلُوذُ بِها، فقالَ رسولُ اللّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: «نَعَمْ هُوَ لَكِ».

ثُمّ قالَتْ: يا رسولَ الله! إنّهُ سَيُصَلّي وَيَأْكُلُ لَحْمَ الْجَمَلِ، فَتَبَسّمَ النّبِيّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ ثُمّ قَالَ: «إنْ يُصَلّ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، وَإِنْ يَثْبُتْ على دِينِهِ فَهُوَ شَرّ لَهُ»[1].

* * *

(١) مغازي الواقدي ٥/ ٥١٥.

القاعدة السادسة
وفاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأعدائه

قال الله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

إنّ الإحسان من أكبر وسائل أَسْرِ الإنسان، ويزيد الأمر جمالاً إذا كان المُحْسَنُ إليه عدوّاً مسالِمَاً، فجميلُ المعاملة معه من أفضل الوسائل لترغيبه في الدخول في دين الله تعالى، وبهذا أمَرَ الله تعالى وشَهِدَت السُّنّة المطهّرة به، ودرجَ عليه عمل السَّلَف الصالح.

فكان النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم يُغلِّب جانب الصفح على الانتقام، بل ويُسْدي بالمعروف على أعدائه.

فبعد أنِ انتصرَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في حُنين على هوازن وثَقيف، وأَسَرَ منهمُ الكثير قَدِمَ إليه وَفْدُ هَوازِنَ، وهم أربعةَ عشَرَ رَجُلًا أسلموا وجاؤوا بإسلام مَنْ وراءَهم مِنْ قومهم فكانَ رأسَ القومِ والمُتكَلّمَ أبو صُرَدٍ زُهَيرُ ابنُ صُرَدٍ عَمُّ النَّبيّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ مِنَ الرّضاعةِ.

قالَ يومئذٍ: يا رسولَ الله! إنّمَا في هذهِ الحظائِرِ مَنْ كانَ يَكْفُلُك مِنْ عَمّاتِك وخالاتِك وحواضِنِك، وقد حَضَنّاك في حُجُورِنا، وأرضعناك بِثُدِيّنا، ولقد رَأَيْتُك مُرْضَعًا فَمَا رَأَيْتُ مُرْضَعًا خَيْرًا مِنْك، وَرَأَيْتُك فَطِيمًا فما رأيتُ فَطِيمًا خَيْرًا مِنْك، ثُمّ رأيتُك شَابّاً فما رأيتُ شَابّاً خَيْرًا مِنْك، وقد تَكامَلَتْ فِيك خِلَالُ الخَيْرِ، ونحنُ مَعَ ذلك أَهْلُك وعشيرتُك، فامْنُنْ علَينا مَنَّ اللهُ علَيك.

وكان رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ قد اسْتَأْنَى بِهِمْ حَتّى ظَنَّ أَنّهمْ لا يقْدُمونَ، فَقُسِّمَ السّبْيُ وَجَرَتْ فيهِم السُّهْمانُ.

فقالَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: إنّ أَحْسَنَ الحديثِ أَصْدَقُهُ، وعندي مَنْ تَرَوْنَ مِن المُسْلِمِينَ، فأبناؤُكم ونساؤُكُمْ أَحَبّ إلَيكُمْ أَمْ أموالُكم؟

قَالُوا: يا رسولَ الله خَيّرْتنا بين أَحْسابِنا وبينَ أموالِنا، وما كُنّا نَعْدِلُ بِالأَحْسابِ شَيْئًا، فَرُدّ علَينا أبناءَنا ونساءَنا.

فقالَ النّبِيّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: أَمّا ما لِي وَلِبَني عبد المُطّلِبِ فَهُوَ لَكُمْ، وَأَسْأَلُ لَكُمُ النّاسَ.

وإذا صَلّيْتُ الظّهْرَ بِالنّاسِ فَقُولوا: إنّا لنسْتَشْفِعُ بِرَسولِ الله إلى المُسْلِمِينَ وبِالمُسْلِمِينَ إلى رسولِ الله، فَإِنّي سَأَقُولُ لَكُمْ: ما كانَ لِي وَلِبَنِي عَبْدِ المُطّلِبِ فَهُوَ لَكُمْ وسأطلبُ لَكُمْ إلى النّاسِ.

فَلَمّا صَلّى رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ الظّهْرَ بِالنّاسِ قَامُوا فَتكَلّمُوا بِالّذِي أَمَرَهُمْ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، فقالُوا: إنّا نَسْتَشْفِعُ بِرَسولِ الله إلى المُسْلِمِينَ، وبِالمُسْلِمِينَ إلى رسولِ الله.

فقالَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: أَمّا ما كانَ لِي ولبني عبد المُطّلِبِ فَهُوَ لَكُمْ.

فقالَ المُهاجِرونَ: فما كانَ لَنا فَهُوَ لِرَسُولِ الله، وقالت الأنصارُ: ما كانَ لَنَا فَهُوَ لِرَسولِ الله، وقالَ الأَقْرَع بن حابِس: أَمّا أَنا وبنو تَمِيم فلا.

وقالَ عُيَيْنَةُ: أَمّا أَنا وبنو فَزارة فَلَا.

وقالَ العَبَّاس بن مِرْدَاس: أَمَّا أَنا وبنو سليم فَلَا.

فَقَالَتْ بنو سلِيم: بَلْ مَا كانَ لَنَا فَهُوَ لِرسولِ الله.

ثُمّ قامَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ في النّاسِ خَطيبًا، فقالَ: إنّ كُلّ هؤلاءِ القومِ جاؤوا مُسْلِمِينَ، وقد كُنْت اسْتَأْنَيْتُ بِهِمْ فَخَيّرْتهمْ بين النّساءِ والأبناءِ والأموالِ، فلمْ يَعْدِلُوا بِالنّساءِ والأبناءِ فمَنْ كانَ عنده مِنْهُنّ شَيءٌ فَطابَتْ نَفْسُهُ أَنْ يَرُدّهُ فَلْيُرْسِلْ، ومَنْ أَبى مِنْكُمْ وَتَمَسّكَ بِحَقّهِ فَلْيَرُدّ علَيهِمْ، وليكنْ فَرْضًا علَينا سِتّ فَرائِضَ مِنْ أَوّلِ ما يَفيءُ اللهُ بِهِ علَينا [1].

قالُوا: يا رسولَ الله رَضِينا وَسَلّمْنَا.. [2]

فكان هذا سبب إعتاقهم عن بَكْرَة أبيهم، فعادت فواضله عليه السلام عليهم قديماً وحديثاً وخصوصاً وعموماً.

❊ ❊ ❊

(١) والفرائض هي الإبل.
(٢) مغازي الواقدي ١/ ٩٥٠.

القاعدة السابعة
إعلام العدو بالحرب عند نقض العهد

قال الله تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨].

أي: إن واجهتَ أقواماً ناقضينَ للعهود والمواثيق في المعركة، فأنزِلْ بهم من العذاب ما يُدْخل الرُّعبَ في قلوبهم، ويشتت جموعهم؛ لعلهم يذّكرون، فلا يجترئون على مثل الذي أقدم عليه السابقون، وإن خفت ـ أيها الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ من قومٍ خيانةً ظهرت بوادرها فألقِ إليهم عهدهم، كي يكون الطرفان مستويين في العلم بأنه لا عهد بعد اليوم بينكم، إن الله لا يحبُّ الخائنين في عهودهم الناقضين للعهد والميثاق.

وإن لم يكن بالمشركين غدر وخيانة وتمَّ الصلحُ بينهم وبين المسلمين وفق معاهدة ذات شروط، إلى مدّةٍ مُحدَّدة، وجبَ على المسلمين الوفاء بتلك المعاهدة، ولا يجوز نقضها من غير علم الطرف الآخر، وبالتالي يَحرُم الغدر.

ومن الشواهد على وجوب إعلام العدوّ بالحرب عند نقض العهد؛ ما رواه الترمذي رحمه الله تعالى عن سُلَيْم بن عامِرٍ أنه قال: كان بين مُعَاوِيةَ وبينَ أهلِ الرّومِ عَهْدٌ، وكانَ يَسِيرُ في بِلادِهم، حتى إذا انْقَضَى العَهْدُ أغَارَ عليهمْ، فإذا رَجُلٌ على دَابَّة أو على فَرَسٍ وهو يقولُ: اللهُ أكْبَرُ وَفَاءٌ لا غَدْرٌ، وإذا هُوَ عَمْرو بن عَبَسَةَ، فسألَهُ مُعَاوِيةُ عن ذلكَ، فقالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ

يَقُولُ: مَنْ كانَ بينهُ وبينَ قَوْمٍ عَهْدٌ فلا يَحُلّنَّ عَهْداً ولا يَشُدّنّهُ حتّى يَمْضِيَ أمَدُهُ، أو يَنْبِذَ إليهِم على سَوَاء.

قال: فَرَجَعَ مُعَاوِيةُ رضي الله عنه بالناسِ[1].

❊ ❊ ❊

(١) سنن الترمذي رقم١٥٨٣، وقال أبو عيسى: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

القاعدة الثامنة
العفو والصفح والسماحة مع المغلوب

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

إن العفو والصفح مع المغلوب لَمِنْ أكبر الأسباب التي استخدمها النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ مع أعدائه حين الظفر بهم؛ لتأليف قلوبهم وترغيبهم في هذا الدِّين، وكانت مواقفه صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ في الصفح مع المغلوب أكثر من أن تحصى، وبهذا أمر القرآن الكريم كما في الآية السابقة.

ومن شواهد العفو في الحديث الشريف ما أخرجه أحمد وغيره عن جابرِ بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال: قاتلَ رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ مُحَارِبَ خَصَفَةَ بِنَخْلٍ[1]، فَرَأَوْا مِنَ المُسْلِمِينَ غِرَّةً، فَجَاءَ رَجُلٌ منهم يُقَالُ له: غَوْرَثُ بن الحارث، حتى قام على رَأْسِ رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ بِالسَّيْفِ، فقال: مَن يَمنعُكَ منّي؟

(١) هذه الغزوة هي غزوة نجْد أو ذاتِ الرِّقاع أو غزوة الأعاجيب، وكانت بعد غزوة خيبر أي في السنة السابعة للهجرة.
وحدثت في وادي الشُّقْرة قريباً من قرية النُّخيل التابعة لمحافظة الحناكية، حيث نزل فيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وهو ما يزال بهذا الاسم، وهو واد يمرّ من الطرف الجنوبي الغربي من النُّخيل، وينزل في قرية الشقرة، ويبعد عن المدينة ١١٥كم.

الإحداثيات: "٤٣ ,٣٠ '١٦ °٤٠ "٦٨ ,١٢ '٤٧ °٢٤

قال: الله عزّ وجلّ، فَسَقَطَ السَّيْفُ من يَدِهِ، فَأَخَذَهُ رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ.

فقال: «من يَمْنَعُكَ مني»؟

قال: كُنْ كخَيرِ آخِذٍ.

قال: «أَتَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا الله؟»

قال: لا، ولكنّي أُعَاهِدُكَ أَنْ لا أُقاتِلَكَ، ولا أَكُونَ مع قَوْمٍ يُقاتِلُونَكَ، فَخَلَّى سَبِيلَهُ.

قال: فَذَهَبَ إلى أصحابِهِ قال: قد جِئْتُكُمْ من عندِ خَيْرِ الناس![1].

وروى أيضاً عن عائشةَ أُمِّ المُؤمِنينَ رضي الله عنها أنها قالت: لَمَّا قَسَمَ رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ سبايا بَني المُصْطَلِقِ، وَقَعَتْ جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الحارث في السَّهْمِ لِثَابِتِ بن قَيْسِ بن الشَّماس أو لابنِ عَمٍّ له، وكاتَبَتْهُ على نفسِها – وكانت امْرَأَةً حُلْوَةً مُلَّاحةً لا يَراها أحدٌ إلا أَخَذَتْ بِنَفْسِهِ–، فَأَتَتْ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ تَسْتَعِينُهُ في كِتابَتها.

قالت: فَوَالله ما هو إلا أنْ رَأَيْتُهَا على بابِ حُجرتي فَكَرِهْتُها، وعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَرى منها ما رأيتُ، فَدَخَلَتْ عليه، فقالت: يا رسولَ الله أنا جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الحارث ابن أَبِي ضِرارٍ؛ سَيِّدِ قَوْمِهِ، وقد أصابني مِنَ البلاءِ ما لم يَخْفَ عَلَيْكَ، فَوَقَعْتُ في السَّهْمِ لِثابِتِ بن قَيْسِ بن الشَّمَّاسِ أو لابنِ عَمٍّ له، فَكَاتَبْتُهُ على نفسي، فَجِئْتُكَ أَسْتَعِينُكَ على كتابتي.

قال: «فَهَلْ لَكِ في خَيْرٍ من ذلك؟»

---

(١) مسند الإمام أحمد، رقم ١٤٤٠١، والحديث أخرجه البخاري أيضاً في صحيحه، رقم ٤١٣٦.

قالت: وما هو يا رسولَ الله؟

قال: «أقضي كِتَابَتَكِ وَأَتَزَوَّجُكِ».

قالت: نعم يا رسولَ الله.

قال: «قد فَعَلْتُ».

قالت عائشة: وخرجَ الخَبَرُ إلى الناس أن رسولَ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ تَزَوَّجَ جُوَيْرِيةَ بِنْتَ الحارث، فقال الناس: أَصْهَارُ رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، فَأَرْسَلُوا ما بِأَيْدِيهِمْ، قالت: فَلَقَدْ أَعْتَقَ بِتَزْوِيجِهِ إِيَّاهَا مِائَةَ أَهْلِ بَيْتٍ من بَنِي المُصْطَلِقِ، فما أَعْلَمُ امْرَأَةً كانت أَعْظَمَ بَرَكَةً على قَوْمِهَا منها[1].

وقال ابن سعد: عن أبي قلابة أن النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ سبى جويريةَ بنتَ الحارثِ فجاءَ أبوها إلى النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، فقال: إن ابنَتِي لا يُسبى مثلها، فأنا أكرمُ من ذاك، فخلِّ سبيلها، قال النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: «أرأيتَ إنْ خيَّرناها أليسَ قد أحسنَّا؟»

قال: بلى، وأدَّيتَ ما عليك.

قال: فأتاها أبوها.

فقال: إنَّ هذا الرجل قد خَيَّرك فلا تفْضَحِينا.

فقالت: فإني قد اخترتُ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ.

قال: قد والله فَضَحَتْنَا[2].

---

(١) مسند الإمام أحمد، رقم ٢٥١٦١.

(٢) الطبقات الكبرى ٨/ ١١٨.

القاعدة التاسعة
منع التمثيل بجثث الأعداء أو تعذيب جرحاهم

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦].

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٣].

هذه الآية الأخيرة تُحرِّم التجاوز في القتل بأي سبب من الأسباب؛ إلا أن يكون حقّاً، ومن التجاوز التمثيل والتعذيب إلا بإذن من الشارع الحكيم.

ويوضّح هذا سبب نزول الآية الأولى؛ وهو أنه لما قُتِلَ حَمْزَةُ عمُّ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وَمُثِّلَ بِهِ، فقالَ رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «لَئِنْ ظَهَرْنَا علَيهم لَنُمَثِّلَنَّ بِثلاثِينَ رَجُلًا مِنْهُمْ».

فَلَمَّا سَمِعَ المُسْلِمُونَ بِذَلِكَ، قالوا: وَاللهِ لَئِنْ ظَهَرْنَا علَيهِم لَنُمَثِّلَنَّ بِهِمْ مُثْلَةً لم يُمَثِّلْها أَحَدٌ مِنَ العَرَبِ بِأَحَدٍ قَطُّ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾[1].

فالتمثيل في الإسلام حرام؛ لأنه لا فائدة منه، وقد كرم الله تعالى بني آدم، فلا يجوز تقطيع الميت أو جزء منه للتمثيل به، إلا إذا كانت هناك ضرورة، فيجوز بأمرِ وليِّ الأمر.

---

(١) تفسير الطبري (جامع البيان) ١٤/ ٤٠٣.

ومن الشواهد على ذلك أيضاً ما رواه مسلم عَنْ بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قالَ: كانَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا على جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ في خاصَّتِهِ بِتَقْوى الله وَمَنْ مَعَهُ مِنْ المُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قالَ: «اغْزُوا بِاسْمِ الله، في سَبِيلِ الله، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِالله، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا وَلَا تَغْدِرُوا وَلَا تَمْثُلُوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا..»[1].

وذكر الواقدي رحمه الله تعالى أن رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ قال في بني قريظة: أَحْسِنوا إسارَهُمْ وَقَيِّلُوهُمْ وَاسْقُوهُمْ حَتّى يُبْرِدُوا فَتَقْتُلُوا مَنْ بَقِيَ، لَا تَجْمَعُوا عَلَيْهِمْ حَرّ الشّمْسِ وَحَرّ السّلَاحِ، وكانَ يَوْمًا صَائِفًا..[2].

❊ ❊ ❊

(١) رواه مسلم، رقم ٣٢٦١.
(٢) مغازي الواقدي ٥/ ٥١٥.

القاعدة العاشرة
حرمة الاعتداء على الأعداء بغير حقّ

قال الله تعالى: ﴿..وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

أي ولا يحملنَّكم بُغضُ قوم ـ وهم أهل مكة المشركين ـ بسبب أنهم منعوكم من المسجد الحرام عام الحديبية أن تعتدوا على الناس القاصدين بيت الله فتستحلوا دماءهم.

وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ * فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩٠- ١٩٢].

حرَّم الإسلام الاعتداء على كل ما ليس له علاقة بالحرب، كتخريب البيوت والمعامل والمصانع والمزارع، ونهب الممتلكات، الخاصة والعامة.

والأدلّة في هذا من السُّنّة المطهّرة كثيرة ومنها:

ما رواه الإمام أحمد رحمه الله عن ثوبانَ مَولى رسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ أَنَّهُ سَمِعَ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يقولُ: مَنْ

قَتَلَ صغيرًا أو كبيرًا أو أَحْرَقَ نَخْلًا أو قَطعَ شجَرةً مُثْمِرَةً أو ذَبَحَ شاةً لِإِهابِها، لَمْ يَرْجِعْ كَفافًا[١].

وقال أبو بكرٍ رضي الله عنه موصيًا أحد قادته: إِنِّي مُوصِيكَ بِعَشْرٍ؛ لا تَقْتُلَنَّ امْرَأَةً، وَلا صَبِيًّا، ولا كبيرًا هَرِمًا، ولا تَقْطَعَنَّ شَجَرًا مُثْمِرًا، ولاَ تُخَرِّبَنَّ عامِرًا، ولا تَعْقِرَنَّ شاةً ولا بَعيرًا إِلَّا لِمَأْكُلَةٍ، ولا تَحْرِقَنَّ نخلاً ولا تغرِّقنّه، ولا تَغْلُلْ، ولا تَجْبُنْ[٢].

* * *

(١) مسند الإمام أحمد، رقم٢١٣٣٤.
(٢) رواه مالك، رقم١٠.

القاعدة الحادية عشرة
النهي عن قتل غير المقاتلين

قال الله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].

حرَّم الإسلام إزهاق الأرواح ممن ليس له علاقة بالحرب، كقتل النساء والصبيان، وكبار السِّنّ، والعُبّاد، وكذا قتل الأسير ممن لم يثبت عليه جرم القتل؛ وجعله من قسم الاعتداء بغير حقّ.

والأدلة في هذا كثيرة، ومنها:

روى الشيخان عن ابن عُمَرَ رضي الله عنهما أنه قال: وُجِدَتِ امْرَأَةٌ مَقْتُولةً في بعضِ مَغازي رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، فَنَهَى رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ عن قَتْلِ النِّساءِ والصِّبْيانِ[1].

* * *

(١) رواه البخاري رقم ٣٠١٤، ومسلم رقم ١٧٤٤.

القاعدة الثانية عشرة
الوفاء بتأمين المحاربين والمُسْتأمَنِين

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦].

إن الإسلام دين السِّلم والسلام، وهو دين الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، فإذا طلب أحد المحارَبين من غير المسلمين الأمان فإنَّه يُعطى الأمان من أجل أن يفهمَ هذا الدِّين، إن لمْ يكنْ هناك ضرر باستئمانه، ليتعرَّف على القرآن وسنّة النبي العدنان صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وكذلك الشأن في كل مَن دخل دار الإسلام بأمان من غير المسلمين؛ يَحرُم الاعتداء عليهم، أو الغدر بهم بعد أخذه الأمان، كما دلّت عليه الآية السابقة.

ومن الشواهد على ذلك:

روى أبو داود عن صَفْوانَ بن سُلَيْم عن بعض الصحابة أن رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ قال: «ألا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أو انْتَقَصهُ أو كَلَّفَهُ فَوقَ طاقَتِهِ أو أَخَذَ منه شيئاً بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ؛ فَأَنَا حَجِيجُهُ يوم القِيامةِ»(١).

ومن جميل صفحه صلى الله عليه وعلى آله وسلم وإعطائه الأمان لغير المسلمين رغم الإساءة منهم له، ما أخرجه ابن حِبَّان في قصة إسلام زَيْدِ بنِ سَعْنَةَ عن عبد الله بنِ سَلَّامٍ أنه قال: إِنَّ اللهَ تَبارَكَ وتَعالى لَمَّا أَرادَ هُدَى زَيْدِ بنِ

(١) رواه أبو داود رقم٣٠٥٢.

سَعْنةَ قالَ زَيْدُ بنُ سَـعْنةَ: إِنَّـهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ عَلاماتِ النُّبُوَّةِ شيءٌ إِلَّا وقد عَرَفْتُهَا فِي وَجْهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آله وسَلَّمَ حِينَ نَظَرْتُ إِلَيهِ، إِلَّا اثْنَتَيْنِ لَمْ أَخْبُرْهُمَا مِنْهُ؛ يَسْبِقُ حِلْمُهُ جَهْلَهُ، وَلَا يَزِيدُهُ شِدَّةُ الجَهْلِ عَلَيْهِ إِلَّا حِلْمًا.

فَكُنْتُ أَتَلَطَّفُ لَهُ لِأَنْ أُخالِطَهُ فَأَعْرِفَ حِلْمَهُ وَجَهْلَهُ.

قالَ: فَخَرجَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِه سَلَّمَ مِنَ الحُجُراتِ ومَعَهُ عَلِيُّ بنُ أَبِي طالِبٍ فأَتاهُ رَجُلٌ على راحِلَتِهِ كالبَدَوِيِّ، فقالَ: يا رسولَ الله! قَرْيَةُ بَني فُلانٍ قد أَسْلَموا ودَخَلوا في الإسلام، وكنتُ أَخبرتُهُمْ أَنَّهم إِنْ أَسلَموا أَتاهُمُ الرِّزْقُ رَغَدًا وقد أَصابَهُمْ شِدَّةٌ وَقَحْطٌ مِنَ الغَيثِ، وأَنا أَخْشى يا رسولَ الله أَنْ يَخْرُجوا مِنَ الإسلامِ طَمَعًا كما دَخَلوا فِيهِ طَمَعًا، فإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُرْسِلَ إِلَيهِمْ مَنْ يُغِيثُهُمْ بِهِ فَعَلْتَ.

قالَ: فَنَظَرَ رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إِلى رَجُلٍ جانِبَهُ أُراهُ عُمَرُ؟[1]

فقالَ: ما بَقِيَ مِنْهُ شَيْءٌ يا رسولَ الله!

قالَ زَيْدُ بْنُ سَعْنةَ فَدَنَوتُ إِلَيهِ فَقُلْتُ لَهُ: يا مُحَمَّدُ! هَلْ لَكَ أَنْ تَبِيعَنِي تَمْرًا مَعْلُومًا مِنْ حائِطِ بَنِي فُلَانٍ إِلى أَجَلِ كَذَا وَكَذَا؟

فقالَ: لَا، يا يَهُودِيُّ! وَلَكِنْ أَبِيعُكَ تَمْرًا مَعْلُومًا إِلى أَجَلِ كَذَا وَكَذَا، ولا أُسَمِّي حائِطَ بَنِي فُلَانٍ.

قُلْتُ: نَعَمْ، فَبايَعَنِي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فَأَطْلَقْتُ هِمْيانِي[2] فأَعْطَيْتُهُ ثَمانِينَ مِثْقالًا مِنْ ذَهَبٍ في تَمْرٍ مَعْلُومٍ إِلى أَجَلِ كَذَا وَكَذَا.

قالَ: فَأَعْطاها الرَّجُلَ، وقالَ: اعْجَلْ عَلَيهِمْ وأَغِثْهُمْ بِها.

---

(١) كأنه يسأله هل بقي مِن مال لنبعث لهم؟.

(٢) كيس للنفقة يُشدُّ في الوسط.

قالَ زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ: فَلَمَّا كانَ قَبْلَ مَحَلِّ الأَجَلِ بِيَوْمَيْنِ أو ثَلَاثَةٍ خَرَجَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِه وسَلَّمَ في جَنازَةِ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ، ومعَهُ أَبُو بكرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَنَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا صَلَّى على الْجَنَازَةِ دَنَا مِنْ جِدَارٍ فَجَلَسَ إِلَيْهِ، فَأَخَذْتُ بِمَجَامِعِ قَمِيصِهِ، وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ بِوَجْهٍ غَلِيظٍ، ثُمَّ قُلْتُ: أَلَا تَقْضِينِي يَا مُحَمَّدُ! حَقِّي، فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُكُمْ بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ بِمُطْلٍ، وَلَقَدْ كانَ لي بِمُخَالَطَتِكُمْ عِلْمٌ؟!

قَالَ: وَنَظَرْتُ إلى عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ وَعَيْنَاهُ تَدُورَانِ في وَجْهِهِ كَالْفَلَكِ المُسْتَدِيرِ، ثُمَّ رَمانِي بِبَصَرِهِ وقالَ: أَيْ عَدُوَّ الله، أَتَقُولُ لِرسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آله وسَلَّمَ مَا أَسْمَعُ، وَتَفْعَلُ بِهِ مَا أَرَى؟! فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالحَقِّ لَوْلا ما أُحَاذِرُ فَوْتَهُ[1] لَضَرَبْتُ بِسَيْفِي هَذَا عُنُقَكَ، وَرَسُولُ الله يَنْظُرُ إلى عُمَرَ في سُكُونٍ وَتُؤَدَةٍ.

ثُمَّ قالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آله وسَلَّمَ: «إِنَّا كُنَّا أَحْوَجَ إلى غَيْرِ هَذَا مِنْكَ يا عُمَرُ؛ أَنْ تَأْمُرَنِي بِحُسْنِ الأَداءِ وَتَأْمُرَهُ بِحُسْنِ التِّبَاعَةِ[2]، اذْهَبْ بِهِ يا عُمَرُ فَاقْضِهِ حَقَّهُ وَزِدْهُ عِشْرِينَ صَاعًا مِنْ غَيْرِهِ مَكانَ مَا رُعْتَهُ».

قالَ زَيْدٌ: فَذَهَبَ بِي عُمَرُ فَقَضَانِي حَقِّي وَزَادَنِي عِشْرِينَ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ.

فَقُلْتُ: مَا هَذِهِ الزِّيَادَةُ؟!

قَالَ: أَمَرَنِي رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أَنْ أَزِيدَكَ مَكانَ ما رُعْتُكَ.

فَقُلْتُ: أَتَعْرِفُنِي يَا عُمَرُ؟

قالَ: لا، فَمَنْ أَنْتَ؟

قُلْتُ: أَنَا زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ.

---

(١) وهو الدَّين الذي على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

(٢) طلب الدَّين.

قالَ: الْحَبْرُ؟!

قُلْتُ: نَعَمْ، الحَبْرُ.

قالَ: فَما دَعاكَ أَنْ تَقُولَ لِرسولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم مَا قُلْتَ وَتَفْعَلَ بِهِ مَا فَعَلْتَ؟

فَقُلْتُ: يَا عُمَرُ، كُلُّ عَلاماتِ النُّبُوَّةِ قد عَرَفْتُهَا في وَجْهِ رسولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ إِلَّا اثنتَين لَمْ أَخْتَبِرْهُمَا مِنْهُ: يَسْبِقُ حِلْمُهُ جَهْلَهُ، وَلَا يَزِيدُهُ شِدَّةُ الجَهْلِ عَلَيْهِ إِلَّا حِلْمًا، فَقَدِ اخْتَبَرْتُهُمَا، فَأُشْهِدُكَ يَا عُمَرُ أَنِّي قد رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وعلى آله وسلم نَبِيًّا، وَأُشْهِدُكَ أَنَّ شَطْرَ مالِي ـ فَإِنِّي أَكْثَرُها مالًا ـ صَدَقَةٌ على أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

فقالَ عُمَرُ: أو على بَعْضِهِمْ، فَإِنَّكَ لَا تَسَعُهُمْ كُلَّهُمْ.

قُلْتُ: أو على بَعْضِهِمْ، فَرَجَعَ عُمَرُ وَزَيْدٌ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال زَيْدٌ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فآمَنَ بِهِ وصدَّقَهُ، وَشَهِدَ مَعَ رسولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم مَشاهِدَ كَثِيرةً، ثُمَّ تُوُفِّيَ في غَزْوةِ تَبُوكَ مُقْبِلًا غَيرَ مدبرٍ[1].

ومن شواهد وجوب الوفاء مع المحاربين إذا أعطوا الأمان من فعل السلف ما سيأتي من أَنَّ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ رضي الله عنه أمر بالقصاص ممن قتلَ محارباً قد أعطي الأمان[2].

---

(١) صحيح ابن حبان رقم ٢٨٨.

(٢) راجع موطأ الإمام مالك رقم ١٦٣٠.

القاعدة الثالثة عشرة
الاستجابة للسلم، والتمسك بالثوابت

قال الله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الأنفال: ٦١].

غاية الجهاد هو هداية الناس إلى الله تعالى، فالجهاد يعمل على إزالة الحواجز البشرية لتبليغ دِين الله تعالى، فإذا وُجِدَت وسيلة أخرى لتبليغ دِين الله تعالى قُدِّمَت على الجهاد، وهذه الوسيلة كالصُّلح مع العدوّ مقابل نشر الدعوة في بلاده مثلاً، كما أشارت إلى ذلك الآية السابقة، وبعدها سيتعرَّف الكافر على الدِّين سلميًّا بدلَ أن يأتيه الجهاد فيتعرّف على الإسلام بواسطة القهر والغلبة.

فإذا تمّ العهد حَرُم نقضه، قال الله تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ﴾ [النحل: ٩١].

والشواهد من السُّنّة على وجوب الالتزام بالعهود والمواثيق مع العدوّ، بل ومدّ يد المسالمة له كثيرة، ومنها ما رواه البخاري رحمه الله عَنِ المِسْوَرِ بنِ مَخْرَمَةَ، ومَرْوانَ، أنهما قَالا في قصة صلح الحديبية: .. قالَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لاَ يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ الله إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا..

إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ، وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، وَإِنَّ قُرَيْشًا قد نَهِكَتْهُمُ الحَرْبُ،

وَأَضَرَّتْ بِهِمْ، فَإِنْ شَاؤوا مَادَدْتُهُمْ مُدَّةً، وَيُخَلُّوا بَيْنِي وبينَ النَّاسِ، فَإِنْ أَظْهَر: فَإِنْ شَاؤُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيما دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا، وَإِلَّا فَقَدْ جَمُّوا[1]، وَإِنْ هُمْ أَبَوْا، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأُقَاتِلَنَّهُمْ على أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي[2]، وَلَيُنْفِذَنَّ اللهُ أَمْرَهُ..».

قالَ الزُّهْرِيُّ في حَدِيثِهِ: فَجاءَ سُهَيْلُ بنُ عَمْرٍو فقالَ: هَاتِ اكْتُبْ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ كِتابًا، فَدَعَا النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ الكاتِبَ، فقالَ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ».

قالَ سُهَيْلٌ: أَمَّا الرَّحْمَنُ، فَوَاللهِ مَا أَدْرِي مَا هُوَ، ولَكِنِ اكْتُبْ: بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ.

فقالَ المسْلِمُونَ: واللهِ لاَ نَكْتُبُهَا إِلَّا بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

فقالَ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ: «اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ».

ثُمَّ قالَ: «هذا ما قاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رسولُ اللهِ».

فقالَ سُهَيْلٌ: واللهِ، لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رسولُ اللهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ البَيْتِ، ولا قَاتَلْناكَ، وَلَكِنِ اكْتُبْ: مُحَمَّدُ بنُ عبد اللهِ.

فقالَ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ: «واللهِ إِنِّي لَرَسُولُ اللهِ، وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي، اكْتُبْ: مُحَمَّدُ بنُ عبد اللهِ».

قالَ الزُّهْرِيُّ: وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ: «لاَ يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللهِ إِلَّا

---

(١) أي استراحوا من جهد الحرب.
(٢) مُقَدَّم العنق.

أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا».

فقالَ لَهُ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: «على أَنْ تُخَلُّوا بَيْنَنا وبينَ البَيْتِ، فَنَطُوفَ بِهِ».

فقالَ سُهَيْلٌ: والله، لا تَتَحَدَّثُ العَرَبُ أَنَّا أُخِذْنا ضُغْطَةً، وَلَكِنْ ذلك مِنَ العامِ المُقْبِلِ، فَكَتَبَ.

فقالَ سُهَيْلٌ: وَعَلَى أَنَّهُ لا يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ -وَإِنْ كانَ على دِينِكَ- إِلَّا رَدَدْتَهُ إِلَينا.

قالَ المُسْلِمُونَ: سُبْحانَ الله، كَيْفَ يُرَدُّ إِلى المُشْرِكِينَ وقد جاءَ مُسْلِمًا؟..[1].

وروى أبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: صالَحَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ أَهْلَ نَجْرَانَ على أَلْفَيْ حُلَّةٍ، النِّصْفُ في صَفَرٍ، والنِّصْفُ في رَجَبٍ، يُؤَدُّونَها إلى المُسْلِمِينَ، وعارِيةِ ثَلَاثِينَ دِرْعًا، وثَلَاثِينَ فَرَسًا، وثَلَاثِينَ بَعِيرًا، وثَلَاثِينَ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ مِنْ أَصْنَافِ السِّلَاحِ يَغْزُونَ بِها ضامِنونَ لَها حَتَّى يَرُدُّوها عَلَيهِمْ إِنْ كانَ بِاليَمَنِ كَيْدٌ، على أَنْ لَا تُهْدَمَ لَهُمْ بَيْعَةٌ، وَلَا يُخْرَجُ لَهُمْ قَسٌّ، وَلَا يُفْتَنُونَ عن دِينِهِمْ، مَا لَمْ يُحْدِثُوا حَدَثًا أو يَأْكُلُوا الرِّبَا[2].

* * *

(١) رواه البخاري رقم ٢٧٣١.

(٢) سنن أبي داود رقم ٣٠٤١.

القاعدة الرابعة عشرة
قبول جوار غير المسلم

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦].

بموجب الأمر الإلهي السابق أنه إذا طلب غير المسلمين الأمان منهم للدخول في بلاد المسلمين، فإنه يجوز أن يعطيهم ولي أمر المسلمين أو أحد من المسلمين هذا الأمان؛ لما في إعطائه الأمان من تعلمه للدين، وترغيباً له في الدخول فيه.

وهذا الخُلُق الدعوي له أمثلة كثيرة في السيرة النبوية وفي حياة السلف الصالح، ومن ذلك ما رواه الشيخان عن أُمِّ هانِئٍ بِنْتِ أَبِي طالِبٍ رضي الله عنها أنها قالت: ذَهَبْتُ إلى رسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ عامَ الفَتْحِ، فَوَجَدْتُهُ يَغْتَسِلُ، وَفَاطِمَةُ ابْنَتُهُ تَسْتُرُهُ.

قالَتْ: فَسَلَّمْتُ عَلَيهِ، فقالَ: «مَنْ هَذِهِ؟»

فَقُلْتُ: أَنَا أُمُّ هَانِئٍ بِنْتُ أَبِي طالِبٍ.

فقالَ: «مَرْحَبًا بِأُمِّ هانِئٍ»، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ غُسْلِهِ، قامَ فَصَلَّى ثَمَانِيَ رَكَعَاتٍ، مُلْتَحِفًا في ثَوْبٍ واحِدٍ، فَلَمَّا انْصَرَفَ.

قُلْتُ: يَا رسولَ الله، زَعَمَ ابْنُ أُمِّي[١] أَنَّهُ قَاتِلٌ رَجُلًا قد أَجَرْتُهُ، فُلانَ ابنَ هُبَيْرَةَ.

فقالَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: «قد أَجَرْنا مَنْ أَجَرْتِ يا أُمَّ هانِئٍ».

قالَتْ أُمُّ هانِئٍ: وذاكَ ضُحًى[٢].

❊ ❊ ❊

(١) علي بن أبي طالب.
(٢) رواه البخاري رقم٣١٧١، ومسلم رقم١١٧٩.

القاعدة الخامسة عشرة
حرمة الغدر بالكافر بعد إعطائه الأمان

قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: ٩١].

هذه الآية تدلّ على أنه لا يجوز التعرُّض للكافر بقتل أو سلبٍ أو سبٍّ أو غدرٍ إذا حصلَ على أمانٍ مِنْ أحد المسلمين.

وينوب عن هذا اليوم أخذ تأشيرة الدخول إلى البلاد المسلمة؛ فإنه بمثابة أخذ الأمان من وليِّ الأمر.

ودليل ذلك أيضاً ما رواه مسلم عن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه أنه قالَ: كانَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ إذا أَمَّرَ أَميرًا على جَيْشٍ أو سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ في خَاصَّتِهِ بِتَقْوى الله ومَنْ مَعَهُ مِنْ المُسلمِين خَيرًا، ثُمَّ قالَ: «اغْزُوا بِاسْمِ الله في سَبِيلِ الله، قاتِلوا مَنْ كَفَرَ بِالله اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا وَلَا تَغْدِرُوا وَلَا تَمْثُلُوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا..»[(١)].

وروى مالك رحمه الله تعالى أَنَّ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ رضي الله عنه كَتَبَ إلى عامِلِ جَيْشٍ، كانَ بَعَثَهُ: إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ رِجالًا مِنْكُمْ يَطْلُبُونَ العِلْجَ[(٢)]، حَتَّى إذا أَسْنَدَ في الجَبَلِ وَامْتَنَعَ، قالَ رَجُلٌ: مَطْرَسْ (يَقُولُ: لَا تَخَفْ) فإذا أَدْرَكَهُ قَتَلَهُ، وَإِنِّي وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا أَعْلَمُ مَكانَ وَاحِدٍ فَعَلَ ذَلِكَ، إِلَّا ضَرَبْتُ عُنُقَهُ[(٣)].

---

(١) رواه مسلم رقم٣٢٦١.
(٢) المشرك غير العربي.
(٣) موطأ الإمام مالك رقم١٦٣٠.

ومن الأدلة على حرمة الغدر ما تقدَّم معنا أيضاً مما رواه الترمذي رحمه الله تعالى عن سُلَيْم بن عامِرٍ أنه قال: كان بين مُعَاوِيةَ وبينَ أهلِ الرّومِ عَهْدٌ، وكانَ يَسيرُ في بِلادِهم، حتى إذا انْقَضَى العَهْدُ أغَارَ عليهمْ، فإذا رَجُلٌ على دَابّة أو على فَرَسٍ وهو يقولُ: الله أكْبَرُ وَفَاءٌ لا غَدْرٌ، وإذا هُوَ عَمْرو بن عَبَسَةَ.

فَسَأَلَهُ مُعَاوِيةُ عن ذلكَ، فقالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ كانَ بَيْنَهُ وبينَ قَوْمٍ عَهْدٌ فلا يَحُلّنّ عَهْداً ولا يَشُدّنّهُ حتّى يَمْضِيَ أمَدُهُ أو يَنْبِذَ إليهِم على سَواء».

قال: فَرَجَعَ مُعاوِيةُ رضي الله عنه بالناسِ[1].

❊ ❊ ❊

(١) سنن الترمذي رقم١٥٨٣.

القاعدة السادسة عشرة
الرفق بالعدوّ إنْ حصلت النِّكاية بما يردُّه عن كيده

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

قبل أن يكون النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قائداً عسكريّاً لا مثيلَ له بين قادة العالم في الإدارة العسكريَّة، ذات الأبعاد الإنسانية كان نبيّاً مرسَلاً، فهو صلى الله عليه وعلى آله وسلم الرحمة المهداة؛ رحمة بالمسلم وغير المسلم، ورحمة بالبيئة بما فيها من حيوان وشجر وحجر.

فالحرب عنده صلى الله عليه وعلى آله وسلم لها بُعد إنساني، وهو الحفاظ على النفس البشرية ما أمكن إلى ذلك سبيلاً، كما قال الله تعالى: ﴿..فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً..﴾ [محمد: ٤].

والهدف منها هو نشر دِين الله تعالى، فلعلَّ الله يهدي النفس غير المسلمة إن تقادم بها العهد.

ومن شواهد ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم عن سَلَمةَ بن الأكْوعِ رضي الله عنه أنه قالَ: خَرَجْتُ مِنَ المَدِينةِ ذَاهِبًا نَحْوَ الغابةِ، حَتَّى إذا كُنْتُ بِثَنِيَّةِ الغابةِ، لَقِيَنِي غُلاَمٌ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ، قُلْتُ: وَيْحَكَ ما بِكَ؟

قالَ: أُخِذَتْ لِقاحُ(١) النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ(٢).

---

(١) اللقاح: جمع لِقحة (بكسر اللام وفتحها)، ذات اللبن، قريبة العهد بالولادة.
هدف الغزوة ملاحقة عُيينة بن حِصْن الفزاري، الذي أغار على لقاح (الناقة التي لها لبن) النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم التي بالغابة، فاستاقها وقتل راعيها.

(٢) هذه الغزوة هي غزوة ذي قَرَدٍ وتسمى غزوة الغابة، وكانت ربيع الأول سنة ٦ من الهجرة،=

قُلْتُ: مَنْ أَخَذَها؟

قالَ: غَطَفانُ، وَفَزارَةُ[١] فَصَرَخْتُ ثَلاثَ صَرَخاتٍ أَسْمَعْتُ ما بين لابَتَيْها[٢]: يا صَباحاهْ يا صَباحاهْ[٣]، ثُمَّ انْدَفَعْتُ حَتَّى أَلْقاهُمْ، وقد أَخَذُوها، فَجَعَلْتُ أَرْمِيهِمْ، وَأَقُولُ:

أَنَا ابْنُ الأَكْوَعِ ... وَاليَوْمُ يَوْمُ الرُّضَّعْ[٤].

فاسْتَنْقَذْتُها[٥] مِنْهُمْ قَبْلَ أَنْ يَشْرَبُوا، فَأَقْبَلْتُ بِها أَسُوقُها، فَلَقِيَنِي النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ، فَقُلْتُ: يَا رسولَ الله إِنَّ القَوْمَ عِطاشٌ، وَإِنِّي أَعْجَلْتُهُمْ[٦] أَنْ يَشْرَبُوا سِقْيَهُمْ، فَابْعَثْ في إِثْرِهِمْ؟

فقالَ: «يا ابْنَ الأَكْوَعِ؛ مَلَكْتَ، فَأَسْجِحْ إِنَّ القَوْمَ يُقْرَوْنَ في قَوْمِهِمْ»[٧].

(فأسجِح) معناه فأَحْسِنْ وارفق، والسجاحة: السهولة: أي لا تأخذ بالشدة، بل ارفق فقد حصلت النكاية في العدوّ.

= ومكان الغزوة في منطقة الغابة، شمال غرب المدينة والتي تبعد عن المدينة المنورة نحو ٢٥كم، مقابل مفرق أبي الدود وقبيل سدّ الغابة بـ١كم.

الإحداثيات: "٢١,١٨'٣١°٣٩ "١٤,٥٠'٣٧°٢٤

(١) هما قبيلتان من العرب، وكان رأس القوم الذين أغاروا عُيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، وكان في خيل من غطفان. عمدة القاري ١٤/ ٢٨٥.

(٢) أي حرتيها الشرقية والغربية، والمدينة بينهما وهو حدّ للحرم من المشرق والمغرب. خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ١/ ٢٢.

(٣) يا صباحاه: هو منادى مستغاث والألف للاستغاثة، والهاء للسكت، وكأنه نادى الناس استغاثة بهم في وقت الصباح. فتح الباري ٦/ ١٦٤.

(٤) يعني: يوم هلاك اللئام. عمدة القاري ١٤/ ٢٨٦.

(٥) أي استخلصتها منهم.

(٦) أي منعتهم.

(٧) البخاري رقم٣٠٤١، ومسلم رقم ١٣٠٦.

القاعدة السابعة عشرة
عرض الإسلام العملي على الأسير

في كثير من الأحيان يكون الجدال في سبيل الدعوة غير مُجْدٍ، حتى يترافق معه العمل، لذا ندب الله تعالى الإحسان إلى الأسير بالإطعام والشراب والمعاملة الحسنة، وحينئذ سيرى النموذج العملي في هداية الناس، قال الله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨]، وبهذا يعلم الأسير مدى حرص الإسلام على هدايته.

ومن عظيم فضل الله تعالى على الأسرى غير المسلمين أنه فتح لهم باب الخيرية في الدنيا والآخرة، وأنه سيُعوِّضُهم ما فَقَدوه إنْ هم آمنوا بالله تعالى، قال تعالى أيضاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٠].

ومن شواهد إحسان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وإكرام الأسرى ما رواه الشيخان عن أبي هُرَيْرةَ رضي الله عنه أنه قال: بَعَثَ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم خَيْلًا قِبَلَ نَجْدٍ فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ من بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ له: ثُمَامَةُ بن أُثَالٍ[1] فَرَبَطوهُ بِسارِيةٍ من سَوارِي المَسْجِدِ.

---

(١) اسم السرية التي أُسِر فيها ثُمَامة سرية محمد بن مَسْلَمة إلى القُرَطاء، وكانت في المحرم ٦هـ.
والقُرَطاء: (هم بطون من بني بكر من قيس عيلان) وكانوا ينزلون البكرات بناحية ضرية، شرق المدينة بنحو ٥٥٠ كم، وهم في شرق جنوب الضرية بنحو ٢٦ كم، عند هضبات البكري، قريبة من قرية حديجة وحليوه. =

فَخَرَجَ إليه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال: «ما عِنْدَكَ يا ثُمامةُ؟»

فقال: عِنْدِي خَيْرٌ يا محمد؛ إن تَقْتُلْني تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وإنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ على شاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ المَالَ فَسَلْ منه ما شِئْتَ.

فَتُرِكَ حتى كان الغَدُ، ثُمَّ قال له: «ما عِنْدَكَ يا ثُمامةُ؟»

قال: ما قلت لك: إن تُنْعِمْ تُنْعِمْ على شاكِرٍ، فَتَرَكَهُ حتى كان بَعْدَ الغَدِ، فقال: «ما عِنْدَكَ يا ثُمامةُ؟»

فقال: عِنْدِي ما قلت لك؟

فقال: «أَطْلِقوا ثُمامةَ»، فَانْطَلَقَ إلى نخل قَرِيبٍ من المَسْجِدِ فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ دخل المَسْجِدَ، فقال: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إلا الله وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رسول الله، يا محمد! والله ما كان على الأرض وَجْهٌ أَبْغَضَ إلي من وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الوُجُوهِ إليَّ، والله ما كان من دِينٍ أَبْغَضَ إليَّ من دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إليَّ، والله ما كان من بَلَدٍ أَبْغَضُ إليَّ من بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ البِلَادِ إليّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وأنا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ، فَمَاذَا تَرَى؟

فَبَشَّرَهُ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ.

فلما قَدِمَ مَكَّةَ قال له قَائِلٌ: صَبَوْتَ؟!

= وكان بنو القُرَطاء من القبائل النجدية التي أعانت قريشاً على حرب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في الأحزاب، وهم ممن لا يترك أي فرصة يجدونها للكيد بالمسلمين.

الإحداثيات: "٦٩,٣٥ ١٢'٣٥°٤٣ "٥٨,٣٥ ٣٥'٢٤°

قال: لَا، وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مع مُحَمَّدٍ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ولا والله لَا يَأْتِيكُمْ من اليَمامةِ[١] حَبَّةُ حِنْطَةٍ، حتى يَأْذَنَ فيها النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم[٢].

❊ ❊ ❊

(١) اليمامة كان إقليمًا كبيراً، وله بلدة ما زالت معروفة باسم «اليمامة» في منطقة الخَرْج في السعودية.

الإحداثيات: "٤٧°١٩'٢٢,١٠ "٢٤°١٠'٤٥,٧٣

(٢) صحيح البخاري رقم ٤١١٤، صحيح مسلم رقم١٧٤٦.

القاعدة الثامنة عشرة
رعاية حق الرَّحِم

قال الله تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [لقمان: ١٥].

هذه الآية أصل عظيم في الإحسان للوالدين، وما يلوذ بهما من الأرحام، وهي عامة في جميع الأحوال والأزمان، في السِّلْمِ والحرب، والمَنْشَطِ والمَكْرَه.

لذا كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يبعث في سراياه مَنْ هم أدرى بالمنطقة المبعوث إليها، ومِمَّنْ لهم قرابات بهم، فهم أدرى بهم؛ لدعوتهم إلى الإسلام بالدرجة الأولى، وأرأف بهم من درجة ثانية، وللخبرة القتالية معهم إن لزم الأمر.

ومن ذلك أنه بعث جيشاً بقيادة الضَّحَّاك بن سُفْيان بن عَوْف بن أبي بكر الكِلابي، إلى بني كلاب[1] ومعه الأَصْيَدُ بن سلمة بن قُرَط، فلقوهم فدعوهم إلى الإسلام فأبوا، فقاتلوهم فهزم المسلمون المشركين، فلحق الأَصْيَدُ أباه سَلَمَة وكان مشركاً، وسلمة على فرس له إلى غدير الماء (البحيرة الصغيرة)،

(١) سرية الضحَّاك بن سفيان إلى القُرَطاء إلى بني كلاب، وكانت في ربيع الأول سنة ٩هـ، وكانت منطقة القُرَطاء تقع في نواحي قرية ضَرِيَّة، وهي في شرق المدينة بنحو ٥٥٠كم.

الإحداثيات: ٢٤°٣٥'٣٥,٥٨" ٤٣°١٢'٣٥,٦٩

فدعا أباه إلى الإسلام وأعطاه الأمان، فسبّه وسبَّ دينه، فضرب الأَصْيَدُ عرقوبَي فرس (طرف الأرجل) أبيه، فلما وقع الفرس على عرقوبَيه ارتكز سلمة على رمحه في الماء، كي يُبقي أباه في مكانه، حتى جاءه أحدهم فقتل أباه، ولم يقتل الأَصْيَدُ أباه؛ سلمة[1].

وبناء على ذلك يُكرَه للرجل المؤمن أن يقتل أباه الكافر إن حدث بين أهل الإيمان والكفر قتال، بل يتجنّبه إكراماً لحقّ الأُبُوَّة.

❊ ❊ ❊

(١) الطبقات الكبرى ٢/ ١٦٢.

القاعدة التاسعة عشرة
تعويض الخطأ في دماء المشركين في الحرب

أوجب الله تعالى الإحسان إلى المشركين الذين لم يناصبونا العداء والإيذاء، ومن جملة الإحسان ردُّ الحقوق إليهم، قال الله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

ثم أوجب الله تعالى الديةَ على المسلمين إن قتلوا أحداً من المشركين[١] خطأ، فلا يُهْدَر دمٌ في الإسلام بِظُلْم، ولو كان صاحب الدم مُشركاً، قال تعالى: ﴿..فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٩٢].

ولا يقتصر الأمر على أداء الدّية إنْ ترتّب لهم حقٌّ بها، بل يشمل جميع الحقوق المادية والمعنوية، وقد مرَّ معنا ما يشهد لهذا من رواية أبي داود السابقة عن صَفْوانَ بنِ سُلَيْم عن بعض الصحابة أن رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ قال: ألا مَن ظَلَمَ مُعَاهِدًا أو انْتَقَصَهُ أو كَلَّفَهُ فَوْقَ طاقَتِهِ أو أَخَذَ منه شيئاً بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ؛ فَأَنَا حَجِيجُهُ يوم القِيامةِ[٢].

---

(١) المعاهدين أو كان لهم الأمان.

(٢) رواه أبو داود رقم٣٠٥٢.

وروى الواقديُّ رحمه الله وغيره أنه أقبل عمرو بن أُمَيّةَ الضّمْرِي مِنْ بِئْرِ مَعُونةَ[١] حَتّى كانَ بِقَناةٍ[٢]، فَلَقِيَ رَجُلَينِ مِنْ بَنِي عامِرٍ فَنَسَبَهُما فَانْتَسَبا، فَقَابَلَهُما، حَتّى إذا ناما وَثَبَ عَلَيْهِما فَقَتَلَهُما.

ثم خرج حتى وَرَدَ على رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلَى آلِهِ وسَلَّمَ مِنْ ساعَتِهِ في قَدْرِ حَلْبِ شَاةٍ، فَأَخْبَرَهُ خَبَرَهُمَا.

---

(١) سرية بئر مَعُونة، كانت بقيادة المنذر بن عمرو الساعدي رضي الله عنه، في صفر ٤هـ.
ويقع بئر معونة بين أرض بني عامر وحَرَّة بني سُلَيْم، ولعله في جنوب الحناكية بـنحو ٧٠كم للمتجه لمهد الذهب، غرب قرية أم شكاعا.
وملخصها: جاء أبو براء عامر بن مالك المدعو بمُلاعِب الأسِنَّة إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في المدينة المنورة، فدعاه إلى الإسلام فلم يُسْلِم ولم يظهر عداوة للإسلام، بل بدت منه شيء من المودّة للمسلمين، فقال: يا رسول الله، لو بعثت أصحابك إلى أهل نَجْد يدعونهم إلى دينك لرجوتُ أنْ يُجيبوهم، فقال: «إني أخاف عليهم أهل نجد»، فقال أبو بَراء: أنا جارٌ لهم [أحميهم]، فبعث معه أربعين أو سبعين رجلاً، وأَمَّر عليهم المنذر بن عمرو السَّاعدي، وكانوا من خيار المسلمين وفضلائهم وقرائهم، فساروا حتى نزلوا بئر مَعُونة، فاستنفر عدو الله عامر بن الطُّفَيْل بني سُليم لقتل القرّاء، فأجابته قبيلة عُصَيَّة ورِعْل وذَكْوان، فجاؤوا حتى أحاطوا بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فقاتلوهم حتى قتلوا عن آخرهم إلا كعب بن زيد بن النجار، فإنه أصابته جراح كثيرة من بين القتلي، لكن لم يُقتل، فعاش حتى قُتِل يوم الخندق.

الإحداثيات: "٤٣ ,٢٣'٤٢°٤٠"٠٣ ,٥٧'١٨°٢٤

(٢) وهُو وادٍ فَحْلٌ يَسْتَسِيلُ مَناطِقَ شاسِعَةً مِنْ شَـرْقِ الحِجازِ، تَصِلُ إلى مَهْدِ الذَّهَبِ جَنُوبًا، وإلى أَواسِطِ حَرَّةِ النَّارِ «حَرَّةِ خَيْبَرَ اليَوْمَ» شَمالًا، وَبَيْنَهُما قَرابةُ ٢٠٠كم، أَمَّا مِن الشَّرْقِ فإنَّهُ يَأْخُذُ مِياهَ الرَّبَذَةِ وَرَحْرَحانَ والشَّقْرانِ، على قَرابةِ ١٥٠كم، مِن المَدِينةِ، وله رَوافِدُ كِبارٌ، مِنْها: وَادي نَخْلٍ وَوادي الشُّعْبةِ، والعَقيقِ الشَّرْقِيِّ، وأَوْدِيةٌ فُحُولٌ غَيرُها، وَيَمُرُّ قَناةُ بَيْنَ المَدِينَةِ وَجبل أُحُدٍ.. المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية ص ٣٨٥.

فقالَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلَى آلِهِ وسَلَّمَ: «بِئْسَ ما صَنَعْت، قد كانَ لَهُما مِنّا أَمَانٌ وَعَهْدٌ!»

فَقَالَ: ما شَعَرْتُ، كُنْت أَرَاهُمَا على شِرْكِهِما، وكانَ قَوْمُهُما قد نَالُوا مِنّا ما نَالُوا مِن الغَدْرِ بِنا.

وجاءَ بِسَلَبِهِما، فَأَمَرَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلَى آلِهِ وسَلَّمَ فَعُزِلَ سَلَبُهُما حَتّى بُعِثَ بِهِ مع دِيَتِهِما.

وذلك أنّ عامر بن الطُّفَيْلِ بَعَثَ إلى رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلَى آلِهِ وسَلَّمَ: أنّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِك قَتَلَ رَجُلَيْنِ مِنْ قَوْمِي، وَلَهُما مِنْك أَمَانٌ وَعَهْدٌ، فَابْعَثْ بِدِيَتِهِما إلَينا.

فَسَارَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلَى آلِهِ وسَلَّمَ إلى بَنِي النّضِيرِ يَسْتَعِينُ في دِيَتِهِما، وكانَتْ بَنو النّضِيرِ حُلَفاءَ لِبَني عامِرٍ.

فَخَرَجَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلَى آلِهِ وسَلَّمَ يَوْمَ السّبْتِ فَصَلّى في مَسْجِدِ قُباءٍ وَمَعَهُ رَهْطٌ مِن المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصارِ، ثُمّ جَاءَ بَنِي النّضِيرِ فَيَجِدُهُمْ في نادِيهِمْ، فَجَلَسَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلَى آلِهِ وسَلَّمَ وَأَصْحابُهُ، فَكَلّمَهُمْ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يُعِينُوهُ في دِيَةِ الكِلَابِيَّيْنِ اللّذَيْنِ قَتَلَهُما عَمْرُو بنُ أُمَيّةَ.

فَقَالُوا: نَفْعَلُ، يا أَبا القاسِمِ، ما أَحْبَبْت.

ثم تآمروا على قتل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بطرح حجر عليه،

فكان هذا سبباً في غزوة بني النَّضِير[١] وإجلائهم عن المدينة المنورة[٢].

* * *

(١) غزوة بني النَّضِير كانت في ربيع الأول سنة ٤هـ، وكان يسكن بنو النضير حسب تخطيط اليوم في أواخر منطقة القربان، ما بين مسجد الشمس إلى قصر كعب بن الأشرف، ومسجد الشمس أو مسجد الفضيخ، يقع شرقي مسجد قباء، ويبعد عنه نحو ٨٠٠م.

الإحداثيات: "٢٤°٢٦'١٧,٩٩"٣٩°٣٧'٢٦,٣٨

(٢) مغازي الواقدي ١/ ٣٦٣، سبل الهدى والرشاد ٧/ ٤٤٩.

القاعدة العشرون
حرمة الاعتداء على البيئة في الحرب بغير حقّ

قال الله تعالى: ﴿..وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

حرَّم الإسلام الاعتداء على البيئة وعلى البشر بكل أنواع الاعتداء، من إتلاف للزروع والثمار وتخريب الأرض وقتل الحيوان، لأن هذه الأمور سبب لنماء البشر، وأوعد على من فعل ذلك بنار جهنم، قال الله تعالى: ﴿..وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥].

وقال الله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨]، هذه الأية من أعظم الأدلة على أن المجاهد لا يتلف ماخلقه الله في البيئة بغير حق، فالنملة تعلم حال جنود سليمان أنهم جند سلام للبيئة، وإن حدث منهم إتلاف فهو بغير قصدهم.

وروى أبو داود وغيره عن عبدِ الله بنِ حُبْشِيٍّ رضي الله عنه أنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «مَنْ قَطَعَ سِدْرَةً صَوَّب اللهُ رأسَهُ في النارِ»[1].

---

(١) سنن أبي داود رقم٥٢٣٩.

والسِّدْرُ: شَجَرُ النَّبِقِ، الواحدة: سِدْرَة، وقيل: هو السَّمُر.

ومعنى هذا الحديثِ: أنَّ مَنْ قَطَع سدرةً في فلاةٍ يَستظِلّ بها ابنُ السبيلِ والبهائمُ، عَبَثاً وظُلماً بغير حَقٍّ يكونُ له فيها، صوَّبَ اللهُ رأسَه في النار.

ومن الشواهد على حُرمة الاعتداء على الحيوانات من السيرة العطرة؛ ما رواه أبو داود وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: كنَّا مع رسولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في سَفَرٍ، فانطلقَ لِحاجَتِه، فرأينا حُمَّرَةً[١] معها فَرْخانِ، فأخذنا فَرْخَيْها، فجاءتِ الحُمَّرَةُ، فجعلت تُعَرِّشُ[٢].

فجاء النبيَّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال: «مَنْ فَجَعَ هذهِ بولدِها؟! رُدُّوا ولدَها إليها».

ورأى قَرْيَةَ نملٍ قد حَرّقْناها، فقال: «مَن حَرَّقَ هذه؟!»

قلنا: نحن.

قال: «إنهُ لا ينبغِي أن يُعذِّبَ بالنار إلا رَبُّ النارِ»[٣].

ولا تتوقّف حدود العمل بهذه القاعدة في جميع أحوال المسلمين، لا من حيث الزمان ولا المكان، وحتى في وقت الحرب، هذا هو الأصل العام الذي يجب أن يتخلَّق به كلّ مسلم.

---

(١) الطائر الصغير.

(٢) ترفرف فوقهم.

(٣) سنن أبي داود رقم٥٢٦٨.

وقد أباح الإسلام قطع الأشجار للعدوّ في حدودٍ ضيّقة؛ لمصلحة التغلّب عليه، قال الله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الحشر: ٥].

وقد نزلت هذه الآية في بني النَّضير، حيث أمر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قطع أشجار النخيل عندهم.

ومعنى الآية: ما قطعتم ـ أيها المؤمنون ـ من نخلة أو تركتموها قائمة على ساقها، من غير أن تتعرّضوا لها، فبإذن الله وأمْرِه؛ وليُذلَّ الله بذلك الخارجين عن طاعته، المخالفين أمرَه ونهيَه، حيث سلَّطكم على قطع نخيلِهم وتَحريقِها، وفي ذُلِّهم كسرٌ لشوكتهم، والانتصار عليهم.

وفعل هذا النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أيضاً في غزوة خيبر وغزوة الطائف، وقد ناشدوه في تَرْكِها إما لله أو للرّحم، فتركَ قطعها صلة للرحم[1].

* * *

(١) مغازي الواقدي ٣/ ٩٢٨.

الفصل الثاني
منطلق المجلس العسكري

٢١ـ الشورى.

٢٢ـ رسم الخطة الحربية.

٢٣ـ الجمع بين العبقرية العسكرية والسياسة الحربية.

٢٤ـ تعزيز القيم الحضارية.

٢٥ـ اختيار القادة.

٢٦ـ لغة المحبة بين القائد وجنده.

٢٧ـ بين المركزية وعدم المركزية في القيادة العسكرية.

٢٨ـ صلاحية وليّ الأمر في الأسرى.

٢٩ـ السمُوّ الأخلاقي مع الجند.

٣٠ـ العناية بأُسرِ الشهداء.

٣١ـ رعاية الحالة النفسية عند الجنود.

٣٢ـ المكافأة المادية للجند.

٣٣ـ المكافأة المعنوية للجند.

٣٤ـ وجوب طاعة القائد.

٣٥ـ تعويض الحقوق المعنوية للجند.

٣٦ـ الاهتمام بفكّ أسرى المسلمين.

٣٧ـ التربية البدنية للجنود.

٣٨ـ تأمين رسل العدوّ.

٣٩ـ الموازنة بين المرونة والحزم.

٤٠ـ العدل بين جند المسلمين.

* * *

القاعدة الحادية والعشرون
الشورى

قال الله تعالى: ﴿.. وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ..﴾ [آل عمران: ١٥٩].

لقد كانت المشورةُ عند النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ كثيرةً جدًّا في تخطيطِه الاستراتيجيّ في قيادة المعارك، عملاً بقول الله تعالى السابق؛ لما فيها من جمع الرأي على كلمة واحدة، واستخلاص الحَلّ الأمثل، والاستيثاق من الإقدام في القتال.

ومن الأمثلة على استنهاض الهمم في المشورة؛ ما حدث في بداية غزوة بدر، كما أخرجه ابن حبان رحمه الله **عن** أَنَسٍ رضي الله عنه أنه قالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، يَوْمَ سارَ إلى بَدْرٍ، فَجَعَلَ يَسْتَشيرُ النَّاسَ، فأَشارَ عَلَيْهِ أَبُو بكرٍ رِضْوانُ الله عَلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَشارَهُمْ، فأَشارَ علَيهِ عُمَرُ رِضْوانُ الله علَيهِ، فَجَعَلَ يَسْتَشيرُ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، فقالتِ الأَنْصارُ: والله ما يُرِيدُ غَيْرَنا، فقالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصارِ: أَرَاكَ تَسْتَشيرُ، فَيُشيرُونَ عَلَيْكَ، وَلَا نَقُولُ كَمَا قالَ بَنُو إِسْرَائِيلَ: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ﴾، وَلَكِنْ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، لَوْ ضَرَبْتَ أَكْبادَها [١]، حَتَّى تَبْلُغَ بَرْكَ الغِمادِ كُنَّا مَعَكَ[٢].

ومن مشورة النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في اختيار المكان الأنسب؛

---

(١) أي سرت بالإبل.

(٢) صحيح ابن حبان رقم ٤٧٢١.

واختلفوا في «الغماد» فقالوا: إنه موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلي البحر، وقيل: بلد باليمن. ويبدو أنها أمكنة متعدّدة ينطبق عليها وصف واحد، إما الوعورة، وإما البعد والوعورة. المعالم الأثيرة في السنة والسيرة (ص: ٤٧).

ما ذكره ابنُ هشام وغيره في غزوة بدر أَنّ الحُبَابَ بنَ المُنْذِرِ بنِ الجَمُوحِ رضي الله عنه قالَ: يا رسولَ الله! أَرَأَيْتَ هذا المَنْزِلَ أَمَنْزِلًا أَنْزَلَكَهُ اللهُ لَيْسَ لَنا أَنْ نَتَقَدّمَهُ وَلَا نَتَأَخّرَ عَنْهُ، أَمْ هُوَ الرّأْيُ والحَرْبُ والمَكِيدَةُ؟

قالَ: «بَلْ هُوَ الرّأْيُ وَالحَرْبُ وَالمَكِيدَةُ؟»

فقالَ: يا رسولَ الله، فَإِنّ هذا لَيْسَ بِمَنْزِل، فَانْهَضْ بِالنّاسِ حَتّى نَأْتِيَ أَدْنَى ماءٍ مِن القَوْم، فَنَنْزِلَهُ ثُمّ نُغَوّرَ ما وَراءَهُ مِن القُلُبِ، ثُمّ نَبْنِي عليهِ حَوْضًا فَنَمْلَؤُهُ ماءً، ثُمّ نُقاتِلُ القَوْمَ فَنَشْرَبُ وَلَا يَشْرَبُونَ.

فقالَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ: «لقد أَشَرْتَ بِالرّأْيِ»[1].

ومن الشواهد على المشورة في غزوة الحديبية[2] ما أخرجه أحمد رحمه الله عَنِ المِسْوَرِ بنِ مَخْرَمَةَ، ومروانَ بنِ الحَكَمِ،- يُصَدِّقُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدِيثَ صاحِبِهِ- قالَا: خَرَجَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ زَمانَ الحُدَيْبِيةِ في بِضْعَ عَشْرةَ مِئَةً مِنْ أَصْحابِهِ، حَتَّى إذا كَانُوا بِذِي الحُلَيْفةِ، قَلَّدَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ الهَدْيَ وَأَشْعَرَهُ[3]، وَأَحْرَمَ بِالعُمْرةِ، وَبَعَثَ بين يَدَيْهِ عَيْنًا لَهُ مِنْ

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٦٢٠.

(٢) غزوة الحُدَيْبِيَة كانت في ذي القعدة سنة ٦هـ، والحُدَيبية قرية تبعد عن مكة نحو ٢٢كم، على طريق مكة جدة القديم، سميت ببئر فيها، بعضها بالحرم وبعضها خارجه، وتعرف الحديبية اليوم باسم الشُّميسي.

الإحداثيات: "٣٢ ,١٢ '٣٧ °٣٩ "٣٠ ,٩٤ '٢٦ °٢١

(٣) الهَدْي: ما يُـهْدى من النعم إلى الحرم تقربًا إلى الله عزّ وجلّ، ويكون الهدي من بهيمة الأنعام وهي الإبل والبقر والغنم.

وتقليد الهدي: يعني تعليق قطعة من حبل في عنقه أو نعل أو أي شيء آخر؛ ليُعلم أنه هديٌ لله تعالى يُساق إلى بيت الله الحرام؛ فيكفّ الناس عن طلبه في بيع أو شراء أو نهب. =

خُزَاعَةَ يُخْبِرُهُ عن قُرَيْشٍ، وسارَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ حَتَّى إذا كانَ بِغَدِيرِ الأَشْطاطِ[١] -قَرِيبٌ مِنْ عُسْفَانَ-[٢]، أَتَاهُ عَيْنُهُ الخُزاعِيُّ[٣]، فقالَ: إِنِّي قد تَرَكْتُ كَعْبَ بنَ لُؤَيٍّ وَعامِرَ بنَ لُؤَيٍّ قد جَمَعُوا لَكَ.. الأَحَابِيشَ وَجَمَعُوا لَكَ جُمُوعًا، وَهُمْ مُقَاتِلوكَ وَصادُّوكَ عَنِ البَيتِ، فقالَ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: «أَشِيرُوا عَلَيَّ، أَتَرَوْنَ أَنْ نَمِيلَ إلى ذَرَارِيِّ هؤلاءِ الَّذِينَ أَعَانُوهُمْ فَنُصِيبَهُمْ، فَإِنْ قَعَدُوا قَعَدُوا مَوْتُورِينَ مَحْرُوبِينَ.. أو تَرَوْنَ أَنْ نَؤُمَّ البَيْتَ، فَمَنْ صَدَّنَا عَنْهُ قَاتَلْناهُ؟».

فقالَ أَبُو بَكْرٍ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، يا نَبِيَّ الله، إِنَّمَا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، ولَمْ نَجِئْ نُقاتِلُ أَحَدًا، وَلَكِنْ مَنْ حالَ بَيْنَنا وبينَ البيتِ قاتَلْناهُ.

فقالَ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: «فَرُوحُوا إِذًا».

قالَ الزُّهْرِيُّ: وكانَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يَقُولُ: ما رأيتُ أَحَدًا قَطُّ كانَ أَكْثَرَ مَشُورَةً لِأَصْحابِهِ مِنْ رسولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلَّم[٤].

= وأما الإشعار: فهو للبُدْنِ خاصة بأن يشقّ أحد جنبي سنام البدنة حتى يسيل دمها، وتتلطخ بدمِها، إشعاراً بأنه هدي.

(١) غدير الأشطاط: لعله ما يُعرَف اليوم باسم الوطية؛ حسبما توصَّل إليه الأستاذ عبد الله الشايع، [موقع أشراف الحجاز] ويبعد عن مكة نحو ٧٠كم على اليمين للمتجه منها إلى عُسفان شمال غرب قرية الشامية، وقبيل عُسفان (أو بئر التفلة) بنحو ١٤كم.

الإحداثيات: "٨٦,٣٥ ٢٦°٣٩'٨٣,٢٣ ٥٣°٢١

(٢) عُسفان: قرية على ٨٠ كم من مكة شمالاً على طريق المدينة المنورة، ومن جدة نحو ٥٠كم، ومن أشهر ما فيها بئر التفلة.

"٥٠,١ ٢١°٣٩'٠٠,٢٦ ٥٥°٢١

(٣) واسمه بُسْر بنُ سُفْيانَ بنِ عَمْرِو بنِ عُمَير الخُزَاعِيّ.

(٤) مسند الإمام أحمد رقم ١٨٩٢٨.

هذا ومن أجمل ما تميَّز به المجلس العسكريّ الشوريّ عند النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه متعدّد الاتجاهات والتخصّصات..، ويستوعب رأي الموافق والمخالف من داخل المجلس وخارجه، ولو كانوا خصوماً حقيقيين، يقوم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم على معرفة رأيهم، والعبرة في ذلك كشف الستار عن نواياهم علناً، ومعرفة الدَّور الذي سيأخذونه في قابل الأيام..

ومن ذلك ما حدث قُبيل غزوة أُحُد في إدلاء زعيم المنافقين عبد الله بن أُبَـيّ ابن سَلُول برأيه في البقاء في المدينة المنورة، ولا يخفى على مسلم مدى عداوته للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وللمسلمين، لكن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يُعامِلُه بحسب الظاهر، ويحسب الحساب لرأيه.

واللافت للانتباه أنَّ رأيَ ابن سلول كان يتطابقُ مع رأي النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، في أنْ لا يخرج المسلمون لقتال المشركين، بل يقاتلونهم بالمدينة نفسها، لكن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ترك رأيَه الشخصي، لقولِ الأكثرية؛ وهو الخروج لملاقاة المشركين خارج المدينة، مما زاد من شدة الحنق عند ابن سلول.

وكان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يتوقع منه الخذلان، والانسحاب، وفعلاً انسحب بثُلُث الجيش؛ لِمَا له من مكانةٍ كبيرة بين قومه، ولم يضرَّ النبيَّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم هذا الانسحاب، بل الذي غيَّر موازين معركة أُحُد هو ترك الرُّماة أماكنَهم على جبل الرّماة[1].

(١) يراجع الروض الأنف ٣/ ٢٤٣.

القاعدة الثانية والعشرون
رسم الخطّة الحربية

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٢١].

كان رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ ما يبدأ حرباً إلا ويرسم لها خطّة، فيضع الخطّة العسكرية القتالية، والميزانية الاقتصادية لها، ويُحدّد الوقت الزماني، والوجهة المكانية، ويستشيرُ أصحابه، ويختار منهم مَنْ هو الأعرف في تخصُّصه، ويُحدّد مهمة كل شخص، ويخطط للنصر، ويخطط لتلافي الهزيمة لو قُدِّرَت، ويتعرّف على مواقع العدوّ، ويتوخّى الحيطة والحذر، ويعمل على تقدير عُدّة العدوّ وعتاده، ويختار أنسب الظروف الجوية من اعتدالِ الجوّ وغيره، ويبعث الجواسيس إلى عدوّه، ويتابع الأخبار الصادرة والواردة عن الجيش، ويرسم خطة لقطع المدَد عن الأعداء، ويدرس خطة توزيع السلاح..، ويعيِّنُ القادة في الجيش، ويحدّد حامل اللواء، ويضع الشخص المناسب في المكان المناسب والوقت المناسب، ويستنهض الهمم، ..

ومن الشواهد على ذلك ما حدث في بداية غزوة أُحُد عندما جاءت قريش ونَزَلوا بِعَيْنَيْنِ بِجَبَل مُقابِلَ المَدِينةِ[١].

(١) عَيْنين: تثنية عين، اسم من أسماء جبل أُحُد، أو اسم مكان قريب منه، ومكان نزول أبي سفيان في بطن الصَّمْغَة (والبعض يقول: السبخة) من طرف وادي قناة، وهو واد يمرّ من جنوبي جبل أُحُد باتجاه الغرب، قال بعضهم: وتُعرَف اليوم بالعيون، وهي أرض كانت كثيرة العيون والنخل. يراجع معجم البلدان ٣/ ٤٢٤، والمعالم الأثيرة في السنة والسيرة ص١٦٢، والسيرة=

فقالَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: إنّي قد رَأَيْت والله خَيرًا، رَأَيْت بَقَرًا، وَرَأَيتُ في ذُبَابِ سَيْفِي[١] ثُلْمًا، وَرَأَيْت أَنّي أَدْخَلْت يَدِي في دِرْعٍ حَصِينةٍ فَأَوّلْتها: المَدِينةَ..

فإنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُقِيمُوا بِالمَدِينةِ وَتَدَعُوهُمْ حَيْثُ نَزَلوا، فإنْ أَقاموا أَقاموا بِشَرِّ مَقام، وإنْ هُمْ دَخَلوا علَينا قاتَلْناهُمْ فيها، وكانَ رَأْيُ عبد الله بنِ أُبَيّ ابنِ سَلولَ مَعَ رَأْيِ رسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يَرى رَأْيَهُ في ذلكَ، وأَلّا يَخْرُجَ إلَيهم، وكانَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يَكْرَهُ الخُروجَ.

فقالَ رِجالٌ مِن المُسلمِين مِمّنْ أَكْرَمَ اللهُ بِالشّهادةِ يَومَ أُحُدٍ وغَيرِهِ مِمّنْ كانَ فاتَهُ بدْرٌ: يا رسولَ الله اخْرُجْ بِنا إلى أَعْدائِنا، لَا يَرَوْنَ أَنّا جَبُنّا عَنْهُمْ وَضَعُفْنا.

فقالَ ابْنُ أُبَيّ ابْنُ سَلُولَ: يا رسولَ الله أَقِمْ بِالمَدِينَةِ لَا تَخْرُجْ فو الله ما خرجنا منها إلى عدو لنا قط إلّا أَصابَ مِنّا، وَلَا دَخَلَها علَينا إلّا أَصَبْنَا مِنْهُ، فَدَعْهُمْ يا رسولَ الله فإنْ أَقاموا أَقاموا بِشَرّ مَحْبِسٍ، وإنْ دَخَلوا قاتَلَهُمْ الرّجَالُ في وَجْهِهِمْ، وَرَمَاهُمْ النّسَاءُ وَالصّبْيَانُ بِالحِجارةِ مِنْ فَوْقِهِمْ، وَإِنْ رَجَعوا رَجَعوا خائِبِينَ كَما جاؤوا.

فَلَمْ يَزَلِ النّاسُ بِرَسُولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ الّذِينَ كانَ مِنْ أَمْرِهِمْ حُبّ لِقَاءِ القومِ حَتّى دَخَلَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ بَيْتَهُ، فَلَبِسَ لَأْمَتَهُ[٢] وذلكَ يَوْمُ الجُمُعةِ حِينَ فَرَغَ مِن الصّلاةِ..

ثُمّ خَرَجَ عَلَيْهِمْ وقد نَدِمَ النّاسُ وَقالوا: اسْتَكْرَهْنا رسولَ الله صلَّى اللهُ عليهِ

= النبوية والدعوة في العهد المدني ص ٣٢٦.

المحل التقريبي لمكان نزول أبي سفيان: "١٤,١٥'٣٥°٣٩ "٦٠,٤٧'٣٠°٢٤

(١) حَدِّه.

(٢) الدرع.

وعلى آلِهِ وسلَّمَ وَلَمْ يَكُنْ لَنا ذلكَ، قالوا: يا رسولَ الله اسْتَكْرَهْناك وَلَمْ يَكُنْ ذلك لَنا، فَإِنْ شِئْت فَاقْعُدْ صَلّى اللهُ عَلَيْك.

فقالَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ: «ما يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ إذا لَبِسَ لَأْمَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتّى يُقَاتِلَ».

فَخَرَجَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ في أَلْفٍ مِنْ أَصْحابِهِ.

حَتّى إذَا كَانُوا بِالشّوْطِ[1] بين المَدِينَةِ وَأُحُدٍ، انْخَزَلَ عَنْهُ عَبْدُ الله بنُ أُبَيّ ابْنُ سَلُولَ بِثُلُثِ النّاسِ، وقالَ: أَطاعَهُمْ وَعَصانِي، ما نَدْرِي عَلَامَ نَقْتُلُ أَنْفُسَنا هاهُنا أَيّها النّاسُ، فَرَجَع بِمَنِ اتّبَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ أَهْلِ النّفاقِ وَالرّيْبِ.

واتّبَعَهُمْ عَبْدُ الله بنُ عَمْرِو بنِ حَرام، أَخُو بَنِي سَلِمَةَ، يَقُولُ: يا قَوْمِ أُذَكّرُكُمُ اللهَ أَلّا تَخْذُلوا قَوْمَكُمْ وَنَبِيّكُمْ عندما حَضَرَ عَدُوَّهُمْ!

فقالُوا: لَوْ نَعْلَمُ أَنّكُمْ تُقَاتِلُونَ لَمَا أَسْلَمْناكُمْ، وَلَكِنّا لَا نَرى أَنّهُ يَكُونُ قِتالٌ.

قالَ: فَلَمّا اسْتَعْصَوا علَيهِ وَأَبَوا إلّا الِانْصِرافَ عَنْهُمْ قالَ: أَبْعَدَكُمُ اللهُ أَعْداءَ الله

---

(١) الشوط: مَكان بَيْنَ وادِي قَناةَ وَبَيْنَ المَدِينةِ مِنْ شَرْقِي السَّبْخَةِ، وَمِنْ أَسْفَلِ الْحَرَّةِ الشَّرْقيَّة، وَهُناكَ كانَ يَجْرِي سِباقُ الخَيْلِ، وَلَعَلَّ لِهَذا الاِسْمِ عِلَاقَةً بِهِ، وَلَمْ يعُدِ الاِسْمُ مَعْرُوفًا اليَوْمَ.. المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية ص١٢٠.
قلت: لعلّ الشوط يُعرَف اليوم بالشيخين، وهو على منتصف الطريق بين المسجد النبوي وأُحُد، وللنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم مسجد صلى فيه يسمى مسجد الدرع وموجود إلى الآن، ومن قريب هذا المكان بدأ حفر الخندق، وهذا الطريق حافظ على بقائه، وكان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يسلكه. يراجع موقع طيبة نت.

الإحداثيات: "٣٩°٣٦'٣١,٨٠" ٢٤°٢٩'٢١,٨٨"

فَسَيُغْنِي اللهُ عَنْكُمْ نَبِيُّهُ[١].

وقال ابن هشام أيضاً أثناء حديثه عن غزوة أُحُد: .. ومضى رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ حتى نزلَ الشِّعب[٢] منْ أُحُدٍ، في عدوة الوادي[٣] إلى الجبل، فجعلَ ظهره وعسكرهُ إلى أُحُدٍ، وقال: لا يقاتلنَّ أحَدٌ منكمْ حتى نَأمرَه بالقتال.

وأمَّر على الرّماةِ عبدَ الله بنَ جُبيرٍ، وهو مُعْلَمٌ يومئذ بثيابٍ بيضٍ، والرّماةُ خمسونَ رجلاً، فقال: انضحِ الخيلَ عنّا بالنبلِ، لا يأتُونا من خلْفِنا إن كانتْ لنا أو علينا، فاثبتْ مكانَك لا نُؤْتَيَنَّ من قِبَلِكَ[٤].

فالنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم جعل جبل أُحُد على يمينه ومن خلفه، وجبل الرّماة على يساره ويوجد خلف جبل الرّماة وادٍ ، واستطاع خالد ابن الوليد (قبل إسلامه) ـ بعد قتل ما بقي من الرّماة ـ الاستدارة من خلف جبل الرّماة؛ لضرب المسلمين من الخلف، ويمكن مراجعة بعض الصُّوَر الواقعية لغزوة أُحُد من كتابي «مصوَّر غزوات النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وطريق الهجرة» وكذا مراجعة الصورة الخاصة بغزوة أُحُد في آخر الكتاب.

وسيأتي المزيد من الشرح على هذا عند الحديث عن قاعدة «التخطيط لتلافي الهزيمة إن حصلت والحرص على أرواح المقاتلين».

---

(١) الروض الأنف ٣/ ٢٤٣.

(٢) الشِّعب في جبل أُحُد.

الإحداثيات: "٣٩°٣٦'٤٦,٩٢" ٢٤°٣٠'٤٢,١٢"

(٣) أي جانب الوادي.

(٤) سيرة ابن هشام ٤/ ١٢، يراجع القيادة العسكرية في عهد الرسول صلى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلمَ للدكتور عبد الله محمد الرشيد ص٤٢٤.

القاعدة الثالثة والعشرون
الجمع بين العبقرية العسكرية والسياسة الحربية مع النبوة

قال الله تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٧].

العبقرية الحربية: تعني القدرة على تسيير الأمور القتالية في مَسارِها الصحيح بعد خروجها عن مَسارِها المتوقّع، مع مراعاة جميع القدرات الذاتية والمعادية، والقدرة على تحقيق النصر باطناً وإن لم يتحقّق ظاهراً، والأمثلة على استخدام النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ السياسة الحربية مع جيشِه كثيرة، منها ما كان في صلح الحديبية كما تشير إليه الآية السابقة، ومنها ما رواه الشيخان رحمهما الله تعالى عن عبد الله بنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قالَ: لَمَّا حاصَرَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ الطَّائِفَ، فَلَمْ يَنَلْ مِنْهُمْ شَيْئًا، قالَ: «إِنَّا قافِلونَ إِنْ شَاءَ اللهُ»، فَثَقُلَ عَلَيْهِمْ، وقالوا: نَذْهَبُ ولا نَفْتَحُهُ، وقالَ مَرَّةً: «نَقْفُلُ»، فقالَ: «اغْدُوا على القِتَالِ».

فَغَدَوْا فَأَصابَهُمْ جِراحٌ، فقالَ: «إِنَّا قَافِلُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللهُ»، فَأَعْجَبَهُمْ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم[1].

(١) صحيح البخاري رقم ٤٣٢٥، وصحيح مسلم رقم١٧٧٨.

وَذَكَرَ أَهْل المَغازِي أَنَّ النَّبِيّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ لَمَّا اسْتَعْصَى علَيهِ الحِصْن، وكانوا قد أَعَدُّوا فِيهِ ما يَكْفِيهِمْ لِحِصَارِ سَنَة، وَرَموا على المُسلمِين سِكَك الحَدِيد المُحَمَّاة، وَرَمَوْهُمْ بِالنَّبْلِ فَأَصابوا قَوْماً، فاسْتَشارَ النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ نَوْفَل بن مُعاوِية الدِّيلِيّ، فقالَ للنبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: «هُمْ ثَعْلَبٌ في جُحْر، إِنْ أَقَمْت علَيهِ أَخَذْتَهُ وَإِنْ تَرَكْته لَمْ يَضُرّك، فَرَحَلَ عَنْهُمْ، وقالَ أَصْحَاب النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: يا رسولَ الله أَحْرَقَتْنَا نِبَالُ ثَقِيف فَادْعُ الله علَيهم، فقالَ: «اللَّهُمَّ اهْدِ ثَقِيفًا»[1].

هذا ولم يتذكّر رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ إيذاءهم له لمَّا أتاهم قبل الهجرة، وكيف سلَّطوا عليه صبيانهم ومجانينهم، بل دعا لهم بالهداية وهذا أرقى أنواع العطف.

❊ ❊ ❊

(١) فتح الباري ١٢/ ١٣٥.

القاعدة الرابعة والعشرون
تعزيز القيم الحضارية

قال الله تعالى أيضاً: ﴿..وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

وقال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

هذه الآيات من الآيات التي أصَّلت السلوك الحسن، والخُلق الجميل مع غير المسلمين.

فقد كان رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ من أرفق الناس بِعدُوِّه إذا قدر عليه، وأول المواقف التي يعرفها الناس من النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ هي بُعْدُه عن نزعة الانتقام عندما عفا عن كفار قريش.

قالَ ابنُ إسْحَاقَ: فَحَدّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ أَنّ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ قامَ على بابِ الكَعْبَةِ [١]، فقالَ: «لاَ إلَهَ إلاّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ صَدَقَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الأَحْزابَ وَحْدَهُ، أَلَا كُلّ مَأْثُرَةٍ [٢] أو دَمٍ أو مَالٍ يُدَّعَى فَهُوَ تَحْتَ قَدَمَيّ هاتَينِ، إلّا سِدانةَ البَيْتِ وَسِقايةَ الحـاجّ [٣]، أَلَا إنَّ قَتِيـلَ الخَطَـأِ شِـبْهِ

(١) يوم فتح مكة.
(٢) مَا يُؤْثَرُ وَيُذْكَرُ مِنْ مَكارِمِ أَهْـلِ الجَاهِلِيَّة ومَفاخِـرِهِمْ.
(٣) سدانة البيت الشريف: أي تولية مفتاح بيت الله تعالى، والسقاية: إسقاء الحجيج كلهم الماء=

العَمْدِ بِالسّوْطِ والعَصا، فَفيهِ الدّيَةُ مُغَلّظَةً مِائَةٌ مِن الإِبِلِ أَرْبَعُونَ مِنْها في بُطُونِهَا أَوْلَادُهَا.

يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إنّ اللهَ قد أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَخْوةَ الجاهِلِيّةِ وَتَعَظّمَها بِالآباءِ، النّاسُ مِنْ آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرابٍ، ثُمّ تَلَا هَذِهِ الآيةَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الْحُجُرَاتِ: ١٣]».

ثُمّ قالَ: «يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! ما تَرَوْنَ أَنّي فَاعِلٌ فِيكُمْ؟»

قَالُوا: خَيْرًا، أَخٌ كَرِيمٌ وابنُ أَخٍ كَرِيمٍ.

قالَ: «اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطّلَقَاءُ»[1].

* * *

= العذب، وهذا من الحجابة.

(١) الروض الأنف ٧/ ٢٣١.

القاعدة الخامسة والعشرون
اختيار القادة

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ * وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٦-٢٤٧].

هذه الآيات من أعظم الآيات التي تدلّ على وجوب اختيار القادة، وما يمتازون به من شجاعة وإقدام وحُسْن تدبير، وعِلم بالأمور العسكرية، فلا يجوز اختيار الجبناء ولا الجهلاء، ويُعدُّ اختيار القادة من أصعب المهمّات العسكريَّة في إدارة المهام القتالية؛ لما له من دور في نجاح المعارك.

وكان النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يتخيَّر مِنْ أصحابه أكفأهم للمهمّات الحربية، إذ لكلِّ مهمة حربية عنده لها نوعية من القادة لا يَصلُح لها قائد آخر، لذا كثُرَت القادة عندهم وتنوَّعت مواهبهم القتالية.

وكان صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يقبل المشورة ممَّن له الخبرة بالمواقع

الاستراتيجية في الحرب؛ كالحُبَاب بن المُنْذِر رضي الله عنه، ويختار السفراء مِمَّن لهم خبرة في مخاطبة الملوك؛ كالحارثِ بن عُمير الأزدي رضي الله عنه، فيضع الشخص المناسب في المكان المناسب والوقت المناسب.

ومن شواهد ذلك ما رواه البخاري رحمه الله عن عبد الله بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما، قالَ: أَمَّرَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في غَزْوةِ مُؤْتةَ[1] زَيْدَ ابنَ حارِثةَ، فقالَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: إِنْ قُتِلَ زَيْدٌ فَجَعْفَرٌ، وَإِنْ قُتِلَ جَعْفَرٌ فَعَبْدُ الله بنُ رَواحةَ.

---

(١) بلدة مؤتة تقع ضمن لواء المزار الجنوبي في محافظة الكرك في الأردن، وتبعد عن مدينة الكرك مسافة ١٢ كم.

الإحداثيات: "٣١°٣'٥٧,٦٩"٣٥°٤١'٤٤,٥٠

وكانت سرية مؤتة في جمادى الأولى ٨هـ.

وملخصها: أنه بعث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم الحارث بن عُمير الأزدي بكتاب إلى هرقل عظيم الروم بالشام، فلما نزل بمؤتة قتلَه شُرحبيل بن عمرو الغسانيّ، وكان من أُمراء هرقل على الشام، فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ذلك جهّز جيشاً وعِدَّتُه ثلاثة آلاف، وبعثَهُم إلى مقاتلة ملك الروم، وأمَّر عليهم زيد بن حارثة، وقال: إن أُصيب زيدٌ فجعفر بن أبي طالب على الناس، وإنْ أُصيب جعفر، فعبد الله بن رواحة على الناس، فمضَوا حتى نزلوا من أرض الشام، فبلغ أنَّ هرقل ملك الروم جهَّزَ مئة ألف من الروم، وانضمَّ إليه من قبائل العرب المتنصِّرة من بني بكر ولخم وجذام مئة ألف أخرى، فالتقى الجمعان عند مؤتة، واقتتلوا فقاتل زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه ومعه راية رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حتى قُتِل رضي الله تعالى عنه، فأخذ الراية جعفر رضي الله تعالى عنه وقاتل حتى قُطِعَت يمينُه، فأخذ الراية بيساره؛ فقُطعت يسارُه، فاحتضن الرايةَ، حتى قُتل رضي الله تعالى عنه، فأخذَها عبد الله بن رواحة رضي الله تعالى عنه وقاتل حتى قُتِل، ثم أخذها خالد رضي الله تعالى عنه وثبت جيش المسلمين، ثم انحاز كلٌّ من الفريقَين عن الآخر من غير هزيمةٍ على أحدهما، واستطاع خالد رضي الله عنه أن ينسحب بالجيش بذكاء بارع.

قالَ عَبْدُ الله: كُنْتُ فِيهِمْ في تِلْكَ الغَزْوَةِ، فَالْتَمَسْنا جَعْفَرَ بنَ أَبِي طالِبٍ، فَوَجَدْناهُ في القَتْلَى، ووجَدْنا ما في جَسَدِهِ بِضْعًا وَتِسْعِينَ، مِنْ طَعْنَةٍ وَرَمْيَةٍ[١].

وروى مسلم رحمه الله عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حين أَمَّر أُسامة بَلَغَه أنَّ الناسَ يَعيبون أسامةَ ويَطعنون في إمارتِه، فقام رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال: إنكم تَعِيبون أُسامةَ وتَطعنون في إمارتِه، وقد فعلتُمْ ذلك في أبيهِ من قَبْلُ، وإنْ كان لَخَليقاً للإمارةِ، وإنْ كانَ لأحبَّ الناسِ كلِّهم إليَّ، وإنّ ابنَهُ هذا بعدَه من أحبِّ الناسِ إليَّ، فاستوصُوا بِهِ خَيراً، فإنه مِنْ خِيارِكُمْ[٢].

وكان عدد قادة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يزيد عن سبعة وأربعين قائداً؛ وتوزَّعت مهمّاتهم في السرايا على سبعين سرية، وهم:

أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وأبان بن سعيد، وابن أبي العَوْجاء السُّلَمي، وأبو حَدْرَد الأَسْلَمِيُّ (اسْمُهُ سَلَامَةُ بنُ عُمَيْرٍ)، وأبو سفيان، وأبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي، وأبو عامر الأشعري، وأبو عُبَيدة عامر بن عبد الله بن الجرَّاح، وأبو قتادة الحارث بن ربعي الأنصاري، وأسامة بن زيد، وبشير بن سعد، وجَرير بن عبد الله البَجَلي، وجعفر بن أبي طالب، وحمزة ابن عبد المطلب، وخالد بن الوليد، وخالد بن سعيد بن العاص، وزيد بن حارثة، وسالم بن عُمَير، وسعد بن أبي وقاص، وسعد بن زيد الأَشْهَلي، وشجاع بن وَهْب الأسدي، والضحَّاك بن سفيان، والطُّفَيل بن عمرو الدَّوْسي، وطَلْحَة ابن

(١) صحيح البخاري رقم ٤٢٦١.
(٢) صحيح مسلم رقم ٢٤٢٦، ومسند أحمد رقم ٥٦٣٠.

عُبَيد الله، وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله ابن أُنَيس، وعبد الله بن جحش، وعبد الله بن رَواحة، وعبد الله بن عَتِيك، وعُبَيدة ابن الحارث، وعُكَّاشة بن مِحْصَن، وعلقمة بن مُجَزِّز، وعمرو بن أُميَّة، وعمرو ابن العاص، وعُمير بن عَدِي بن خَرَشَة، وعُيَيْنة بن حِصْن، وغالب بن عبد الله الليثي، وقُطْبة بن عامر، وقيس بن سعد بن عُبَادة، وكُرْز بن جابر، وكعب بن عُمَير الغِفَاري، ومحمد بن مَسْلَمة، والمُغِيرَة بن شُعبة، والمُنْذِرُ بن عمرو السَّاعِدِيّ رضي الله عنهم أجمعين.

ومن نماذج القادة في الذكاء والدهاء بشير بن سعد رضي الله عنه، ومن مواقفه التي ذكرها أهل السيرة في الذكاء والصبر؛ أنّ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بَعَثَه في ثَلَاثِينَ رَجُلًا إلى بَنِي مُرَّةَ بِفَدَكٍ[١]، فَخَرَجَ فَلَقِيَ رِعَاءَ الشَّاءِ فَاسْتَاقَ الشَّاءَ وَالنَّعَمَ مُنْحَدِرًا إلى المَدِينَةِ، فَأَدْرَكَهُ الطَّلَبُ[٢] عِنْدَ اللَّيْلِ، فَبَاتُوا يَرْمُونَهُمْ بِالنَّبْلِ، حَتَّى فَنِيَتْ نَبْلُ أَصْحَابِ بَشِيرٍ، فَأَصابوا أَصْحابَهُ وَوَلَّى مِنْهُمْ مَنْ وَلَّى.

وقاتَلَ بَشِيرٌ قِتالًا شَدِيدًا حَتَّى ضُرِبَ كَعْبَاهُ، وَقِيلَ: قد مَاتَ، وَرَجَعُوا بِنَعَمِهِمْ وَشَائِهِمْ، وَتَحامَلَ بَشِيرٌ حَتَّى انْتَهَى إلى فَدَكَ، فَأَقَامَ عِنْدَ يَهُودِيٍّ حَتَّى ارْتَفَعَ مِنَ الجِراحِ، ثُمَّ رَجَعَ إلى المَدِينَةِ[٣].

---

(١) كانت سرية بشير بن سعد رضي الله عنه إلى بني مُرَّة في شعبان ٧هـ، ومكانهم عند فدك: وفدك هي بلدة حائط التي تقع في شمال شرق المدينة المنورة وتبعد نحو ٣٠٠كم عنها، وتبعد عن خيبر نحو ١٣٠كم.

الإحداثيات: "٣٢,٣١'٢٨°٤٠ "٧٠,٥٢'٥٩°٢٥

(٢) المشركون المحاربون.

(٣) دلائل النبوة للبيهقي ٤/ ٢٩٥، والسيرة الحلبية ٣/ ١٩٢.

القاعدة السادسة والعشرون
لغة المحبة بين القائد وجنده

لم يأتِ على البشرية إنسان أحبَّه أصحابُه حبّاً حقيقيّاً كحبِّ الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فقد اختار الله تعالى محمداً أفضل الخلق لأعظم الرسالات، واختار أعظم الصحابة لحمل تلك الرسالة مع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فكانوا خير أصحاب لخير رسول، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وعلى جميع صحبه.

وقد وصف الله تعالى هذه المحبة فقال: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩].

ومن شواهد ذلك ما ذكره ابن هشام وغيره؛ أنه لما أُسِر خُبيب بن عَدِيٍّ وزيدُ بن الدَّثِنَّة في سرية الرَّجيع[١]، وأجمعت قريش على قتلِهما، قالَ لَهُ أَبو

(١) اسم السرَّيَّة التي ذهب فيها عاصم بن ثابت وأصحابه رضي الله عنهم سرية الرَّجِيع؛ وهي سرية استطلاع، ليجمعوا له المعلومات عن تحرّكات قريش التجارية والعسكرية، حتى إذا كانوا في منطقة الرجيع أغارَ عليهم بنو لِحْيان فقتلوا بعضهم، وأَسَروا البعض، والرجيعُ: ماء، ويُعرَف اليوم باسم الوطية، ويَبعدُ عن مكة نحو ٧٠كم على اليمين للمتّجه منها إلى عُسفان.

إحداثيات سرية الرجيع: "٨٦,٣٥ ٢٦°٣٩'٨٣,٢٣ ٢١°٥٣

سُفْيانَ[١] حِينَ قُدِّمَ لِيُقْتَلَ: أَنْشُدُكَ اللهَ؛ أَتُحِبُّ أَنّ مُحَمّدًا عِنْدَنا الآنَ في مَكانِك نَضْرِبُ عُنُقَهُ وَأَنَّك في أَهْلِك؟

قالَ: وَاللهِ ما أُحِبُّ أَنّ مُحَمّدًا الآنَ في مَكانِهِ الّذِي هُوَ فِيهِ تُصِيبُهُ شَوْكَةٌ تُؤْذِيهِ وَأَنَا جَالِسٌ في أَهْلِي.

قالَ: يَقُولُ أَبُو سُفْيَانَ: ما رَأَيْت مِن النّاسِ أَحَدًا يُحِبُّ أَحَدًا كَحُبِّ أَصْحَابِ مُحَمّدٍ مُحَمّدًا[٢].

ومِن صُوَر المحبّة بين النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وبين صحابتِه ما رواه أهل السيرة عن عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها، أنها قالت: سمعتُ أبا بكرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ: لَـمّا كانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَرُمِيَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليهِ وعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في وَجْهِهِ حَتّى دَخَلَتْ في وَجْنَتَيْهِ حَلَقَتانِ مِن المِغْفَرِ[٣]، فَأَقْبَلْتُ أَسْعَى إلى رسولِ الله صَلَّى اللهُ عليهِ وعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَإِنْسانٌ قد أَقْبَلَ مِنْ قِبَلِ المَشْرِقِ يَطِيرُ طَيَرانًا، فقلت: اللهمّ اجعله طَلْحَةَ ابنَ عُبَيْدِ الله! حَتّى تَوافَيْنا إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فإذا أَبُو عُبَيْدَةُ بنُ الْجَرّاحِ، فَبَدَرَنِي فقالَ: أَسْأَلُك بالله يا أبا بَكْر أَلا تَرَكْتنِي، فَأَنْزِعُهُ مِنْ وَجْهِ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عليهِ وعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ..

فأخذ أبو عُبَيْدَةَ بِثَنِيّتِهِ[٤] حَلَقَةَ المِغْفَرِ فَنَزَعَها، وَسَقَطَ على ظهره وسقطت ثنيّة أبي عُبَيْدَةَ، ثُمّ أَخَذَ الحَلَقَةَ الأُخْرَى بِثَنِيّتِهِ الأُخْرى، فكانَ أَبُو عُبَيْدَةَ في النّاسِ أَثْرَمَ[٥].

---

(١) لزيد بن الدَّثِنَّة.

(٢) يراجع سيرة ابن هشام ٢/ ١٧٢.

(٣) زَرَدٌ يُنْسَجُ على قدرِ الرأس يُلبس تحت غطاء الرأس.

(٤) الأسنان في مقدّمة الفم.

(٥) ساقط الثنية.

وكانَ أَبو سَعِيدٍ الخُدْرِيّ يُحَدّثُ أَنّ رسولَ الله صَلَّى اللهُ علَيهِ وعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أُصِيبَ وَجْهُهُ يَوْمَ أُحُدٍ؛ فَدَخَلَت الحَلَقَتانِ مِن المِغْفَرِ في وَجْنَتَيْهِ، فَلَمّا نُزِعَتا جَعَلَ الدّمُ يَسْرُبُ كَمَا يَسْرُبُ الشّنّ (١) ، فَجَعَلَ مالكُ بن سِنَان يَمْلُجُ(٢) الدّمَ بِفِيهِ ثُمّ ازْدَرَدَهُ(٣) ، فقالَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ علَيهِ وعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحَبّ أَنْ يَنْظُرَ إلى مَنْ خَالَطَ دَمُهُ دَمِي فلينظر إلى مالك بن سِنَان».

قالَ أَبو سَعِيدٍ رضي الله عنه: فَلَمّا كانَ من النّهَارِ؛ وَبَلَغَنا مُصَاب رسولِ الله صَلَّى اللهُ علَيهِ وعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَتَفَرُّق النّاسِ عَنْهُ، جِئْتُ مَعَ غِلْمَانٍ مِنْ بَنِي خَدِرَةَ نَعْتَرِضُ لِرسولِ الله صَلَّى اللهُ علَيهِ وعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَنَنْظُرُ إلى سَلَامَتِهِ، فَنَرْجِعُ بِذَلِكَ إلى أَهْلِنا، فَلَقِينا النّاسَ مُنْصَرِفِينَ بِبَطْنِ قَنَاةٍ(٤) فَلَمْ يَكُنْ لَنَا هِمّةٌ إلّا النّبِيّ صَلَّى اللهُ علَيهِ وعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ نَنْظُرُ إلَيْهِ، فَلَمّا نَظَرَ إلَيّ قالَ: «سَعْدُ بنُ مَالِكٍ؟».

قُلْت: نَعَمْ، بِأَبِي وَأُمّي! فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَقَبّلْت رُكْبَتَهُ وَهُوَ على فَرَسِهِ.

ثُمّ قالَ: «آجَرَكَ اللهُ في أَبِيك!».

ثُمّ نَظَرْتُ إلى وَجْهِهِ، فإذا في وَجْنَتَيْهِ مَوْضِعُ الدّرْهَمِ في كُلّ وَجْنَةٍ، وإذا شَجّةٌ في جَبْهَتِهِ عِنْدَ أُصُولِ الشّعْرِ، وإذا شَفَتُهُ السّفْلَى تَدْمَى، وإذا رَباعِيَتُهُ اليُمْنَى شَظِيّةٌ، فإذا على جُرْحِهِ شَيْءٌ أَسْوَدُ.

فَسَأَلْت: ما هذا على وَجْهِهِ؟

فَقَالُوا: حَصِيرٌ مُحَرّقٌ.

---

(١) إناء للشرب.

(٢) يمصُّ.

(٣) بَلَعَه.

(٤) بطن قناة: أَحَدُ أودية المدينة جنوب جبل أُحد، والمكان قريب من جبل الرماة.

وَسَأَلْت: مَنْ دَمّى وَجْنَتَيْهِ؟

فَقِيلَ: ابْنُ قَميئةَ.(١) .

فَقُلْت: مَنْ شَجّهُ في جَبْهَتِهِ؟

فَقِيلَ: ابْنُ شِهَابٍ.

فَقُلْت: مَنْ أَصَابَ شَفَتَهُ؟

فَقِيلَ: عُتْبَةُ.

فَجَعَلْت أَعْدُو بين يَدَيْهِ حَتّى نَزَلَ بِبابِهِ، فَمَا نَزَلَ إلّا حَمْلًا، وَأَرَى رُكْبَتَيْهِ مَجْحُوشَتَيْنِ(٢)، يَتّكِئُ على السّعْدَيْنِ ـ سَعْدِ بنِ عُبادةَ وَسَعْدِ بنِ مُعاذٍ ـ حَتّى دَخَلَ بَيْتَهُ.

فَلَمّا غَرَبَتِ الشّمْسُ وَأَذّنَ بِلَالٌ بِالصّلَاةِ خَرَجَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ علَيهِ وعَلى آلِهِ وَسَلَّمَ على مِثْلِ تِلْكَ الحالِ يَتَوَكّأُ على السّعْدَيْنِ، ثُمّ انْصَرَفَ إلى بَيْتِهِ، وَالنّاسُ في المَسْجِدِ يُوقِدُونَ النّيرَانَ يُكَمّدُونَ بِها الجِراحَ.

ثُمّ أَذّنَ بِلَالٌ بِالعِشاءِ حِينَ غَابَ الشّفَقُ، فَلَمْ يَخْرُجْ رسولُ الله صَلَّى اللهُ علَيهِ وعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَجَلَسَ بِلَالٌ عِنْدَ بَابِهِ، حَتّى ذَهَبَ ثُلُثُ اللّيْلِ، ثُمّ نَادَاهُ: الصّلَاةَ، يَا رسولَ الله! فَخَرَجَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ علَيهِ وعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وقد كانَ نائِمًا.

قالَ: فَرَمَقْتُه فإذا هُوَ أَخَفّ في مِشْيَتِهِ مِنْهُ حِينَ دَخَلَ بَيْتَهُ، فَصَلّيْتُ مَعَهُ العِشاءَ ثم رجع إلى بيته، وقد صفَّ لَهُ الرّجَالُ ما بين بَيْتِهِ إلى مُصَلّاهُ، يَمْشِي وَحْدَهُ حَتّى دَخَلَ، وَرَجَعْتُ إلى أَهْلِي فَخَبّرْتهمْ بِسَلَامةِ رسولِ الله صَلَّى اللهُ علَيهِ

---

(١) ولقد مَكَثَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ علَيهِ وعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَجِدُ وَهَنَ ضَرَبةِ ابْنِ قَمِيئةَ على عاتِقِهِ شَهْرًا أو أَكْثَرَ مِنْ شَهْرٍ.

(٢) مخدوشتَين.

وعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَحَمِدُوا اللهَ على ذلك وَنامُوا، وَكانَتْ وُجُوهُ الخَزْرَجِ وَالأَوْسِ في المَسْجِدِ على بابِ النّبِيّ صَلَّى اللهُ علَيهِ وعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَحْرُسُونَهُ فَرَقًا مِنْ قُرَيْشٍ أَنْ تَكِرَّ[١].

ومن صُوَرِ المحبة ما جاء في وصفها على لسان أبي سفيان لما قابل قيصر أثناء تجارتِه في الشام، وها أنا أسوقها كاملة كما أوردها البخاري رحمه الله تعالى عن عبد الله بنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُما، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ، أَنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كَتَبَ إلى قَيْصَرَ يَدْعوهُ إلى الإِسْلامِ، وَبَعَثَ بِكِتابِهِ إِلَيهِ مَعَ دِحْيَةَ الكَلْبِيِّ، وَأَمَرَهُ رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أَنْ يَدْفَعَهُ إلى عَظِيمِ بُصْرَى، لِيَدْفَعَهُ إلى قَيْصَرَ، وَكَانَ قَيْصَرُ لَمَّا كَشَفَ اللهُ عَنْهُ جُنُودَ فَارِسَ، مَشَى مِنْ حِمْصَ[٢] إلى إِيلِياءَ[٣] شُكْرًا لِمَا أَبْلَاهُ اللهُ، فَلَمَّا جاءَ قَيْصَرَ كِتَابُ رسولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، قالَ حِينَ قَرَأَهُ: التَمِسُوا لِي هَاهُنَا أَحَدًا مِنْ قَوْمِهِ، لأَسْأَلَهُمْ عن رسولِ الله – صلى الله عليه وعلى آله وسلم–.

قالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَأَخْبَرَنِي أَبو سُفْيَانَ بنُ حَرْبٍ، أَنَّهُ كانَ بِالشَّامِ في رِجالٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدِمُوا تُجَّارًا في المُدَّةِ الَّتِي كانَتْ بين رسولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وبينَ كُفَّارِ قُرَيْشٍ.

---

(١) مغازي الواقدي ١/ ٢٤٦، والمواهب اللدنية بالمنح المحمدية ١/ ٢٤٦.

(٢) حمص: محافظة سورية تقع في وسطها، وفيها مات الصحابي الجليل خالد بن الوليد رضي الله عنه.
الإحداثيات: "٣٤°٤٤'١٢,٢٥ "٣٦°٤٢'٥٥,٥٥

(٣) إيلياء: هي بيت المقدس في فلسطين المحتلة.
الإحداثيات: "٣١°٤٦'٤١,٦٠ "٣٥°١٤'٧,٤١

قالَ أَبو سُفْيانَ: فَوَجَدَنَا رسولُ قَيْصَرَ بِبَعْضِ الشَّامِ، فَانْطُلِقَ بِي وَبِأَصْحابِي، حَتَّى قَدِمْنَا إِيلِياءَ، فَأُدْخِلْنا علَيهِ، فإذا هُوَ جَالِسٌ في مَجْلِسِ مُلْكِهِ، وعلَيهِ التَّاجُ، وإذا حَوْلَهُ عُظَماءُ الرُّومِ.

فقالَ لِتَرْجُمانِهِ: سَلْهُمْ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا إلى هذا الرَّجُلِ، الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، قالَ أَبو سُفْيَانَ: فَقُلْتُ: أَنَا أَقْرَبُهُمْ إِلَيهِ نَسَبًا.

قالَ: ما قَرابةُ ما بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ؟

فَقُلْتُ: هُوَ ابْنُ عَمِّي، وَلَيْسَ في الرَّكْبِ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ مِنْ بَنِي عبد مَنَافٍ غَيْرِي.

فقالَ قَيْصَرُ: أَدْنُوهُ، وَأَمَرَ بِأَصْحابِي، فَجُعِلُوا خَلْفَ ظَهْرِي عِنْدَ كَتِفِي، ثُمَّ قالَ لِتَرْجُمَانِهِ: قُلْ لأَصْحابِهِ: إِنِّي سَائِلٌ هذا الرَّجُلَ عَنِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَإِنْ كَذَبَ، فَكَذِّبُوهُ.

قالَ أَبو سُفْيانَ: وَاللهِ لَوْلا الحَياءُ يَوْمَئِذٍ؛ مِنْ أَنْ يَأْثُرَ أَصْحابِي عَنِّي الكَذِبَ، لَكَذَبْتُهُ حِينَ سَأَلَنِي عَنْهُ، وَلَكِنِّي اسْتَحْيَيْتُ أَنْ يَأْثُرُوا الكَذِبَ عَنِّي، فَصَدَقْتُهُ.

ثُمَّ قالَ لِتَرْجُمانِهِ: قُلْ لَهُ: كَيْفَ نَسَبُ هذا الرَّجُلِ فِيكُمْ؟

قُلْتُ: هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ.

قالَ: فَهَلْ قالَ هذا القَوْلَ أَحَدٌ مِنْكُمْ قَبْلَهُ؟

قُلْتُ: لا.

فقالَ: كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ على الكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ ما قالَ؟

قُلْتُ: لا.

قالَ: فَهَلْ كانَ مِنْ آبائِهِ مِنْ مَلِكٍ؟

قُلْتُ: لا.

قالَ: فَأَشْرافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟

قُلْتُ: بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ.

قالَ: فَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟

قُلْتُ: بَلْ يَزِيدونَ.

قالَ: فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟

قُلْتُ: لا.

قالَ: فَهَلْ يَغْدِرُ؟

قُلْتُ: لا، وَنَحْنُ الآنَ مِنْهُ في مُدَّةٍ، نَحْنُ نَخَافُ أَنْ يَغْدِرَ، قالَ أَبو سُفْيانَ: وَلَمْ يُمْكِنِّي كَلِمَةٌ أُدْخِلُ فيها شَيْئًا أَنْتَقِصُهُ بِهِ، لا أَخَافُ أَنْ تُؤْثَرَ عَنِّي غَيْرُها.

قالَ: فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ أو قَاتَلَكُمْ؟

قُلْتُ: نَعَمْ.

قالَ: فَكَيْفَ كَانَتْ حَرْبُهُ وَحَرْبُكُمْ؟

قُلْتُ: دُوَلاً وَسِجالاً[١]، يُدَالُ علَينا المَرَّةَ، وَنُدَالُ علَيهِ الْأُخْرى[٢].

قالَ: فَماذا يَأْمُرُكُمْ بِهِ؟

---

(١) تناوب النّصر والهزيمة.
«وَأَصله أَن الْمُسْتَقِيَيْنِ بسَجْلَين من الْبِئْر يكونُ لكلِّ وَاحِد مِنْهُمَا سَجْلٌ، أَي: دَلوٌ ملأى مَاء». تهذيب اللغة ١٠/ ٣١٠.

(٢) أَيْ نغلبهُ مَرَّةً ويغلبُنا أُخْرَى. النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ١٤١.

قالَ: يَأْمُرُنا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ لاَ نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَيَنْهانا عَمَّا كانَ يَعْبُدُ آباؤُنا، وَيَأْمُرُنا بِالصَّلاةِ، وَالصَّدَقةِ، وَالعَفافِ، وَالوَفاءِ بِالعَهْدِ، وَأَداءِ الأَمانةِ.

فقالَ لِتَرْجُمَانِهِ حِينَ قُلْتُ ذلك لَهُ: قُلْ لَهُ: إِنِّي سَأَلْتُكَ عن نَسَبِهِ فِيكُمْ، فَزَعَمْتَ أَنَّهُ ذُو نَسَبٍ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ في نَسَبِ قَوْمِها.

وَسَأَلْتُكَ: هَلْ قالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هذا القَوْلَ قَبْلَهُ، فَزَعَمْتَ أَنْ لا، فَقُلْتُ: لَوْ كانَ أَحَدٌ مِنْكُمْ قالَ هذا القَوْلَ قَبْلَهُ، قُلْتُ: رَجُلٌ يَأْتَمُّ بِقَوْلٍ قد قِيلَ قَبْلَهُ.

وَسَأَلْتُكَ: هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ ما قالَ، فَزَعَمْتَ أَنْ لا، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَدَعَ الكَذِبَ على النَّاسِ وَيَكْذِبَ على الله.

وَسَأَلْتُكَ: هَلْ كانَ مِنْ آبائِهِ مِنْ مَلِكٍ، فَزَعَمْتَ أَنْ لا، فَقُلْتُ: لَوْ كانَ مِنْ آبائِهِ مَلِكٌ، قُلْتُ: يَطْلُبُ مُلْكَ آبائِهِ.

وَسَأَلْتُكَ: أَشْرافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفاؤُهُمْ، فَزَعَمْتَ أَنَّ ضُعَفاءَهُمُ اتَّبَعُوهُ، وَهُمْ أَتْباعُ الرُّسُلِ.

وَسَأَلْتُكَ: هَلْ يَزِيدونَ أو يَنْقُصونَ، فَزَعَمْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدونَ، وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ حَتَّى يَتِمَّ.

وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ، فَزَعَمْتَ أَنْ لا، فَكَذَلِكَ الإِيمَانُ حِينَ تَخْلِطُ بَشَاشَتُهُ القُلُوبَ، لَا يَسْخَطُهُ أَحَدٌ.

وَسَأَلْتُكَ: هَلْ يَغْدِرُ، فَزَعَمْتَ أَنْ لا، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لا يَغْدِرونَ.

وَسَأَلْتُكَ: هَلْ قاتَلْتُمُوهُ وَقاتَلَكُمْ، فَزَعَمْتَ أَنْ قد فَعَلَ، وَأَنَّ حَرْبَكُمْ وَحَرْبَهُ تَكُونُ دُوَلاً، وَيُدالُ عَلَيْكُمُ المَرَّةَ، وَتُدالُونَ علَيهِ الأُخْرى، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْتَلَى، وَتَكُونُ لَها العاقِبةُ.

وَسَأَلْتُكَ: بِمَاذَا يَأْمُرُكُمْ، فَزَعَمْتَ: أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ، ولا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَيَنْهاكُمْ عَمّا كانَ يَعْبُدُ آباؤُكُمْ، وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلاةِ، وَالصِّدْقِ، وَالعَفافِ، وَالوَفاءِ بِالعَهْدِ، وَأَداءِ الأَمانةِ، قالَ: وَهَذِهِ صِفَةُ نَبِيٍّ، قد كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ، وَلَكِنْ لَمْ أَعْلَمْ أَنَّهُ مِنْكُمْ، وَإِنْ يَكُ ما قُلْتَ حَقًّا، فَيُوشِكُ أَنْ يَمْلِكَ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هاتَيْنِ، وَلَوْ أَرْجُو أَنْ أَخْلُصَ إِلَيْهِ، لَتَجَشَّمْتُ لِقاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عنده لَغَسَلْتُ قَدَمَيْهِ.

قالَ أَبو سُفْيَانَ: ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رسولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فَقُرِئَ، فإذا فيهِ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عبد الله وَرَسُولِهِ، إلى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلامٌ على مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعايةِ الإِسْلامِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ، فَعَلَيْكَ إِثْمُ الأَرِيسِيِّينَ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

قالَ أَبو سُفْيَانَ: فَلَمَّا أَنْ قَضَى مَقَالَتَهُ، عَلَتْ أَصْوَاتُ الَّذِينَ حَوْلَهُ مِنْ عُظَمَاءِ الرُّومِ، وَكَثُرَ لَغَطُهُمْ، فَلا أَدْرِي ماذا قالوا، وَأُمِرَ بِنا، فَأُخْرِجْنا، فَلَمَّا أَنْ خَرَجْتُ مَعَ أَصْحابِي، وَخَلَوْتُ بِهِمْ، قُلْتُ لَهُمْ: لَقَدْ أَمِرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ[1]، هذا مَلِكُ بَنِي الأَصْفَرِ يَخافُهُ.

قالَ أَبو سُفْيانَ: وَاللهِ ما زِلْتُ ذَلِيلاً مُسْتَيْقِنًا بِأَنَّ أَمْرَهُ سَيَظْهَرُ، حَتَّى أَدْخَلَ اللهُ قَلْبِي الإِسْلامَ وَأَنَا كارِهٌ[2].

---

(١) «أَمِرَ أَمْرُ»: أي كَبُرَ شأنه، و«كبشة»: اسم مرتجل ليس بمؤنّث الكبش، لأن مؤنث الكبش من غير لفظه يريدُ النبيّ ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ أنها كنية أبيه من الرضاعة الحارث بن عبد العزى، وقال بعضُ أهل العلم: إنه أسلم وكانت له بنت تسمى كبشة، فكُنّي بها أو هو والد حليمة مرضعته. شرح القسطلاني (إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري) ١/ ٨١.

(٢) صحيح البخاري رقم ٢٩٤٠، ٢٩٤١.

القاعدة السابعة والعشرون
بين المركزية وعدم المركزية في القيادة العسكرية

قال الله تعالى: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت:٦].

الأصل في الجهاد أنه قائم على مراقبة الله تعالى، والقيام بأوامره، والانتهاء عن نواهيه، كما دلَّ على هذا الآية السابقة، ويأتي السمع والطاعة لوليِّ الأمر تَبعَاً للأمر السابق، وهذا مما خَفَّفَ على وليّ الأمر الكثير من الأعباء في متابعة القادة الموكّل لهم أمور تسيير المعارك.

وقد ذكرتُ من قبل أن عدد قادة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يزيد عن سبعة وأربعين قائداً؛ وتوزّعت مهماتهم في السرايا التي بعثهم بها النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم على نحو سبعين سَرِيَّة، وكان من عادة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه كان يوصي بعض الوصايا لقادته، بل وأكثر وصاياه لهم هو الإحسان وعرض الإسلام، وقلَّ أن يضع لهم تفاصيل الخطة الحربية، بل يحدّد لهم الوجهة، والهدفَ المطلوب، ويترك لهم حرية الاختيار في إدارة المعارك.

ومن الشواهد لذلك ما ذكرَه أهلُ السِّيَر في سَرِيَّةِ عبد الرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ إلى دُومَةِ الجَنْدَلِ[1] قَالُوا: دَعا رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عَبْدَ الرَّحْمَنِ

(١) سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دُومَة الجَنْدَل، كانت في شعبان ٦هـ، ودومة الجندل تبعد عن العاصمة السعودية الرياض حوالي ٩٠٠ كم باتجاه الشمال الغربي.

الإحداثيات: "٢٩°٤٨'٣٨,٧٦"٣٩°٥٢'١,١٠

ابنَ عَوْفٍ فَأَقْعَدَهُ بين يَدَيْهِ وَعَمَّمَهُ بِيَدِهِ، وقالَ: «اغْزُ بِسْمِ الله، وفي سَبِيلِ الله، فَقاتِلْ مَنْ كَفَرَ بِالله، لَا تَغُلَّ، وَلَا تَغْدِرْ، وَلَا تَقْتُلْ وَلِيدًا».

وَبَعَثَهُ إلى كَلْبٍ بِدُومَةِ الجَنْدَلِ، وقالَ: «إِنِ اسْتَجَابُوا لَكَ فَتَزَوَّجِ ابْنَةَ مَلِكِهِمْ».

فَسارَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ حَتَّى قَدِمَ دُومَةَ الجَنْدَلِ، فَمَكَثَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ يَدْعُوهُمْ إلى الإسلامِ، فَأَسْلَمَ الأَصْبَغُ بنُ عَمْرٍو الْكَلْبِيُّ، وكانَ نَصْرانِيًّا وكانَ رَأْسَهُمْ، وَأَسْلَمَ مَعَهُ نَاسٌ كَثِيرٌ مِنْ قَوْمِهِ، وَأَقَامَ مَنْ أَقَامَ[1] على إِعْطاءِ الجِزْيَةِ، وَتَزَوَّجَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ تُمَاضِرَ بِنْتَ الأَصْبَغِ، وَقَدِمَ بِها إلى المَدِينَةِ[2].

وكان من عظيم القيادة العسكرية عند النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه فتح باب التوسعة في الأمور الاجتهادية، سواء أكانت في العبادات أم في إدراك الأهداف، فالصحابة الذين سارعوا في جهاد بني قُرَيظَة اختلفوا في تأويل حديث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في أداءِ صلاةِ العصر، فلم يرجّح صلى الله عليه وعلى آله وسلم أيَّ رأيٍ على آخر، على الرغم مِنْ أنَّ بعضهم قد صلّى العصر بعد مَغيب الشمس، فقد روى البخاري ومسلم رحمهما الله عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أنه قالَ: قالَ النَّبِيُّ صَلى الله عَلَيهِ وعلى آلِه وسَلمَ لَنا لَمَّا رَجَعَ مِنَ الأَحْزابِ: «لا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ العَصْرَ إِلَّا في بَنِي قُرَيْظَةَ».

فَأَدْرَكَ بَعْضَهُمُ العَصْرُ في الطَّرِيقِ، فقالَ بَعْضُهُمْ: لاَ نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَها، وقالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نُصَلِّي، لَمْ يُرَدْ مِنَّا ذَلِكَ، فَذُكِرَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فَلَمْ يُعَنِّفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ[3].

---

(١) أي مَنْ بقيَ على النَّصرانية.

(٢) الطبقات الكبرى ٢/ ٢٨٩.

(٣) صحيح البخاري رقم٩٤٦، وصحيح مسلم رقم٤٧٠١.

القاعدة الثامنة والعشرون
صلاحية ولي الأمر في الأسرى

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَا..﴾ [محمد: ٤].

ذكرت من قبل أنَّ من عظيم رحمته صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ بالأسرى أنه كان يُطْعِمُهُم، ويسقيهم، ويبعدُ عنهم ما يؤذيهم، وأكثر حاله صلى الله عليه وعلى آله وسلم العفو.

فلا يجوز قتلهم صبراً، ولا تعذيبهم، ويجوز العفو عنهم بدون مقابل أو قبول الفداء منهم، وهو إطلاقُ سراحهم مقابل مال يدفعونه، وهذا الأخير هو أعظم مِنَّةٍ مِنَ الله تعالى، حيث أباح لولي الأمر إطلاق سراح الأسير بمقابل وبدون مقابل؛ أو لقاء تبادل، لأن الهدف الأعظم من الأَسْرِ هو تحقيق هداية الله تعالى في نفس الأسير، ومن الشواهد ما مرّ في الآية السابقة.

ومسألة إطلاق سراح الأسير خاصَّة بولي الأمر، فله المنُّ بأن يُطلقَ سراحه بدون مقابل، كما مرَّ معنا في قصة ثُمَامَةَ بن أُثَالٍ، أو أن يُطلق سراحه مقابل الفِداء، كما حدث في أسرى بدر، أو أن يقتله، وهذا الأخير كان قليلاً في سياسة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم الحربيَّة، وهؤلاء الذين قتلهم كانت لهم سوابق تسيء للإسلام والمسلمين، فكان قتلهم لكفِّ شرِّهم المتوقّع مستقبلاً.

ومن نماذج ذلك أبو عزّة الجُمَحِيّ المشرك؛ فقد كان شاعراً يهجو المسلمين، ويُؤَلِّب القبائلَ على قتالهم، وتمام ذلك ما رواه الواقدي وغيره عن سَعِيدِ بنِ المُسَيّبِ رحمه الله، أنه قالَ: أَمّنَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليهِ وعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مِن الأَسْرَى يوم

بدر أبا عزّة عمرو بن عبد الله بنِ عُمَيْرٍ الجُمَحِيّ، وكانَ شاعِرًا، فأعتقه رسول الله صلّى الله علَيهِ وَعلى آله وسَلَّمَ، وقالَ: لِي خَمْسُ بَنَاتٍ لَيْسَ لَهُنّ شَيْءٌ، فَتَصَدّقْ بِي عَلَيْهِنّ يَا مُحَمّدُ، فَفَعَلَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ علَيهِ وعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

وقالَ أَبو عَزّةَ: أُعْطِيكَ مَوْثِقًا لَا أُقَاتِلُك وَلَا أُكْثِرُ عَلَيْك أَبَدًا.

فَأَرْسَلَهُ رسولُ الله صَلَّى اللهُ علَيهِ وعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَلَمّا خَرَجَتْ قُرَيْشٌ إلى أُحُدٍ جَاءَهُ صَفْوَانُ بنُ أُمَيّةَ فقالَ: اخْرُجْ مَعَنا!

فقالَ: إنّي قد أَعْطَيْتُ مُحَمّدًا مَوْثِقًا أَلّا أُقَاتِلَهُ وَلَا أُكْثِرَ علَيهِ أَبَدًا، وقد مَنّ عَلَيّ وَلَمْ يَمُنّ على غَيْرِي حَتّى قَتَلَهُ أو أَخَذَ مِنْهُ الفِداءَ.

فَضَمِنَ صَفْوَانُ أَنْ يَجْعَلَ بَناتِه مَعَ بَناتِهِ إنْ قُتِلَ، وَإِنْ عَاشَ أَعْطَاهُ مَالًا كَثِيرًا لَا يَأْكُلُهُ عِيالُهُ.

فَخَرَجَ أَبو عَزّةَ يَدْعُو العَرَبَ وَيَحْشُرُها، ثُمّ خَرَجَ مَعَ قُرَيْشٍ يَوْمَ أُحُدٍ، فَأُسِرَ وَلَمْ يُؤسَرْ غَيْرُهُ مِنْ قُرَيْشٍ.

فقالَ: يَا مُحَمّدُ، إنّمَا خَرَجْتُ مُكْرَهًا، وَلِي بَناتٌ فَامْنُنْ عَلَيّ!

فقالَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ علَيهِ وعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أَيْنَ ما أَعْطَيْتَنِي مِن العَهْدِ والمِيثَاقِ؟! لَا والله، لَا تَمْسَحْ عَارِضَيْك[1] بِمَكّةَ تَقُولُ: سَخِرْتُ بِمُحَمّدٍ مَرّتَيْنِ!.. إنّ المؤمنَ لا يُلْدَغُ مِنْ جُحْرٍ مَرّتَيْنِ، يا عاصِم بنَ ثَابِتٍ، قَدّمْهُ فَاضْرِبْ عُنُقَهُ!» فَقَدّمَهُ عَاصِمٌ فَضَرَبَ عُنُقَهُ[2].

---

(١) جانبي الوجه.

(٢) مغازي الواقدي ١/ ١١١.

القاعدة التاسعة والعشرون
السُّمُوُّ الأخلاقيّ مع الجند

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

وقال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨].

وقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

في القرآن الكريم نماذج كثيرة تبيِّن مدى البُعد الأخلاقي السلوكيّ في التعامل بين الله وجند المسلمين، وبين رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وبينهم، بل وحتى بين الجند أنفسهم.

فقد بلغَتْ أخلاقُ النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ الكريمة في التعامل مع الجند الدرجةَ التي لم يَصِلْ إليها أحد من القادة قط، لينٌ من غير ضعف، وحزمٌ من غير ظلم، ورئاسةٌ من غير تكَبُّر، وحُكْمٌ من غير جَور، وبُعدٌ في النَّظر، ودقةٌ في الرأي، وحبٌّ متبادَلٌ فاقَ حبّ الآباء للأبناء، بل والنفس أيضاً.

ومن شواهد تواضُعِه صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وتحمّله المشاقّ مع صحابته الكرام؛ ما رواه أحمد عن عبد الله بنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أنه قالَ: كُنَّا يَوْمَ بَدْرٍ كُلُّ ثَلَاثةٍ على بَعيرٍ، كانَ أَبو لُبابةَ وَعَلِيٌّ بنُ أَبِي طالِبٍ زَمِيلَيْ رسولِ الله

صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، قالَ: وكانت عُقْبَةُ[١] رسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، قالَ: فقالَا: نَحْنُ نَمْشِي عَنْكَ، فقالَ: «ما أَنْتُمَا بِأَقْوى مِنِّي، وَلَا أَنا بِأَغْنَى عن الأَجْرِ مِنْكُما»[٢].

ومن شواهد تحمُّلِه الإيذاء من الجند ومسامحته لهم؛ ما رواه البخاري ومسلم عن عبد الله مسعود رضي الله عنه أنه قالَ: لَمَّا قَسَمَ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ قِسْمةَ حُنَيْنٍ، قالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: ما أَرَادَ بِها وَجْهَ الله، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ، ثُمَّ قالَ: «رَحْمَةُ الله على مُوسَى، لقد أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هذا فَصَبَرَ»[٣].

ومن شواهد تعليم النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ جندَه الصبر؛ ما رواه الشيخان أن سَعْد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: إِنِّي لَأَوَّلُ العَرَبِ رَمَى بِسَهْمٍ في سَبِيلِ الله، وَرَأَيْتُنَا نَغْزُو وَمَا لَنا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الحُبْلَةِ، وهذا السَّمُرُ، وَإِنَّ أَحَدَنا لَيَضَعُ كَما تَضَعُ الشَّاةُ، ما لَهُ خِلْطٌ، ثُمَّ أَصْبَحَتْ بَنُو أَسَدٍ تُعَزِّرُنِي على الإِسْلامِ، خِبْتُ إِذًا وَضَلَّ سَعْيِي[٤].

* * *

(١) أي دور.
(٢) مسند الإمام أحمد رقم ٣٧٠٦.
(٣) صحيح البخاري رقم ٤٣٣٥، وصحيح مسلم رقم ١٤٠.
(٤) صحيح البخاري رقم ٦٤٥٣، وصحيح مسلم رقم ٥٢٦٧.

القاعدة الثلاثون
العناية بأُسَرِ الشهداء

قال الله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

قال الله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ..﴾ [الأنفال: ٤١].

هذه الآيات السابقة من أعظم الآيات في رعاية الأيتام، والإحسان إليهم، ومخالطتهم، ورعاية شؤونهم، وتوعّد الله تعالى بالعقاب لمَن أساءَ لليتامى، حتى جعل الله لهم نصيباً من غنائم الحرب، فإذا عظَّمَ الله من شأن الإحسان لليتيم لِيُتْمِهِ فإنَّ اليتيمَ الذي استُشْهِدَ والده في ساحة المعركة لهو أشدّ إعظامًا من الأول، فهذا قد جمع ليتمه كرامة الشهداء، فصارت له مزيّة على الأول، وعلى هذا دلّت السُّنّة المطهّرة.

ولا تقتصر العناية بهذا الشهيد، بل تشمل جميع أُسرَتِه؛ بكفالتهم وتعليمهم ورعايتهم بكلّ ما يحتاجونه من مسكنٍ ولباس ولُطْفِ معاملة.

والسؤال الذي قد يتبادر للذهن: كيف يكون للعناية بأُسَرِ الشهداء دَورٌ في نجاحِ القيادة العسكرية؟

والجواب: إنّ الرجل قبل مشاركته في الجهاد إذا لاحظَ عنايةً بأولادِ الشهداء

كان أكثر إقداماً في المعارك، لِعلمهِ بمصير أولادِه من بعده، فلا يدخل عليه الشيطان بقوله: أين تذهب وتترك عيالك؟

فالجندي حين يشعر باهتمام القيادة به وسلامته وبأمنه، والعناية بأُسرَتِه ؛ لن يتردّد في أن يبذلَ غاية البذل، ويعطي أقصى العطاء.

ومن الأمثلة من السيرة المطهرة على العناية بِأُسَرِ الشهداء ما قالَه ابنُ إسْحاقَ رحمه الله: لَـمّا دَنا جيش مؤتة مِن المَدِينَةِ قافلين من مُؤْتة[١] تَلَقّاهُمْ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ وَالمُسْلِمُونَ، وَلَقِيَهُمُ الصّبْيَانُ يَشْتَدّونَ، وَرَسُولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ مُقْبِلٌ مَعَ القوم على دَابّةٍ، فقالَ: خُذوا الصّبْيَانَ فَاحْمِلُوهُمْ، وَأَعْطُونِي ابنَ جَعْفَرٍ، فأُتِيَ بِعَبْدِ الله فأَخَذَهُ فَحَمَلَهُ بين يَدَيْهِ، وَجَعَلَ النّاسُ يَحْثُونَ على الجَيْشِ التّرَابَ، وَيَقُولُونَ: يَا فُرّارُ! فَرَرْتُمْ في سَبِيلِ الله!

قالَ: فَيَقُولُ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: «لَيْسوا بِالْفُرّارِ، وَلَكِنّهُمُ الكُرّارُ إنْ شاءَ اللهُ تَعَالَى»[٢].

وروى البخاري رحمه الله تعالى عن جابِر بن عبد الله الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما: أَنَّ أَباهُ اسْتُشْهِدَ يَوْمَ أُحُدٍ وَتَرَكَ سِتَّ بَناتٍ وَتَرَكَ علَيهِ دَيْنًا، فَلَمَّا حَضَرَ جِدَادُ النَّخْلِ أَتَيْتُ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، فَقُلْتُ: يا رسولَ الله قد عَلِمْتَ أَنَّ والِدي اسْتُشْهِدَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَتَرَكَ علَيهِ دَيْنًا كَثِيرًا، وَإِنِّي

(١) تقدّم الحديث عنها وعن موقعها، تحت عنوان: اختيار القادة.
(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٨٢.

أُحِبُّ أَنْ يَراكَ رُمَاءُ[١].

قالَ: «اذْهَبْ فَبَيْدِرْ كُلَّ تَمْرٍ على ناحِيَتِهِ»، فَفَعَلْتُ ثُمَّ دَعَوْتُهُ، فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَيهِ أُغْرُوا بِي تِلْكَ السَّاعةَ، فَلَمَّا رَأَى ما يَصْنَعُونَ أَطَافَ حَوْلَ أَعْظَمِها بَيْدَرًا ثَلاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ جَلَسَ علَيهِ.

ثُمَّ قالَ: «ادْعُ أَصْحَابَكَ»، فَما زالَ يَكيلُ لَهُمْ حَتَّى أَدَّى اللهُ أَمانةَ والِدي، وَأَنَا واللهِ راضٍ أَنْ يُؤَدِّيَ اللهُ أَمانةَ وَالِدِي، ولا أَرْجِعَ إلى أَخَواتي بِتَمْرةٍ، فَسَلِمَ واللهِ البَيادِرُ كُلُّهَا حَتَّى أَنِّي أَنْظُرُ إلى البَيْدَرِ الَّذِي علَيهِ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ، كَأَنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ تَمْرةً[٢].

❊ ❊ ❊

(١) يعني من أجل أن يتساهلوا معه في دَين أبيه.
(٢) البخاري رقم٢٧٨١.

القاعدة الحادية والثلاثون
رعاية الحالة النفسية عند الجنود

قال الله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ * إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١١-١٢].

من عظيم فضل الله تعالى على المؤمنين ليلة معركة بدر؛ أنْ ألقى الله على نفوسهم النعاس، ليؤمِّنهم من الخوف من عدوّهم وهم كفار قريش، وأنزل عليهم ماء طهورًا من السحاب، ليُطهّرهم به من الحدث الأكبر والأصغر، ويزيل به عنهم وساوس الشيطان من قلوبهم، ويصبّرها عند القتال، ويثبِّت بالمطر النازل أقدامَ المؤمنين بتلبيد الأرض الرملية بالمطر، حتى لا تطمس الأقدام في الرمل، فلا تنزلق فيها، ثم أيّدهم الله بالملائكة تقاتل معهم.

والآيات في القرآن الكريم التي تُعنى بالحالة الروحية والنفسية بالجنود كثيرة، وعلى هذا دلَّت السُّنّة المطهّرة.

فقد كان رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ مِنْ أشدِّ القادة متابعة لما يَجولُ في خواطر جنوده، مما قد يؤثِّر على حالة الجندي وقدراته العسكرية؛ من فقر، أو مرض، أو وسوسة شيطان، أو مشكلة مادية، أو معنوية، وما أشبه ذلك.

ومثال ذلك ما رواه الإمام أحمد عن أَبِي سَعيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه

أنه قالَ: لَمَّا أَعْطَى رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ ما أَعْطى مِنْ تِلْكَ العَطايا في قُرَيْشٍ وقَبائِلِ العَرَبِ[1]، وَلَمْ يَكُنْ في الأنصارِ مِنْها شَيْءٌ، وَجَدَ هذا الحَيُّ مِن الأَنْصَارِ في أَنْفُسِهِمْ حَتَّى كَثُرَتْ فِيهِمُ القَالَةُ، حَتَّى قالَ قائِلُهُمْ: لَقِيَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ قَوْمَهُ.

فَدَخَلَ علَيهِ سَعْدُ بنُ عُبادةَ، فقالَ: يا رسولَ الله! إِنَّ هذا الحَيَّ قد وَجَدوا علَيك في أَنْفُسِهِمْ؛ لِمَا صَنَعْتَ في هذا الْفَيْءِ الَّذِي أَصَبْتَ، قَسَمْتَ في قَوْمِكَ وَأَعْطَيْتَ عَطايَا عِظَامًا في قَبائِلِ العَرَبِ، وَلَمْ يَكُنْ في هذا الحَيِّ مِن الأَنْصَارِ شَيْءٌ.

قالَ: «فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذلك يا سَعْدُ؟»

قالَ: يا رسولَ الله! ما أَنَا إِلَّا امْرُؤٌ مِنْ قَوْمي، وما أَنا؟!

قالَ: «فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ في هذِهِ الحَظِيرةِ».

قالَ: فَخَرَجَ سَعْدٌ فَجَمَعَ النَّاسَ في تِلْكَ الحَظِيرةِ.

قالَ: فَجاءَ رِجالٌ مِن المُهَاجِرينَ فَتَرَكَهُمْ فَدَخَلُوا، وجاءَ آخَرونَ فَرَدَّهُمْ، فَلَمّا اجْتَمَعُوا أَتاهُ سَعْدٌ.

فقالَ: قد اجْتَمَعَ لَكَ هذا الحَيُّ مِن الأَنْصارِ.

قالَ: فَأَتَاهُمْ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى علَيهِ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ.

ثُمَّ قالَ: «يا مَعْشَرَ الأنصارِ ما قالةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ، وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوها في

---

(١) يعني: يوم حنين.

أَنْفُسِكُمْ، أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَّالًا فَهَداكُمُ اللهُ، وَعالةً فأَغْناكُمُ اللهُ، وأَعْداءً فَأَلَّفَ اللهُ بين قُلُوبِكُمْ؟».

قَالوا: بَل اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ وَأَفْضَلُ.

قالَ: «أَلَا تُجِيبُونَني يا مَعْشَرَ الأنصارِ؟»

قالوا: وبِماذا نُجِيبُكَ يا رسولَ الله؟ ولِلهِ وَلِرَسُولِهِ المَنُّ والفَضْلُ.

قالَ: «أَمَا والله لو شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ؛ أَتَيْتَنا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْناكَ، ومَخذولًا فَنَصَرْناكَ، وطَرِيدًا فَآوَيْناكَ، وعائِلًا فأَغْنَيْناكَ، أَوَجَدْتُمْ في أَنْفُسِكُمْ يا مَعْشَرَ الأنصارِ! في لُعاعةٍ[1] مِنَ الدُّنْيا تَأَلَّفْتُ بِها قَوْمًا لِيُسْلِموا، وَوَكَلْتُكُمْ إلى إِسلَامِكُمْ، أَفَلَا تَرْضَوْنَ يا مَعْشَرَ الأنصارِ! أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ والبَعِيرِ، وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ في رِحالِكُمْ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلَا الهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِن الأَنْصارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا وَسَلَكَتِ الأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الأنصارِ، اللَّهُمَّ ارْحَمِ الأَنْصارَ وَأَبْناءَ الأنصارِ وَأَبْنَاءَ أَبْناءِ الأنصارِ».

قالَ: فَبَكَى القَوْمُ حَتَّى أَخْضَلُوا لِحاهُمْ، وقالُوا: رَضِينا بِرَسُولِ الله قِسْمًا وَحَظًّا، ثُمَّ انْصَرَفَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ وَتَفَرَّقْنا[2].

* * *

(١) الشيء القليل.

(٢) مسند الإمام أحمد رقم ١١٣٠٥.

القاعدة الثانية والثلاثون
المكافأة المادية للجند

قال الله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ..﴾ [الأنفال: ٤١].

إن الكرم بلا مقابل من أعظم أخلاق النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فكيف إذا وُجِدَ المقابل للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، كمَن أهدى له هدية أو أبلى بلاءً حسنًا في ساعات الحرب، فإنك لن تجد مثل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في ردِّ الجميل، وفي عطائه وكرمِه، فقد كان كالريح المرسلة؛ كما وَصَفَه الواصفون.

وكان من عظيم فضل الله تعالى أنه أباح لجيش المسلمين الاستفادة من غنائم أهل الكفر، وتوزيع بعضها عليهم، ووفق هذه الآية السابقة وزَّعَ النبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم الغنائم على جنده، بل وزاد في المكافأة لأفرادٍ أبلَوا بلاءً حسناً في القتال، فكان يكافئهم على حُسْنِ أدائهم.

ومن شواهد ذلك ما رواه البخاريّ ومسلم رحمهما الله عن أبي قَتادةَ رضي الله عنه قال: خَرَجْنَا مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عامَ حُنَيْنٍ، فلما الْتَقَيْنا كانت لِلْمُسْلِمِينَ جَوْلَةٌ، فَرَأَيْتُ رَجُلًا من الْمُشْرِكِينَ عَلَا رَجُلًا من الْمُسْلِمِينَ، فاسْتَدَرْتُ حتى أَتَيْتُهُ من وَرائِهِ حتى ضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ على حَبْلِ عاتِقِهِ، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ فَضَمَّنِي ضَمَّةً وَجَدْتُ منها رِيحَ الْمَوْتِ، ثُمَّ أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ فَأَرْسَلَنِي، فَلَحِقْتُ عُمَرَ بن الْخَطَّابِ فقلت: ما بَالُ الناس؟

قال: أَمْرُ الله!

ثُمَّ إِنَّ الناس رَجَعُوا[١] وَجَلَسَ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال: «مَنْ قَتَلَ قَتيلًا له عليه بيِّنة فَلَهُ سَلَبُهُ».

فَقُمْتُ فقلت: مَن يَشْهَدُ لي؟ ثُمَّ جَلَسْتُ.

ثُمَّ قال: «مَن قَتَلَ قَتِيلًا له عليه بيِّنة فَلَهُ سَلَبُهُ»، فَقُمْتُ، فقلتُ: مَن يَشْهَدُ لي؟ ثُمَّ جَلَسْتُ.

ثُمَّ قالَ الثَّالِثَةَ مثله، فَقُمْتُ، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «ما لك يا أَبَا قَتَادَةَ!» فَاقْتَصَصْتُ عليه القِصَّةَ، فقال رَجُلٌ: صَدَقَ يا رسولَ الله وَسَلَبُهُ عِنْدِي، فَأَرْضِهِ عَنِّي.

فقال أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه: لاها الله، إِذًا لَا يَعْمِدُ إلى أَسَدٍ من أُسْدِ الله يُقاتِلُ عن الله وَرَسُولِهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم يُعْطِيكَ سَلَبَهُ!.

فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «صَدَقَ»، فَأَعْطاهُ، فَبِعْتُ الدِّرْعَ فَابْتَعْتُ بِهِ مَخْرَفًا في بَنِي سَلِمةَ، فإنه لَأَوَّلُ مَالٍ تَأَثَّلْتُهُ في الإسلامِ[٢].

* * *

(١) بمعنى أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم جمع الناس بعد فرارهم، وانتصروا على ثقيف وهوازن.

(٢) صحيح البخاري رقم **٢٩٧٣**، وصحيح مسلم رقم **١٧٥١**.

«البينة»: الدليل والبرهان الواضح، السَّلَب: ما يكونُ على المقتول في الحرب من ثِيابٍ وسلاحٍ ودابَّةٍ، «لاها»: تتكون من «لا» النافية، و«ها» التنبيه التي حلَّت محلَّ واو القسم، و«لاها الله» أصلها «لا والله»، «المخرف»: بستان النخل المثمر، «تأثل»: اقتنى وجمع.

القاعدة الثالثة والثلاثون
المكافأة المعنوية للجند

قال الله تعالى: ﴿..فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

جلَّتِ المكافآت المعنوية من النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن أنْ تُحصى لجنده على ما قدّموه، وقد تنوَّعت هذه المكافآت، فقد تكون دعاءً كما تُشير الآية السابقة، فتكون سعادةً أبدية لصاحبها، وقد يكون أمراً ماديًّا يحمل قيمة معنوية، وقد يحمل الاثنين معاً أو غير ذلك..

ومن الشواهد على المكافأة المعنوية والإشادة بالجهود ما رواه البخاري وغيره عن عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: ما سَمِعْتُ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يُفَدِّي أَحَدًا بِأَبَوَيْهِ إِلَّا سَعْدَ بنَ مالِكٍ، فَإِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ لَهُ يَوْمَ أُحُدٍ: «ارْمِ سَعْدُ، فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي»(١).

ومن ذلك ما رواه أحمد وابن حبَّان وغيرهما عَنْ عبد الله بنِ أُنَيْسٍ رضي الله عنه أنه قالَ: دَعَاهُ رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقالَ: «إِنَّهُ قد بَلَغَنِي أَنَّ خالد بنَ سُفْيانَ بنَ نُبَيْحٍ الهُذَلِيَّ جَمَعَ لِيَ النَّاسَ لِيَغزوَنِي وَهُوَ بِنَخْلَةَ أو بِعُرَنَةَ(٢) فَأْتِهِ».

قالَ: قُلْتُ: يا رسولَ الله! انْعَتْهُ لِي حَتَّى أَعْرِفَهُ؟

---

(١) صحيح البخاري رقم٤٠٥٩، مسند الإمام أحمد رقم ٩٦٨، وسنن الترمذي ٣٦٨٨.

(٢) سيأتي الحديث عن هذه المناطق تحت عنوان: التجسس على الأعداء.

قالَ: «آيةُ ما بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ؛ أَنَّكَ إذا رَأَيْتَهُ وَجَدْتَ لَهُ قُشَعْرِيرةً».

قالَ: فَخَرَجْتُ مُتَوَشِّحًا بِسَيْفِي حَتَّى دُفِعْتُ إِلَيْهِ، وَهُوَ في ظُعُنٍ يَرْتَادُ لَهُنَّ مَنْزِلاً حِينَ كانَ وَقْتُ العَصْرِ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ وَجَدْتُ ما وَصَفَ لِي رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم مِنَ القُشَعْرِيرةِ.

فَأَخَذْتُ نَحْوَهُ وَخَشِيتُ أَنْ يَكُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ مُحَاوَلَةٌ تَشْغَلُنِي عَنِ الصَّلاةِ، فَصَلَّيْتُ وَأَنَا أَمْشِي نَحْوَهُ وَأُومِئُ بِرَأْسِي، فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَيْهِ قالَ: مِمَّنِ الرَّجُلُ؟

قُلْتُ: رَجُلٌ مِنَ العَرَبِ، سَمِعَ بِكَ وَبِجَمْعِكَ لهَذا الرَّجُلِ فَجَاءَ لِذَلِكَ.

قالَ: فقالَ: أَنَا في ذَلِكَ.

فَمَشَيْتُ مَعَهُ شَيْئًا حَتَّى إذا أَمْكَنَنِي حَمَلْتُ علَيهِ بِالسَّيْفِ حَتَّى قَتَلْتُهُ، ثُمَّ خَرَجْتُ وَتَرَكْتُ ظَعَائِنهُ[1] مُنْكَبَّاتٍ عَلَيهِ.

فَلَمَّا قَدِمْتُ على رسولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وَرآني قالَ: «قد أَفْلَحَ الوَجْهُ».

قُلْتُ: قَتَلْتُهُ يَا رسولَ الله!

قالَ: «صَدَقْتَ».

قالَ: ثُمَّ قَامَ مَعِي رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فَأَدْخَلَني بَيْتَهُ وَأَعْطاني عَصًا.

فقالَ: «أَمْسِكْ هَذِهِ العَصا عِنْدَكَ يَا عَبْدَ الله بنَ أُنَيْسٍ».

---

(١) نساءه.

قالَ: فَخَرَجْتُ بِها على النَّاسِ، فقالوا: ما هَذِهِ العَصا؟

قُلْتُ: أَعْطانِيها رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وَأَمَرَنِي أَنْ أُمْسِكَها.

قالوا: أَفَلا تَرْجِعُ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فَتَسْأَلَهُ لِمَ ذَلِكَ؟!

قالَ: فَرَجَعْتُ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

فَقُلْتُ: يَا رسولَ الله لِمَ أَعْطَيْتَني هَذِهِ العَصا؟

قالَ: «آيَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ يَوْمَ القِيامةِ، إِنَّ أَقَلَّ النَّاسِ المُتَخَصِّرُونَ[1] يَوْمَئِذٍ»، فَقَرَنَها عَبْدُ الله بِسَيْفِهِ، فَلَمْ تَزَلْ مَعَهُ حَتَّى إذا ماتَ أَمَرَ بِها فَضُمَّتْ مَعَهُ في كَفَنِهِ، ثُمَّ دُفِنا جَمِيعًا[2].

❊ ❊ ❊

(١) المتخصّرون: هم مَنْ يأتُونَ يوم القيامة ومعهم أعْمال يتَّكِئُون عليها، مأخوذٌ من المِخْصَرَةِ. تهذيب اللغة ٧/ ٦٠.

(٢) مسند أحمد بن حنبل رقم ١٦٠٩٠ ، وصحيح ابن حبان رقم ٧١٦٠.

القاعدة الرابعة والثلاثون
وجوب طاعة القائد

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩].

أوجب الإسلام الطاعة للقائد، وجعلها من أهم الفرائض، لما في طاعته من توحيد الكلمة، وهذا أحوج ما تحتاجه الدُّوَل في الحروب، لكن جعلها في حدود الشرع؛ حيث لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق.

ومن الأدلّة على وجوب الطاعة في حدود الشرع؛ ما رواه البخاري رحمه الله عن عَلِيٍّ رضي الله عنه قال: بَعَثَ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم سَرِيَّةً[١] فاسْتَعْمَلَ عليها رَجُلًا من الأنصارِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ.

---

(١) اسم هذه السرية سرية علقمة بن مُجَزِّزٍ إلى الأحباش بجُدَّة، وكانت في شهر ربيع الآخر سنة ٩هـ، وقعت في البحر الأحمر مقابل قرية الشعيبة، وهذه جنوب جدة بنحو ٧٠كم، وليست في مدينة جِدة المشهورة.
إذ وصلت الأخبار إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن ناساً من بلاد الحبشة رآهم أهل الشُّعَيبة في ساحل جُدّة بناحية مكة في مراكب يريدون غزوَ الساحل، فبعث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إليهم عَلْقَمَة بن مُجَزِّز رضي الله تعالى عنه في ثلاثمئة صحابي؛ فخاض بجيشه البحر حتى أتوا إلى الجزيرة التي كان عندها الأحباش في البحر الأحمر فهربوا، ثم رجع الجيش ولم يَلْقَ حرباً، وفي بعض طريق الرجعة أذِنَ علقمة بن مُجَزِّز لطائفة من الجيش في أن تتعجّل الرجعة للمدينة، واستعمل عليهم عبد الله بن حذافة السهميّ الأنصاري، وهو الذي أمر أصحابه ليوقدوا ناراً ليدخلوا فيها.

الإحداثيات: "٧٦,٥٣'١٧°٣٩"٢٨,١٤'٤٦°٢٠

فَغَضِبَ فقال: أَلَيْسَ أَمَرَكُمُ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أَنْ تُطِيعُونِي؟

قالوا: بَلى.

قال: فاجْمَعُوا لي حَطَبًا، فَجَمَعوا.

فقال: أَوْقِدوا نارًا، فَأَوْقَدوها.

فقال: ادْخُلُوها، فَهَمُّوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يُمْسِكُ بَعْضًا وَيَقولونَ: فَرَرْنا إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من النَّارِ، فما زالوا حتى خَمَدَتِ النَّارُ، فَسَكَنَ غَضَبُهُ.

فَبَلَغَ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال: «لو دَخَلوها ما خَرَجوا منها إلى يَوْمِ القِيامةِ، الطَّاعةُ في المَعْروفِ»[1].

* * *

(١) صحيح البخاري ٤٠٨٥.

القاعدة الخامسة والثلاثون
تعويض الحقوق المعنوية للجند

قال الله تعالى: ﴿..فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ..﴾ [البقرة: ١٧٨].

وقال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ..﴾ [النساء: ١٣٥].

لم يقتصر استيفاء الحقوق عند النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم على أخذ القَوَد، كما أمر الله تعالى به في الآية الثانية.. بل أخذ شكلاً آخر في التعويض عن الحقوق المعنوية بالأُعطيات إن وقعت بقصد أو بدون قصد، وهذا أحد المعاني الواردة في الآية الأولى.

ولهذا أمثلة كثيرة في السُّنّة المطهّرة، ومنها ما قاله ابن سعد رحمه الله: بَيْنا رسولُ الله صلّى الله عليه وعلى آله وسلم يَسيرُ مِنَ الطَّائِفِ(١) إلى الجِعْرانةِ(٢)، وَأَبُو رُهْمٍ الغِفارِيُّ(٣) إلى جَنْبِ رسولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم على ناقةٍ لَهُ،

(١) أي غزوة الطائف.

(٢) تقدّم الحديث عن موقعها تحت عنوان كسب العدو بالطرائق الودية.

(٣) اسمه كلثوم بن الحصين بن خلف رضي الله عنه، أسلم بعد قدوم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم المدينة، وشهد معه أُحُدًا، ورمي يومئذ بسهم فوقع في نحره، فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فبصق عليه فبرأ، فكان أبو رهم يسمى المنحور.=

وفي رِجْلَيْهِ نَعْلَانِ لَهُ غَلِيظَتانِ، إِذْ زَحَمَتْ ناقَتُهُ ناقةَ رسولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، قالَ أَبو رُهْمٍ: فَوَقَعَ حَرْفُ نَعْلِي على ساقِهِ، فَأَوْجَعَهُ.

فقالَ رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : «أَوْجَعْتَني أَخِّرْ رِجْلَكَ»، وَقَرَعَ رِجْلي بِالسَّوْطِ.

قالَ: فَأَخَذَنِي[١] ما تَقَدَّمَ مِنْ أَمْرِي وَما تَأَخَّرَ، وَخَشِيتُ أَنْ يَنْزِلَ فيَّ قُرْآنٌ لِعَظيمِ ما صَنَعْتُ، فَلَمَّا أَصْبَحْنا بِالجِعْرانةِ خَرَجْتُ أَرْعَى الظَّهرَ[٢] وَما هُوَ يَوْمِي فَرَقًا[٣] أَنْ يَأْتِيَ لِلنَّبِيِّ علَيهِ السَّلاَمُ رَسُولٌ يَطْلُبُنِي، فَلَمَّا رَوَّحْتُ الرِّكَابَ، سَأَلْتُ: فَقالوا: طَلَبَكَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فَقُلْتُ: إِحْدَاهُنَّ والله[٤] ، فَجِئْتُهُ وَأَنَا أَتَرَقَّبُ، فقالَ: «إِنَّكَ أَوْجَعْتَنِي بِرِجْلِكَ فَقَرَعْتُكَ بِالسَّوْطِ، وَأَوْجَعْتُكَ، فَخُذْ هَذِهِ الغَنَمَ عِوَضًا مِنْ ضَرْبَتي».

قالَ أَبو رُهْمٍ: فَرِضاهُ عَنِّي كانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيا وَما فيها[٥].

* * *

=الطبقات الكبرى لابن سعد ٤/ ٢٤٤.

(١) أي منَ الهَمِّ.

(٢) أي الإبل.

(٣) حزناً.

(٤) أي إما العقاب أو العفو.

(٥) الطبقات الكبرى ٤/ ٢٤٤.

القاعدة السادسة والثلاثون
الاهتمام بفكّ أسرى المسلمين

لا تهدأ للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عينٌ وله في أيدي المشركين أسير، وهذا من كمال الرحمة التي أُرسل بها النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وقد جعل القرآن نصيباً من أموال الصدقة في فكِّ الأسرى من عدوّهم؛ فقال الله تعالى: ﴿..وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ..﴾ [البقرة: ١٧٧].

ومحلّ الشاهد قوله: ﴿وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾ أي: آتى المال على حُبِّهِ له في تخليص الأسرى من أيدي العدوّ بفدائهم، وتخليص الأرقّاء بشرائهم وإعتاقهم.

ومن الأدلّة على اهتمام الإسلام بفكّ الأسرى؛ ما رواه مسلم رحمه الله في صحيحه في بَاب «التَّنْفِيلِ وَفِدَاءِ المُسلمِين بالأُسارى» عن سَلَمَةَ رضي الله عنه أنه قال: غَزَوْنا فَزارةَ[1] وعلَيْنا أبو بَكْرٍ؛ أَمَّرَهُ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عَلَيْنا، فلما كان بَيْنَنا وبينَ المَاءِ ساعةٌ أَمَرَنا أبو بكرٍ فَعَرَّسْنا، ثُمَّ شَنَّ الغارةَ فَوَرَدَ المَاءَ فَقَتَلَ مَن قَتَلَ عليه وَسَبى، وَأَنْظُرُ إلى عُنُقٍ من الناس فيهِمُ

(١) كانت سرية أبي بكر إلى بني فَزارة أو بني كلاب في شعبان سنة ٧هـ، حيث بعثه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم سرية تأديب إلى نجد لِمَا كان لهم من دور في الكيد للإسلام والمسلمين وقت فتح خيبر وما تلاه.

الإحداثيات: ٢٤°٤٣٬٦١«٤٧,٠٦٬٥٥°٤٢«١٥

الذَّارِيُّ، فَخَشِيتُ أَنْ يَسْبِقُوني إلى الجَبَلِ فَرَمَيْتُ بِسَهْمٍ بَيْنَهُمْ وبينَ الجَبَلِ، فلما رَأَوُا السَّهْمَ وَقَفُوا، فَجِئْتُ بِهِمْ أَسُوقُهُمْ وَفِيهِمُ امْرَأَةٌ من بَني فَزارةَ عليها قَشْعٌ من آدم، قال: القَشْعُ النِّطَعُ[١]، مَعَها ابْنةٌ لها من أَحْسَنِ العَرَبِ، فَسُقْتُهُمْ حتى أَتَيْتُ بِهِمْ أَبَا بكرٍ فَنَفَّلَنِي[٢] أبو بكرٍ ابْنَتَها.

فَقَدِمْنا المَدِينةَ وما كَشَفْتُ لها ثَوْبًا، فَلَقِيَني رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في السُّوقِ فقال: «يا سَلَمَةُ! هَبْ ليَ المَرْأَةَ».

فقلت: يا رسولَ الله! والله لقد أَعْجَبَتْني وما كَشَفْتُ لها ثَوْبًا.

ثُمَّ لَقِيَنِي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من الغَدِ في السُّوقِ فقال لي: «يا سَلَمَةُ! هَبْ لي المَرْأَةَ لِلهِ أَبُوكَ».

فقلت: هِيَ لك يا رسولَ الله، فَوالله ما كَشَفْتُ لها ثَوْبًا.

فَبَعَثَ بها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى أَهْلِ مَكَّةَ، فَفَدَى بها نَاسًا من المُسلمِين كانوا أُسِروا بِمَكَّةَ[٣].

* * *

(١) غطاء من الجلد.

(٢) أعطاني.

(٣) صحيح مسلم رقم١٧٥٥.

القاعدة السابعة والثلاثون
التربية البدنية للجنود

قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ..﴾ [الأنفال: ٦٠].

إن الكمال الجسمي في الإعداد الحربي لمن أهم الاستعداد لمواجهة الأعداء، كما يفهم من الآية السابقة.

ولقد تعدّدت أساليب النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في التربية الجسدية لجنده، كالمصارعة بين الجند، والمسابقة بين الخيل، وحمل الأثقال، والرمي.

ومن ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم رحمهما الله عن عبد الله بنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ سابَقَ بين الخَيْلِ الَّتِي أُضْمِرَتْ مِنَ الحَفْياءِ(١)، وَأَمَدُها ثَنِيَّةُ الوَدَاعِ(٢)، وَسابَقَ بين الخَيْلِ الَّتِي لَمْ

(١) الحفياء: بالغابة في شامي المدينة، وبينها وبين المدينة نحو ستة أميال. وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ١/ ٨٣.
أي على نحو ١٢كم باتجاه سدّ الغابة، بعد جبل أُحُد.

الإحداثيات التقريبية: "٣٨,١٥'٣٥°٣٩"١٦,٤٦'٣٤°٢٤

(٢) ثنية الوداع: المشهورة في المدينة النبوية هي الثنية الشامية، الواقعة في شامي المدينة عند أول طريق «سلطانة» أبي بكر الصديق رضي الله عنه. المعالم الأثيرة في السنة والسيرة ص ٨٣.
وهناك ثنية أخرى قريبة من مسجد الجمعة عندها استقبل أهل المدينة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوم هجرته.

الإحداثيات: "٠٦,١٩'٣٦°٣٩"١٨,٣٣'٢٨°٢٤

تُضْمَرْ مِنَ الثَّنِيَّةِ إلى مَسْجِدِ بَنِي زُرَيْقٍ[١]، وَأَنَّ عَبْدَ الله بنَ عُمَرَ كانَ فِيمَنْ سابَقَ بِها[٢].

ولا تقتصر التربية البدنية على الرياضات فحسب، بل تشمل نوعية التغذية الجيدة للجنود، وكذلك تعليم الفنون القتالية الحركية.

* * *

(١) بنو زُرَيق: قبيلة من الأنصار، وكانت مساكنهم تقع في قبلة مصلى المدينة المنورة أيام النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم. وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ٣/ ٥٨.
أي جنوب مسجد الغمامة على نحو ٥٥٠ متر من باب السلام.

الإحداثيات التقريبية: : "٢٤°٢٧'٥٠,٧٧"٣٩°٣٦'٢٥,٥٨

(٢) صحيح البخاري رقم ٤٢٠، وصحيح مسلم رقم ١٨٧٠.
قوله: «سابق» من المسابقة؛ وهي السبق الذي يشترك فيه اثنان فأكثر على جائزة أو بدونها، «أضمرت» من الإضمار والضمور؛ وهو الهزال، والخيل المضمرة: هي التي ذهب رهلها فقوي لحمها واشتدّ جريها، «أمدها» غايتها ونهاية المسافة التي تسابق إليها، «بني زريق» أضيف المسجد إليهم إضافة تمييز لا ملك.

القاعدة الثامنة والثلاثون
تأمين رُسُل العدوّ

قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: ٩١].

لا يقتصر الوفاء بالعهد على الصلح المحدود بزمن محدّد، بل يشمل الأشخاص كالسفراء والرسل والمجموعات الدبلوماسية؛ فهؤلاء تجب حمايتهم وعدم التّعرض لهم بالأذى؛ لأنهم ليسوا بمحاربين، ولما في ذلك من فوائد كثيرة ومنها تبليغ الدِّين، وتسيير مصالح الدُّوَل، وحلّ الخلافات الدولية، وهذا من موجبات السِّلم بين الدّوَل، ومن موجبات الوفاء بالمعاهدات.

ومن الأدلة من السّنّة المطهّرة على ما سبق ما رواه الإمام أحمد رحمه الله عن عبد الله بن مَسْعُودٍ رضي الله عنهما قال: جاء رَسُولا مُسَيْلِمةَ إلى النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ فقال لَهُما: «أَتَشْهَدَانِ أني رسول الله؟» قالا: نَشْهَدُ أَنَّ مُسَيْلِمةَ رسول الله، فقال النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: «آمَنْتُ بِالله وَرُسُلِهِ، لو كنتُ قاتِلاً رَسُولاً لَقَتَلْتُكُما».

فَمَضَتِ السُّنَّةُ أَنَّ الرُّسُلَ لا تُقْتَلُ[1].

* * *

(١) رواه أحمد رقم ٣٥٧٣.

القاعدة التاسعة والثلاثون
الموازنة بين المرونة والحزم

بين الألم والأمل، وبين الأمر والرجاء، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ..﴾ [النساء: ١٠٤].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

كان رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في معاملتِه لجنده كأخ لهم، يتفقَّد أحوالهم ويساعدهم في شؤونهم، ويُرشِدُهم إلى مصالحهم، ويثمِّن جهودهم، ويشجِّعُهم، وفي المقابل لا يدعُ مجالاً للتَّسيُّب في أفعالهم، ولا للتَّفَلُّت من واجباتهم، وكل ذلك في المنشط والمكْرَه، والعُسر واليُسر، والهزيمة والنصر.

ومن الشواهد على ذلك ما رواه البخاري ومسلم رحمهما الله عن جابرِ ابنِ عبد الله رضي الله عنه أنه قالَ: خَرَجْتُ مَعَ رسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في غَزاةٍ، فَأَبْطَأَ بِي جَمَلي، فأَتى عَلَيَّ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، فقالَ لِي: «يَا جابِرُ!»

قُلْتُ: نَعَمْ.

قالَ: «ما شَأْنُكَ؟».

قُلْتُ: أَبْطَأَ بِي جَمَلي، وَأَعْيَا فَتَخَلَّفْتُ، فَنَزَلَ فَحَجَنَهُ بِمِحْجَنِهِ[١]، ثُمَّ قالَ: «ارْكَبْ»، فَرَكِبْتُ، فَلَقَدْ رَأَيْتُنِي أَكُفُّهُ عن رسولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

فقالَ: «أَتَزَوَّجْتَ؟».

فَقُلْتُ: نَعَمْ.

فقالَ: «أَبِكْرًا أَمْ ثَيِّبًا؟».

فَقُلْتُ: بَلْ ثَيِّبٌ.

قالَ: «فَهَلَّا جَارِيَةً تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ؟».

قُلْتُ: إِنَّ لِي أَخَواتٍ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَتَزَوَّجَ امْرَأَةً تَجْمَعُهُنَّ وَتَمْشُطُهُنَّ، وَتَقُومُ عَلَيْهِنَّ.

قالَ: «أَمَا إِنَّكَ قَادِمٌ فإذا قَدِمْتَ فَالكَيْسَ الكَيْسَ».

ثُمَّ قالَ: «أَتَبِيعُ جَمَلَكَ؟».

قُلْتُ: نَعَمْ، فَاشْتَرَاهُ مِنِّي بِأُوقِيَّةٍ، ثُمَّ قَدِمَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ وَقَدِمْتُ بِالغَداةِ، فَجِئْتُ المَسْجِدَ فَوَجَدْتُهُ على بابِ المَسْجِدِ، فقالَ: «الآنَ حِينَ قَدِمْتَ؟».

قُلْتُ: نَعَمْ.

---

(١) المِحجَن: عصا منعطِفة الرأس، والمعنى أن النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم جذبَ بها الجمل.

قالَ: «فَدَعْ جَمَلَكَ وَادْخُلْ فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ».

قالَ: فَدَخَلْتُ فَصَلَّيْتُ ثُمَّ رَجَعْتُ، فَأَمَرَ بِلَالًا أَنْ يَزِنَ لِي أُوقِيَّةً، فَوَزَنَ لِي بِلَالٌ فَأَرْجَحَ في المِيزانِ.

قَالَ: فَانْطَلَقْتُ، فَلَمَّا وَلَّيْتُ، قالَ: «ادْعُ لِي جابِرًا»، فَدُعِيتُ، فَقُلْتُ: الآنَ يَرُدُّ عَلَيَّ الجَمَلَ، وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْهُ، فقالَ: «خُذْ جَمَلَكَ وَلَكَ ثَمَنُهُ»(١).

ومِن مواقف الحزم منه صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ ما رواه البخاري رحمه الله عن أُسامةَ بن زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أنه قال: بَعَثَنا رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في سَرِيَّةٍ فَصَبَّحْنا الحُرَقاتِ(٢) مِنْ جُهَيْنَةَ؛ فَأَدْرَكْتُ رَجُلاً فقالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَطَعَنْتُهُ؛ فَوَقَعَ في نَفْسِي مِنْ ذلك؛ فَذَكَرْتُهُ لِلنَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، فقالَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: «أَقالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ وَقَتَلْتَهُ؟!».

قالَ: قُلْتُ: يَا رسولَ الله إِنَّما قالَها خَوْفًا مِن السِّلَاحِ.

قَالَ: «أَفَلَا شَقَقْتَ عن قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقالَها أَمْ لَا؟»، فَما زالَ يُكَرِّرُها عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ..(٣).

---

(١) صحيح البخاري رقم ٤٠٥٢، وصحيح مسلم رقم٢٦٦٦.

(٢) الحُرَقات أو الحُرَقة: وهي قبيلة من جُهَينَة، وتقع مساكنهم في نواحي أملج على البحر الأحمر، وتبعد عن المدينة نحو ٣٠٠كم.

الإحداثيات: "٣٧°١٥'٥٥,٦٦ "٢٥° ٢'٠,٣١

(٣) صحيح البخاري رقم٤٢٦٩، صحيح مسلم رقم١٤٠.

القاعدة الأربعون
العدل بين جند المسلمين

قال الله تعالى: ﴿..فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥].

إن مِن أعظم ما امتاز به جيش النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم هو العدالة، وإنصاف صاحب الحق ممَّن عليه الحقّ ولو كان قائداً، فمِن شواهد عدلِه في نفسه صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ مع جنده في الحرب؛ ما ذكره ابن إسحاق أَنّ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ عَدّلَ صُفُوفَ أصحابِهِ يَوْمَ بَدْرٍ وفي يَدِهِ قَدَحٌ[1] يُعَدّلُ بِهِ القَوْمَ؛ فَمَرّ بِسَوّادِ بنِ غَزِيّةَ حَلِيفِ بَني عَدِيّ بنِ النّجّارِ، وَهُوَ مُسْتَنْصلٌ مِن الصّفّ، وقالَ: «اسْتَوِ يَا سَوّادُ».

فقالَ: يا رسولَ الله! أَوْجَعْتنِي، وقد بَعَثَك اللهُ بِالحَقّ وَالعَدْلِ.

قالَ: فَأَقِدْنِي، فَكَشَفَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ عن بَطْنِهِ.

وقالَ: «اسْتَقِدْ».

قالَ: فَاعْتَنَقَهُ، فَقَبّلَ بَطْنَهُ.

فقالَ: «ما حَمَلَك على هذا يَا سَوّادُ؟»

قالَ: يا رسولَ الله! حَضَرَ ما تَرى، فَأَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ آخِرُ العَهْدِ بِك أَنْ يَمَسّ

(١) سهم.

جِلْدِي جِلْدَك.

فَدَعَا لَهُ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ بِخَيْرٍ(١).

وإذا كان العدل هو ردُّ الحقوق فحَسْب؛ فقد كان صلى الله عليه وعلى آله وسلم أعظم خُلُقاً من ذلك، وهو مكافأة العدوّ على جميلٍ قد أسداه له من قبلُ.

فقد روى البخاري رحمه الله عن جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ رضي الله عنه؛ أَنَّ النَّبِيَّ صَلى الله عَلَيهِ وعلى آله وسَلَّمَ قالَ في أُسارى بَدْرٍ: «لَوْ كانَ المُطْعِمُ بنُ عَدِيٍّ حَيًّا، ثُمَّ كَلَّمَنِي في هَؤُلاءِ النَّتْنى، لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ»(٢).

وَإِنَّمَا خصّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم المُطعم في قبول الشفاعة في أسارى بدر وإطلاقهم له؛ لِأَنَّهُ لما ماتَ عَمُّه أَبو طالب وماتَتْ خَديجةُ رضي الله عنها خرج إلى الطَّائِف ومعهُ زيدُ بن حارِثة، فأَقامَ بها شهرًا ثمَّ رَجَعَ إلى مَكَّة ودخلها في جِوار المُطْعِمِ بن عَدِيٍّ(٣).

وهو الذي سعى قبل ذلك في نقضِ الصحيفة التي علّقتها قريش على الكعبة؛ وفيها مقاطعة بني هاشم وبني المطلب؛ لأنّهم نصروا النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فَأحبَّ مكافأته لَو أمكن(٤).

---

(١) الروض الأنف ٣/ ٦٧.

(٢) صحيح البخاري رقم٤٠٢٤.

قوله: «كلمني» طلب مني وتشفع أن أطلقهم، «النتنى» جمع نتن؛ وهو ذو الرائحة الكريهة، والمراد هنا النتن المعنوي وهو كفرهم وضلالهم.

(٣) كشف المشكل من حديث الصحيحَين ٤/ ٤٦.

(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ٩/ ١٥٠.

الفصل الثالث
منطلق التربية الأخلاقية في الحرب

٤١ـ تحديد المنطلق إلى الله تعالى.

٤٢ـ التعبئة الإيمانية.

٤٣ـ شجاعة القائد وأثرها في توجيه الجند.

٤٤ـ استنهاض الهمم وجمع الشمل.

٤٥ـ الانتصار على الهزيمة وتحريم الفرار.

٤٦ـ تعزيز الولاء للدِّين وسرعة حلِّ الخلافات الداخلية.

٤٧ـ التربية الروحية والأخلاقية للجنود.

٤٨ـ جهاد النساء والكهول والصبيان.

٤٩ـ التماس الرخص.

٥٠ـ الصبر.

٥١ـ التحري في دماء المسلمين عند اختلاطهم بأهل الكفر.

٥٢ـ الخطأ في دماء المسلمين في الحرب.

٥٣ـ الإخلاص لله تعالى.

٥٤ـ الشكر لله تعالى واليقين بنصره.

٥٥ـ معالجة حالات الضعف في الجُنْد.

القاعدة الحادية والأربعون
تحديد المنطلق إلى الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩].

إنَّ المنطلق الأول في أي عمل عسكريّ يكون باللجوء إلى الله تعالى في التخطيط فيه، بطلب المدَد منه والعون، مع اليقين بأنَّ النَّاصر الحقيقي هو الله تعالى، وكلّما كان القائد والجند أقرب إلى الله تعالى في ذلّهم وخضوعهم؛ كانوا أقرب إلى الله تعالى في أنْ يستجيبَ دعاهم وينصرهم.

فإذا صدق المجاهد مع الله تعالى سدَّد الله رأيه ورميتَه وأحكمَ ضربته، وأمّا إذا اعتمد على الأسباب دون تقوى الله تعالى وَكَلَه الله إلى أسبابه، كما قالوا: إذا انعدمت التَّقوى فالنَّصر للأقوى.

هذا وقد تعلّم الصحابة من غزوة حنينٍ درساً حينما اغترَّ بعضُهم بكثرة عددهم، فغُلبوا في أول المعركة بسبب إعجابهم، ثم أيّدهم الله تعالى بنصره، قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥-٢٦].

علامة اللجوء إلى الله تعالى:

إنّ من علامات اللجوء إلى الله تعالى محبّة الله تعالى ومحبّة رسوله صلَّى اللهُ

عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، ومحبّة الجهاد بأن يكون حبّهم أكبر من محبّة النفس والأموال، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

فقد دلَّت الآية السابقة على أنّ حبّ الجهاد من الفروض التي أمر الله تعالى بها، للتهديد بالعذاب في تركه.

والحبّ في الله وبالله ولله أعلى معنًى حملَه المسلمون في جهادهم العظيم حينما فتحوا الأمصار، والشوق إلى لقاء الله تعالى باستشهادِهم جعلَهم أسوداً في النهار وعُبّاداً في الليل، فقد كان اللهُ ورسولُه صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ والجهادُ أحبَّ إليهم من كل شيء.

وللجوء إلى الله تعالى وسائل: ومن أهمها: الدعاء والذّكر، فهما الزاد الحقيقي للمجاهدين؛ لتقوية أرواحِهم وأبدانهم، وتسديد آرائهم وإحكام خططهم، كما قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

ومن الآيات التي نَدَبَتْ إلى الذِّكرِ والتضرّعِ إلى الله تعالى عند اللقاء:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

واللجوء إلى الله تعالى هو أوّلُ الركائز في الأعمال العسكرية، وهو فعل نبي الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قُبيل معركة بدر، كما روى مسلم رحمه الله تعالى عن عُمَر بن الخَطّابِ رضي الله عنه أنه قال: لَمَّا كان يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ إلى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ وَأَصْحَابُهُ ثلاثمئة وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلاً، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ القِبْلَةَ ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: «اللهم أَنْجِزْ لي ما وَعَدْتَني، اللهمّ آتِ ما وَعَدْتَني، اللهم إن تُهْلِكْ هذه العِصابةَ من أَهْلِ الإِسْلَامِ لا تُعْبَدُ في الأرض»، فما زالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ القِبْلَةِ حتى سَقَطَ رِداؤُهُ عن مَنْكِبَيْهِ.

فأَتاهُ أبو بكرٍ فَأَخَذَ رِداءَهُ فَأَلْقاهُ على مَنْكِبَيْهِ ثُمَّ الْتَزَمَهُ من وَرائِهِ، وقال: يا نَبِيَّ الله! كَفاكَ مُناشَدَتُكَ رَبَّكَ، فإنه سَيُنْجِزُ لك ما وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ الله عزّ وجلّ: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩] فَأَمَدَّهُ الله بِالمَلائِكةِ..[1].

ومن الأدلة على استحباب الدعاء في ساعة الجهاد؛ ما رواه الترمذي رحمه الله تعالى عن عُمارةَ بن زَعْكَرةَ رضي الله تعالى عنه أنه قال: سمعت رسولَ الله صلَّى اللهُ

(١) صحيح مسلم رقم ١٧٦٣.

عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يقول: «إِنَّ اللهَ عز وجل يقول: إِنَّ عَبْدِي كُلَّ عَبْدِيَ الذي يَذْكُرُنِي وهو مُلاقٍ قِرْنَهُ» يَعْنِي: عِنْدَ الْقِتَالِ.

وَمَعْنَى قَوْلِهِ: «وهو مُلاقٍ قِرْنَهُ» إنما يَعْنِي عِنْدَ الْقِتَالِ، يَعْنِي أَنْ يَذْكُرَ اللهَ في تِلْكَ السَّاعَةِ[١].

استجابة الدعاء في أرض المعركة:

وقد جعل الله تعالى أرض المعركة وقتئذٍ محلًّا لِاستجابةِ الدعاء؛ لما رواه أبو داود عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: «ثنتانِ لا تُرَدّانِ؛ الدعاءُ عندَ النداءِ، وعندَ البأسِ؛ حينَ يلحمُ بعضُهم بعضاً»[٢].

الأذكار التي تُستحَبّ في المعركة:

ويستحبّ أن يقول-إذا خاف عدوّاً - بعض الآيات كقوله تعالى: ﴿..رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ * رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [الممتحنة: ٥].

وقول الله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ * فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ * وَنَجِّنَا بِرَحۡمَتِكَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [يونس: ٨٤-٨٦].

---

(١) سنن الترمذي رقم ٣٥٨٠، قال الترمذي: هذا حَديثٌ غَريبٌ لا نَعْرِفُهُ إلا من هذا الوَجْهِ، ليس إِسْنَادُهُ بِالقَوِيِّ.

(٢) سنن أبي داود رقم ٢٥٤٠، والمستدرك على الصحيحين رقم ٢٥٣٤، والأذكار ١/ ١٦٧.

قال النووي رحمه الله تعالى: ويستحبّ استحباباً متأكّداً أن يقرأ ما تيسّر له من القرآن، وأن يقول دعاء الكرب الذي في الصحيحَين: «لا إلهَ إلا اللهُ العظيمُ الحليمُ، لا إلهَ إلا اللهُ ربُّ العرشِ العظيمِ، لا إلهَ إلا اللهُ ربُّ السماواتِ وربُّ الأرضِ وربُّ العرشِ الكريمِ»[١].

ويقول كما ورد في الحديث الآخر: «لا إلهَ إلا اللهُ الحليمُ الكريمُ، سبحانَ الله ربِّ السماواتِ السبعِ وربِّ العرشِ العظيمِ، لا إلهَ إلا أنتَ عزَّ جارُكَ وجلَّ ثناؤُك»[٢].

ويقول كما في الحديث الآخر: «حسبُنَا اللهُ ونعمَ الوكيلُ»[٣].

ويقول: لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله العليِّ العظيمِ، ما شاءَ اللهُ لا قوةَ إلا بالله، اعتصمنا بالله، استعنَّا بالله توكَّلنا على الله.

ويقول: يا قديمَ الإحسانِ، يا مَنْ إحسانُه فوقَ كلِّ إحسانٍ، يا مالكَ الدنيا والآخرة، يا حيُّ يا قيومُ، يا ذا الجلالِ والإكرامِ، يا مَنْ لا يُعجزهُ شيءٌ، ولا يَتعاظمُه شيءٌ، انصرْنا على أعدائِنا هؤلاءِ وغيرِهم، وأظهرْنَا عليهم في عافيةٍ وسلامةٍ عامةٍ عاجلاً.

قال النووي رحمه الله تعالى: فكل هذه المذكورات جاء فيها حثٌّ أكيدٌ وهي مجرّبة[٤].

---

(١) صحيح البخاري رقم٧٤٣١، ومسلم رقم٧٠٩٧.
(٢) أخرجه ابن السني رحمه الله في عمل اليوم والليلة باب (ما يقول إذا خاف سلطانًا) رقم٣٤٥.
(٣) صحيح البخاري رقم٤٥٦٣.
(٤) الأذكار ١/ ١٦٧.

وروى أبو داود والترمذي وغيرهما رحمهما الله عن أَنَسِ بن مَالِكٍ رضي الله عنه: قال كان رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ إذا غَزَا قال: «اللهم أنت عَضُدِي وَنَصيري، بِكَ أَحُولُ، وَبِكَ أَصُولُ، وَبِكَ أُقَاتِلُ»[١].

وروى أبو داود والنسائي رحمهما الله وغيرهما بإسناد صحيح عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبيّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ كان إذا خاف قوماً قال: «اللهمَّ إنا نجعلُكَ في نحورِهِمْ، ونعوذُ بكَ مِنْ شرُورهِمْ»[٢].

وختاماً روى الطبراني رحمه الله عن أنس رضي الله عنه أنه قال: كنا مع النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في غزوة، فلقي العدوّ فسمعتُه يقول: «يا مالكَ يومِ الدّينِ، إيَّاكَ نعبدُ وإيَّاكَ نستعينُ»، فلقد رأيتُ الرجالَ تُصْرعُ، تَضربُها الملائكةُ منْ بين أيديها ومن خلْفِها[٣].

* * *

(١) سنن أبي داود رقم٢٦٣٢، وسنن الترمذي رقم ٣٥٨٤، قال: هذا حَديثٌ حَسَنٌ غَريبٌ، ومسند أحمد رقم١٢٩٣٢، وَمَعْنَى قَوْلِهِ «عَضُدِي»: عَوْنِي.

(٢) سنن أبي داود رقم١٥٣٧، وسنن النسائي الكبرى رقم ١٠٤٣٧، والمستدرك على الصحيحين رقم٢٦٢٩.

(٣) المعجم الأوسط ٨/ ١٢٣، رقم ٨١٦٣، قال في مجمع الزوائد ٥/ ٣٢٨: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه عبد السلام بن هاشم؛ وهو ضعيف.

القاعدة الثانية والأربعون
التعبئة الإيمانية

أمر الله تعالى نبيّه بتحريض المؤمنين على القتال فقال تعالى: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا﴾ [النساء: ٨٤].

وأما مواقف النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في رفع الروح المعنوية؛ فهي كثيرة جدًّا، فلا يدخل حرباً إلا ويشجّع صحابتَه الكرام على الجهاد، ويُذكِّرُهم بفضل الله على المجاهدين الصابرين، وبكرم الله على الشهداء.

ومن الشواهد على ذلك ما رواه البخاري رحمه الله عن البَراءِ بن عازِبٍ رضي الله عنه أنه قال: رأيت النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يوم الخَنْدَقِ يَنْقُلُ مَعَنا التُّرابَ وهو يقول:

والله لَــوْلَا الله مــا اهْتَدَيْنــا ولا صُــمْنَــا ولا صَــلَّيْنــا
فـأَنْزِلَــنْ سَــكِينةً علَينــا وَثَبِّــتِ الأَقْــدامَ إن لَاقَيْنــا
والمُشْــرِكُونَ قد بَغَــوْا عَلَيْنا إذا أَرادوا فِتْنَــةً أَبَيْنــا[1]

ومن الأمثلة على التحريض والتشجيع بالعطايا المادية؛ ما قالَه ابنُ إِسْحاقَ:

---

(١) صحيح البخاري رقم ٦٦٢٠.
والرَّجَزُ الذي قاله النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم هو من رجز عبدِ الله بنِ رواحةَ رضي الله عنه.

ثُمَّ خَرَجَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ إلى النَّاسِ، يَعْنِي يَوْمَ بَدْرٍ، فَحَرَّضَهُمْ على القِتالِ، وَنَفَلَ كُلَّ امْرِئٍ ما أَصابَ.

قالَ: والَّذِي نَفْسي بِيَدِهِ، لَا يُقاتِلُهُمُ اليَوْمَ رَجُلٌ، فَيُقْتَلُ صابِرًا مُحْتَسِبًا، مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ.

قالَ عُمَيْرُ بنُ الحُمَام أَحَدُ بَني سَلَمةَ وفي يَدِهِ تَمَراتٌ يَأْكُلُهُنَّ: بَخْ بَخْ، فَما بَيْني وبينَ أَنْ أَدْخُلَ الجَنَّةَ إِلَّا أَنْ يَقْتُلَنِي هَؤُلَاءِ، ثُمَّ قَذَفَ التَّمَراتِ مِنْ يَدِهِ، وَأَخَذَ سَيْفَهُ، وقاتَلَ حَتَّى قُتِلَ.

وَهُوَ يَقُولُ:

رَكْضًا إلى الله بِغَيْرِ زَادِ ... إِلَّا التُّقَى وَعَمَلِ المَعَادِ

وَالصَّبْرِ في الله على الجِهادِ ... وَكُلُّ زادٍ عُرْضَةُ النَّفَادِ

غَيْرَ التُّقَى وَالبِرِّ وَالرَّشادِ[1].

❊ ❊ ❊

(١) الاستذكار لابن عبد البر ٢٠٤٠٨.

القاعدة الثالثة والأربعون
شجاعة القائد وأثرها في توجيه الجند

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ..﴾ [آل عمران: ١٢١].

قال الله تعالى: ﴿..وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ١٧].

إن الشخصية العسكريَّة الشُّجاعة لَمِن أكبر الأسباب في تحقيق النصر، وتثبيت المجاهدين، فلقد بلغت شجاعته صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في غزواتِه ومواقفه القِمَّة التي لم يَرْقَ إليها قائد قط، إقدامٌ من غير تهوُّر، وجرأةٌ من غير شطط، وقوّةٌ لا تخرج عن مسارها الإنسانيّ، يقوم على تنظيم جيشِه وترتيبهم في أماكنهم وهو بينهم ومعهم، كما أشارت الآية القرآنية الأولى، بل ويباشرُ قتالَ العدوّ بكلّ شجاعة كما أشارت الآية الثانية.

وكان لشجاعتِه صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ دورٌ في توجيه سلوكِ الصحابة نحو الإقدام على عدوّهم، وكذلك في لَمِّ شملهم إذا تباعدوا، وتوحيد صفِّهم إذا تفرّقوا، كما حدث في غزوة حنين، فقد أخرج البخاري عن البَراءِ رضي الله عنه، أنه سَأَلَهُ رَجُلٌ: أَكُنْتُمْ فَرَرْتُمْ يَا أَبا عُمارةَ يَوْمَ حُنَيْنٍ؟

قالَ: لا وَالله، ما وَلَّى رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، وَلَكِنَّهُ خَرَجَ شُبَّانُ أَصْحابِهِ، وَأَخِفَّاؤُهُمْ حُسَّرًا لَيْسَ بِسِلاحٍ، فَأَتَوْا قَوْمًا رُماةً، جَمْعَ هَوازِنَ، وَبَنِي نَصْرٍ، ما يَكادُ يَسْقُطُ لَهُمْ سَهْمٌ، فَرَشَقُوهُمْ رَشْقًا ما يَكادونَ يُخْطِئونَ، فَأَقْبَلوا

هُنَالِكَ إلى النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ وَهُوَ على بَغْلَتِهِ البَيْضاءِ، وَابْنُ عَمِّهِ أَبو سُفْيانَ بنُ الحَارِثِ بنِ عبد المُطَّلِبِ يَقُودُ بِهِ، فَنَزَلَ وَاسْتَنْصَرَ، ثُمَّ قالَ: «أَنَا النَّبِيُّ لا كَذِبْ، أَنَا ابْنُ عبد المُطَّلِبْ»، ثُمَّ صَفَّ أَصْحَابَهُ[١].

ومما أنشده كعب بن زهير في شجاعة الحبيب النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ:

أُنْبِئْتُ أَنَّ رسولَ الله أَوْعَدَنِي ... وَالعَفْوُ عِنْدَ رسولِ الله مَأْمُولُ

مَهْلًا هداكَ الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةَ الـ ... قُرْآنِ فِيها مَواعِيظٌ وَتَفْصِيلُ

لَا تَأْخُذَنَّ بِأَقْوَالِ الوُشَاةِ وَلَمْ ... أُجْرِمْ وَلَوْ كَثُرَتْ عَنِّي الأَقَاوِيلُ

إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ ... وَصارِمٌ مِنْ سُيُوفِ الله مَسْلولُ

فِي فِتْيَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ ... بِبَطْنِ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا: زُولُوا[٢]

ومن الشواهد على سَبْقِ شجاعتِه صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ شجاعةَ أصحابه ما رواه الشيخان عن أَنَسِ بن مَالِكٍ رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ أَحْسَنَ الناس، وكان أَجْوَدَ الناس، وكان أَشْجَعَ الناس، وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ المَدِينةِ ذاتَ لَيْلَةٍ، فَانْطَلَقَ نَاسٌ قِبَلَ الصَّوْتِ، فَتَلَقَّاهُمْ رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ راجِعًا، وقد سَبَقَهُمْ إلى الصَّوْتِ وهو على فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ في عُنُقِهِ السَّيْفُ، وهو يقول: «لم تُراعوا لم تُراعوا»،

---

(١) صحيح البخاري رقم ٢٩٣٠.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي رقم ٢١١٤٢.

قال: «وَجَدْناهُ بَحْرًا»[١] أو: «إنه لَبَحْرٌ»، قال: وكان فَرَسًا يُبَطَّأُ[٢].

وروى الحاكم عن عَلِيٍّ رضي الله عنه قالَ: كُنَّا إذا حَمِيَ البَأْسُ، وَلَقِيَ القَوْمُ القَوْمَ، اتَّقَيْنا بِرَسُولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ فَلا يَكُونُ مِنَّا أَحَدٌ أَدْنَى إلى القومِ مِنْهُ[٣].

وقال ابن إسحاق في نهاية غزوة أُحُد: لَمّا أُسنِد رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في الشِّعْبِ[٤] أَدْرَكَهُ أُبَيّ بنُ خَلَفٍ وَهُوَ يَقُولُ: أَيْ مُحَمّدُ، لا نَجَوْتُ إنْ نَجَوْتَ، فقالَ القَوْمُ: يا رسولَ الله! أَيَعْطِفُ علَيهِ رَجُلٌ مِنّا؟

فقالَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: «دَعُوهُ»، فَلَمّا دَنا، تَناوَلَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ الحَرْبَةَ مِن الحارِثِ بنِ الصِّمّة، يَقُولُ بَعْضُ القومِ فِيمَا ذُكِرَ لِي: فَلَمّا أَخَذَها رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ مِنْهُ انْتَفَضَ بِها انْتِفاضةً تَطايَرْنا عَنْهُ تَطَايُرَ الشّعْرَاءِ[٥] عن ظَهْرِ البَعيرِ إذا انْتَفَضَ بِها، ثُمّ اسْتَقْبَلَهُ فَطَعَنَهُ في عُنُقِهِ طَعْنَةً تَدَأْدَأَ[٦] مِنْهَا عن فَرَسِهِ مِرارًا.

---

(١) أي الفرس.

(٢) صحيح البخاري رقم٥٦٨٦، صحيح مسلم رقم ٢٣٠٧.
وقوله: «وكان فرسًا يُبَطَّأ»؛ أي : يُنسب البطء إليه ، ويعرف به، فلما ركبه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أدركَته بركته؛ فسابق الجياد، وصار نعم العتاد. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ١٩/ ٣٣.

(٣) المستدرك رقم٢٥٨٤.

(٤) الشِّعب: في جبل أُحُد.
الإحداثيات: "٣٩°٣٦'٤٦,٩٢ "٢٤°٣٠'٤٢,١٢

(٥) الشّعْرَاءُ: ذُبَابٌ لَهُ لَدْغٌ.

(٦) تدحرج.

قالَ ابْنُ إسْحَاقَ : وَكانَ أُبَيّ بنُ خَلَفٍ يَلْقَى رسولَ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ بِمَكّةَ فَيَقُولُ: يَا مُحَمّدُ إنّ عِنْدِي العَوْذَ، فَرَسًا أَعْلِفُهُ كُلّ يَوْمٍ فَرَقًا مِنْ ذُرةٍ، أَقْتُلُك علَيهِ.

فَيَقُولُ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: «بَلْ أَنَا أَقْتُلُك إنْ شَاءَ اللهُ».

فَلَمّا رَجَعَ إلى قُرَيْشٍ وقد خَدَشَهُ في عُنُقِهِ خَدْشًا غَيْرَ كَبِيرٍ فَاحْتَقَنَ الدّمُ، فقالَ: قَتَلَنِي والله مُحَمّدٌ!

قَالُوا لَهُ: ذَهَبَ والله فُؤادُك، والله إن بِك مِنْ بَأْسٍ[1]! قالَ: إنّهُ قد كانَ قالَ لِي بِمَكّةَ: أَنَا أَقْتُلُك، فَوَالله لَوْ بَصَقَ عَلَيّ لَقَتَلَنِي، فَماتَ عَدُوّ الله بِسَرِفٍ[2] وَهُمْ قَافِلُونَ بِهِ إلى مَكّةَ[3].

❊ ❊ ❊

(١) أي: ما بك من بأس، فـ(إن) نافية.

(٢) سَرِف: وادٍ قُبَيل مكة المكرمة، بنحو ١٥كم، وفي سرف أعرس رسول الله بميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها وقت مرجعه من مكة حينما قضى الحجّ، وهناك ماتت ودُفِنَت سنة ٣٨ هـ. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ٣/ ٧٣٥، والمعالم الأثيرة في السنة والسيرة ص ١٣٩.

الإحداثيات: "٣٩°٤٦'١٩,٣١ ٢١°٣٤'٠,٦١"

(٣) الروض الأنف ٣/ ٣٢٤.

القاعدة الرابعة والأربعون
استنهاض الهمم وجمع الشَّمل

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

قالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: انْهَزَمَ أَصْحَابُ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوم أُحُد، فبينا هم كَذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَ خالِدُ بنُ الوَلِيدِ بِخَيْلِ المُشْرِكينَ يُرِيدُ أَنْ يَعْلُوَ عَلَيْهِمُ الجَبَلَ، فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «اللَّهُمَّ لَا يَعْلُونَ عَلَينا، اللَّهُمَّ لَا قُوَّةَ لَنا إِلَّا بِكَ، اللَّهُمَّ لَيْسَ يَعْبُدُكَ بِهَذِهِ البَلْدةِ غَيْرُ هؤلاءِ النَّفَرِ»، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الآياتِ، وَثابَ نَفَرٌ مِنَ المُسلمِين رُمَاةٌ، فَصَعِدُوا الجَبَلَ وَرَمَوْا خَيْلَ المُشْرِكِينَ حَتَّى هَزَمُوهُمْ، فَذَلِكَ قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾(١).

كان النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يُحَفِّزُ الهِمَم، ويرفع من شأن العزائم قُبيل المعركة وأثناءها، ويخاطب جنده بأجمل العبارات التشجيعية لرفع هممهم وتقوية عزائمهم.

ومن الشواهد على ذلك:

ما رواه أحمد والترمذي وغيرهما عن عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: ما سَمِعْتُ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يُفَدِّي أَحَدًا بِأَبَوَيْهِ إِلَّا سَعْدَ بنَ مالِكٍ، فَإِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ لَهُ يَوْمَ أُحُدٍ: «ارْمِ سَعْدُ فِداكَ أَبِي وَأُمِّي»(٢).

(١) أسباب النزول ص ١٢٨.

(٢) مسند الإمام أحمد رقم٩٦٨، وسنن الترمذي رقم٣٦٨٨.

وأخرج مسلم عن العَبَّاسِ رضي الله عنه قال: شَهِدْتُ مَعَ رسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يَوْمَ حُنَيْنٍ، فَلَزِمْتُ أَنَا وَأَبُو سُفْيَانَ بنُ الْحَارِثِ بنِ عبد المُطَّلِبِ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، فَلَمْ نُفَارِقْهُ، وَرَسُولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ على بَغْلَةٍ لَهُ بَيْضَاءَ.

فَلَمَّا الْتَقَى المُسْلِمونَ وَالْكُفَّارُ وَلَّى المُسْلِمونَ مُدْبِرِينَ، فَطَفِقَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ قِبَلَ الْكُفَّارِ.. وَأَنَا آخِذٌ بِلِجَامِ بَغْلَةِ رسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ أَكُفُّهَا إِرادةَ أَنْ لَا تُسْرِعَ، وَأَبُو سُفْيانَ آخِذٌ بِرِكابِ رسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، فقالَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: «أَيْ عَبَّاسُ! نَادِ أَصْحَابَ السَّمُرةِ[١]»، فقالَ عَبَّاسٌ وَكَانَ رَجُلًا صَيِّتًا فَقُلْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي: أَيْنَ أَصْحابُ السَّمُرةِ؟!

قالَ: فَوالله لَكَأَنَّ عَطْفَتَهُمْ حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي عَطْفَةُ البَقَرِ على أَوْلَادِها، فَقَالُوا: يَا لَبَّيْكَ يَا لَبَّيْكَ.

قالَ: فَاقْتَتَلُوا وَالكُفَّارَ وَالدَّعْوَةُ في الأنصارِ يَقُولُونَ: يَا مَعْشَرَ الأنصارِ! يَا مَعْشَرَ الأنصارِ! قالَ: ثُمَّ قُصِرَتِ الدَّعْوَةُ على بَنِي الحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ، فَقالوا: يا بَنِي الحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ يا بَنِي الحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ، فَنَظَرَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ وَهُوَ على بَغْلَتِهِ كَالمُتَطاوِلِ عَلَيْها إلى قِتالِهِمْ، فقالَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ هذا حِينَ حَمِيَ الوَطِيسُ[٢].

---

(١) هُوَ شجر الطلح، وَالْمُرَاد شَجَرَة بيعَة الرضْوَان.

(٢) حمي الْوَطِيس: يَعْنِي اشتدت الْحَرْب وتناهى الْقِتَال، والوطيس فِي الْأَصْل: التَّنور، فَشبه الْحَرْب باشتعال النَّار ولهبها.

قالَ: ثُمَّ أَخَذَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ حَصَياتٍ فَرَمَى بِهِنَّ وُجُوهَ الكُفَّارِ، ثُمَّ قالَ: «انْهَزَمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ»، قالَ: فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ، فإذا القِتَالُ على هَيْئَتِهِ فِيمَا أَرَى، قالَ: فَوالله ما هُوَ إِلَّا أَنْ رَماهُمْ بِحَصَياتِهِ فَما زِلْتُ أَرَى حَدَّهُمْ كَلِيلًا وَأَمْرَهُمْ مُدْبِرًا..(١).

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ۞ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: ٢٥-٢٦].

❊ ❊ ❊

(١) صحيح مسلم رقم٣٣٢٤.

القاعدة الخامسة والأربعون
الانتصار على الهزيمة وتحريم الفرار

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ۝ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٥-١٦].

هذه الآية تتحدّث عن المصابرة أمام العدوّ، وحرمة الفرار منه وأنه كبيرة من الكبائر، لأنه يُعَرِّض جيش المسلمين للتدهور والخطر، وأنه يجوز الفِرار من القتال لتلافي النتائج الوخيمة من الهزيمة، أو لكسب المعركة، كمن فَرَّ من القتال لخداع العدوّ، أو للانضمام إلى فئة مؤمنة ليتقوَّى بهم على العدوّ.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبۡتِغَآءِ ٱلۡقَوۡمِۖ إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٠٤].

وسَبَبُ نُزُولِ الآيةِ أَنَّ أَبا سُفْيانَ[1] وَأَصْحابَهُ لَـمَّا هَمُّوا بالرجوع لقتال المسلمين في ثاني يَوْمٍ لمعركة أُحُدٍ بَعَثَ رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم طائِفةً في آثارِهِمْ، فَشَكَوْا أَلَمَ الجِراحاتِ، فقالَ اللهُ تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبۡتِغَآءِ ٱلۡقَوۡمِ﴾ أَيْ: لَا تَضْعُفوا في طلب المشركين، إِنْ تَكُونوا تَأْلَمُونَ وتَتَوَجَّعُونَ مِنَ الجِرَاحِ، فَإِنَّهُمْ يَتَوَجَّعُونَ كَما تتوجعون أنتم، ولكنكم تَرْجُونَ مِنَ الله النصرَ في

(١) رضي الله عنه قبل إسلامه.

الدنيا والثَّوابَ في الآخِرةِ ما لَا يَرْجُونَ[١].

وهكذا كان النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ من أوحد القادة الذين يحسبون للهزيمة كما يحسبون للنصر، ويخططون ميدان المعركة لتلافي الهزيمة إن وقعت؛ لتأمين سلامة الأرواح، كما يخطّطون ميدان المعركة للنصر لتحقيقه.

ومن نماذج ذلك ما قاله ابن هشام أيضاً أثناء حديثه عن غزوة أُحُد: ..ومضى رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ حتى نزل الشِّعب من أُحُد، في عُدوة الوادي[٢] إلى الجبل، فجعل ظهرَه وعسكره إلى أُحُد، وقال: لا يُقاتِلَنَّ أحدٌ منكم حتى نأمرَه بالقتال.

وأمَّر على الرّماة عبد الله بن جُبير، وهو مُعْلَمٌ يومئذ بثيابٍ بيضٍ، والرماةُ خمسونَ رجلاً، فقال: انضح الخيل عنّا بالنبل، لا يأتونا منْ خلفِنا إنْ كانتْ لنا أو علينا، فاثبُتْ مكانَكَ لا نُؤْتَيَنَّ منْ قِبَلِكَ[٣].

فقد حمى صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ ظهره ويمينه بارتفاعات الجبل، واختار لمعسكره موضعاً مرتفعاً يحتمي به إذا نزلت الهزيمة بالمسلمين ولا يلتجئ إلى الفرار، حتى لا يتعرَّض للوقوع في قبضة الأعداء المطارِدين وأَسْرِهم، ويُلحِق مع ذلك خسائر فادحة إلى أعدائه إن أرادوا احتلال معسكرِه وتقدّموا إليه، وألجأ أعداءه إلى قَبول موضع منخفض يَصعُب عليهم جدًّا أن يحصلوا

---

(١) تفسير البغوي ١/ ٦٩٧.

(٢) أي جانب الوادي.

(٣) سيرة ابن هشام ٤/ ١٢ يراجع القيادة العسكرية في عهد الرسول صلى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلمَ للدكتور عبد الله محمد الرشيد ص ٤٢٤.

على شيء من فوائد الفتح إن كانت الغلبة لهم، ويصعب عليهم الإفلات من المسلمين المطارِدين لهم إن كانت الغلبة للمسلمين[١].

وكان لاختيار الرسول صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ جبلَ أُحُد دور هامّ في نجاة الرسول صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ وصحابته من الهلاك في هذه الحرب، إذ لجؤوا إلى شِعبٍ في جبل أُحُد احتضنهم، وتحصّنوا به، فلم يستطع جيشُ قريش متابعة هجومه على المسلمين، فهذا الانسحاب من رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ إلى شِعب الجبل جعل الحربَ مع قريش ظاهرها الخسارة، وحقيقتها متكافئة إلى حدّ ما، إذ لم يستطع جيش قريش احتلال معسكر المسلمين، ولا أَسْر واحد منهم، ولم يحصلوا على شيء من أموالِ المسلمين، وكان القتلى من الفريقَين: من المسلمين سبعين، ومن المشركين نحو سبعة وثلاثين[٢].

وأخيراً؛ فلعلّه من أنواع وفاء الرسول صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في أُحُدٍ؛ هو تبادُله الحبّ مع الجبل لما حصل فيه، فقد روى الشيخان عن أنس رضي الله عنه: «هذا جبلٌ يحبُّنا ونحبُّه»[٣].

❊ ❊ ❊

(١) الرحيق المختوم ص ٢٤٤.
(٢) يراجع الأحكام السلطانية للماوردي ص٥٢، ويراجع الرحيق المختوم ص٢٧٢.
(٣) صحيح البخاري، رقم٣٨٥٥، وصحيح مسلم، رقم١٣٩٣.

القاعدة السادسة والأربعون
تعزيز الولاء للدِّين وسرعة حلّ الخلافات الداخلية

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

لقد كان ولاء الصحابة رضوان الله عليهم لله تعالى ولرسوله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، ولم يكنِ الولاءُ للقبيلة ولا لغيرها؛ لتحقيق الحفاظ على اللُّحمة السياسية ووحدة الصفّ الداخلية، والقضاء على الفتن إنْ حدثت، وحلِّ الخلافات إن وقعَت، وهذا من كمال المحبة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وللجهاد في سبيل الله كما يُفهَم من الآية السابقة.

وقد وصف الله هذا الولاء في قوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ..﴾ [الفتح: ٢٩].

ومن المواقف التي تجلَّت فيها حكمة النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ القائد الفذِّ الحكيم في متابعة شؤون جيشه، بل وتحقيق صدق المحبة لله ولرسوله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ وللجهاد؛ ما حدث في غزوة بني المصطلق[1]،

(١) تقدّم ذكر مكان غزوة بني المصطلق تحت عنوان «أهمية التعرّف على مواقع الغزوات وأزمنتها في التخطيط الاستراتيجي».

فقد كانت هذه الغزوة من أعظم الدروس التي تلقى فيها المسلمون الفوائد العلمية والعملية، وكشفت معادن الناس في صدق المحبّة.

فقد بَلَغَ رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ أَنّ بَنِي المُصْطَلِقِ يَجْمَعُونَ لَهُ، وَقائِدُهُمْ الحارِثُ بنُ أَبِي ضِرارٍ أَبو جُوَيْرِيةَ بِنْتِ الحارِثِ، زَوْجِ رسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، فَلَمّا سَمِعَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ بِهِمْ خَرَجَ إلَيْهم حَتّى لَقِيَهُمْ على ماءٍ لَهُمْ يُقالُ لَهُ: المُرَيْسِيعُ، مِنْ ناحِيةِ قُدَيْدٍ إلى السّاحِلِ، فَتَزَاحَفَ النّاسُ فَهَزَمَ اللهُ بَنِي المُصْطَلِقِ وَقُتِلَ مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ، وَنَفَلَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ أَبْناءهُمْ وَنِساءَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ فأفاءَهُمْ علَيهِ.

فَبَيْنا رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ على ذلك المَاءِ وَرَدَتْ وَارِدَةُ النّاسِ -وَمَعَ عُمَرَ بنِ الخَطّابِ أَجِيرٌ لَهُ مِنْ بَني غِفارٍ، يُقَالُ لَهُ: جَهْجَاهُ بنُ مَسْعُودٍ يَقُودُ فَرَسَهُ-، فازْدَحَمَ جَهْجَاهٌ وَسِنَانُ بنُ وَبَرٍ الجُهَنِيّ حَلِيفُ بَني عَوْفِ بنِ الخَزْرَجِ على المَاءِ فَاقْتَتَلَا، فَصَرَخَ الجُهَنِيّ: يا مَعْشَرَ الأنصارِ، وَصَرَخَ جَهْجَاهٌ: يا مَعْشَرَ المُهاجِرينَ.

فَغَضِبَ عَبْدُ الله بنُ أُبَيّ بنِ سَلول وَعِنْدَهُ رَهْطٌ مِنْ قَوْمِهِ ـ فِيهِمْ زَيْدُ بنُ أَرْقَمَ غُلَامٌ حَدَثٌ ـ فقالَ: أَوَقَد فَعَلوها، قد نافَرونا وَكاثَرونا في بِلَادِنا، والله ما أَعُدّنا وَجَلَابيبَ قُرَيْشٍ إلّا كَما قالَ الأَوّلُ: سَمِّنْ كَلْبَك يَأْكُلْك، أَمَا والله لَئِنْ رَجَعْنا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنّ الأَعَزُّ مِنْها الأَذَلّ.

ثُمّ أَقْبَلَ على مَنْ حَضَرَهُ مِنْ قَوْمِهِ فقالَ لَهُمْ: هذا ما فَعَلْتُمْ بِأَنْفُسِكُمْ،

أَحْلَلْتُمُوهُمْ بِلَادَكُمْ، وَقَاسَمْتُمُوهُمْ أَمْوَالَكُمْ، أَمَا والله لَوْ أَمْسَكْتُمْ عَنْهُمْ ما بِأَيْدِيكُمْ لَتَحَوّلُوا إلى غَيْرِ دَارِكُمْ.

فَسَمِعَ ذلك زَيْدُ بنُ أَرْقَمَ؛ فَمَشَى بِهِ إلى رسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، وَذَلِكَ عِنْدَ فَرَاغِ رسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ مِنْ عَدُوّهِ؛ فَأَخْبَرَهُ الخَبَرَ، وَعِنْدَهُ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ، فقالَ: مُرْ بِهِ عَبّادَ بنَ بِشْرٍ فَلْيَقْتُلْهُ.

فقالَ لَهُ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: «فَكَيْفَ يَا عُمَرُ إذَا تَحَدّثَ النّاسُ أَنّ مُحَمّدًا يَقْتُلُ أَصْحابَهُ، لَا، وَلَكِنْ أَذّنْ بِالرّحِيلِ»، وَذَلِكَ في سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يَرْتَحِلُ فِيها، فَارْتَحَلَ النّاسُ.

وقد مَشى عَبْدُ الله بنُ أُبَيّ ابْنِ سَلُولَ إلى رسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ حِينَ بَلَغَهُ أَنّ زَيْدَ بنَ أَرْقَمَ قد بَلَغَهُ ما سَمِعَ مِنْهُ، فَحَلَفَ بِالله: ما قُلْتُ ما قالَ، وَلَا تَكَلّمْتُ بِهِ، وَكانَ في قَوْمِهِ شَرِيفًا عَظِيمًا.

فقالَ مَنْ حَضَرَ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ مِن الأَنْصارِ مِنْ أَصْحَابِهِ: يا رسولَ الله! عَسَى أَنْ يَكُونَ الغُلَامُ قد أَوْهَمَ في حَدِيثِهِ، وَلَمْ يَحْفَظْ ما قالَ الرّجُلُ؛ حَدَبًا [1] على ابْنِ أُبَيّ ابْنِ سَلُولَ وَدَفْعًا عَنْهُ.

فَلَمّا اسْتَقَلّ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ راكباً على راحلتِه وَسارَ؛ لَقِيَهُ أُسَيْد بنُ حُضَيْرٍ فَحَيّاهُ بِتَحِيّةِ النّبُوّةِ وَسَلّمَ عَلَيهِ، ثُمّ قالَ: يَا نَبِيّ الله!

(١) تعطُّفاً.

والله لَقَدْ رُحْتَ في سَاعَةٍ مُنْكَرَةٍ ما كُنْت تَرُوحُ في مِثْلِها؟

فقالَ لَهُ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: «أَوَمَا بَلَغَك ما قالَ صَاحِبُكُمْ؟»

قالَ: وَأَيّ صَاحِبٍ يا رسولَ الله؟

قالَ: «عَبْدُ الله بنُ أُبَيّ».

قالَ: وَما قالَ؟

قالَ: «زَعَمَ أَنَّهُ إنْ رَجَعَ إلى المَدِينةِ لَيُخْرِجَنّ الأَعَزُّ مِنْها الْأَذَلّ».

قالَ: فَأَنْتَ يَا رسولَ الله -والله- تُخْرِجُهُ مِنْهَا إنْ شِئْت، هُوَ -والله- الذّلِيلُ وَأَنْت العَزِيزُ.

ثُمّ قالَ: يَا رسولَ الله! اُرْفُقْ بِهِ، فَوَالله لَقَدْ جاءَنا اللهُ بِك، وَإِنّ قَوْمَهُ لَيَنْظِمونَ لَهُ الخَرَزَ لِيُتَوّجُوهُ؛ فَإِنّهُ لَيَرَى أَنّك قد اسْتَلَبْته مُلْكًا.

ثُمّ مَشى رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ بِالنّاسِ يَوْمَهُمْ ذلك حَتّى أَمْسَى، وَلَيْلَتَهُمْ حَتّى أَصْبَحَ وَصَدْرَ يَوْمِهِمْ ذلك حَتّى آذَتْهُمُ الشّمْسُ، ثُمّ نَزَلَ بِالنّاسِ فَلَمْ يَلْبَثُوا أَنْ وَجَدُوا مَسَّ الأَرْضِ فَوَقَعُوا نِيامًا.

وَإِنّمَا فَعَلَ ذلك رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ لِيَشْغَلَ النّاسَ عن الحَدِيثِ الّذِي كانَ بِالأَمْسِ مِنْ حَدِيثِ عبد الله بنِ أُبَيّ..

وَنَزَلَتِ السّورَةُ الّتِي ذَكَرَ اللهُ فِيهَا المُنافِقِينَ في ابْنِ أُبَيّ وَمَنْ كانَ على مِثْلِ

أَمْرِهِ، فَلَمّا نَزَلَتْ أَخَذَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ بِأُذُنِ زَيْدِ بنِ أَرْقَمَ ثُمّ قالَ: «هذا الّذِي أَوْفَى اللهُ بِأُذُنِهِ».[١]

وَبَلَغَ عَبْدَ الله بنَ عبد الله بنِ أُبَيّ الّذِي كانَ مِنْ أَمْرِ أَبِيهِ.. فأَتَى رسولَ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ فقالَ: يا رسولَ الله! إنّهُ بَلَغَني أَنّك تُرِيدُ قَتْلَ عَبْدِ الله بنِ أُبَيّ فِيمَا بَلَغَك عَنْهُ؛ فَإِنْ كُنْتَ لَا بُدّ فَاعِلًا فَمُرْنِي بِهِ، فَأَنَا أَحْمِلُ إِلَيْك رَأْسهُ، فَوالله لَقَدْ عَلِمَتِ الخَزْرَجُ ما كانَ لَها مِنْ رَجُلٍ أَبَرّ بِوَالِدِهِ مِنّي، وَإِنّي أَخْشَى أَنْ تَأْمُرَ بِهِ غَيْري فَيَقْتُلَهُ، فَلَا تَدَعُنِي نَفْسِي أَنْظُرُ إلى قاتِلِ عبد الله بنِ أُبَيّ يَمْشِي في النّاسِ، فَأَقْتُلَهُ فَأَقْتُلُ (رَجُلًا) مُؤْمِنًا بِكافِرٍ فَأَدْخُلُ النّارَ.

فقالَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: «بَلْ نَتَرَفّقُ بِهِ وَنُحْسِنُ صُحْبَتَهُ ما بَقِيَ مَعَنا».

وفي لفظ عند الترمذي فقالَ عُمَرُ: يا رسولَ الله، دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هذا المُنَافِقِ؟

فقالَ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: «**دَعْهُ؛ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ**»..

وَقالَ لَهُ ابْنُهُ عَبْدُ الله بنُ عبد الله: والله لَا تَنْقَلِبُ حَتَّى تُقِرَّ أَنَّكَ الذَّلِيلُ، وَرَسُولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ العَزِيزُ، فَفَعَلَ[٢].

وَجَعَلَ بَعْدَ ذلك إِذَا أَحْدَثَ ابن سلول الحَدَثَ كانَ قَوْمُهُ هُمُ الّذِينَ يُعاتِبونَهُ وَيَأْخُذونَهُ وَيُعَنّفونَهُ.

---

(١) أي أنزل الله قرآناً تصديقاً لكلام زيد، وتكذيباً لكلام المنافقين.

(٢) سنن الترمذي رقم٣٢٣٧.

فقالَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ لِعُمَرَ بنِ الخَطّاب حِينَ بَلَغَهُ ذلك مِنْ شَأْنِهِمْ: «كَيْفَ تَرَى يَا عُمَرُ؟! أَمَا والله لَوْ قَتَلْتُه يَوْمَ قُلْتَ لِي: اُقْتُلْهُ؛ لَأُرْعِدَتْ لَهُ آنُفٌ [١] بِيَثْرِبَ كَثِيرةٌ لَوْ أَمَرْتها اليَوْمَ بِقَتْلِهِ لَقَتَلْته».

قالَ: قالَ عُمَرُ: قد والله عَلِمْت، لَأَمْرُ رسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ أَعْظَمُ بَرَكَةً مِنْ أَمْرِي[٢].

❊ ❊ ❊

(١) أي انتفخت واضطربت أنوفهم حمية وعصبية له.
(٢) الروض الأنف ٤/ ١٤، وسيرة ابن هشام ٣/ ٣٠١.

القاعدة السابعة والأربعون
التربية الروحية والأخلاقية للجنود

قال الله تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٦].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

مما مرَّ معنا في مقدمة الكتاب أن الجهاد فُرِضَ في المدينة المنورة، وأنه لم يُبِح الله تعالى للمسلمين القتال في الفترة المكية الدعويَّة، بل كانوا مأمورين بالصبر والعفو والصفح، وجهاد النفس، وجهاد الدعوة بالقرآن والحجة والبرهان، من أجل تهيئة نفوسهم بالإيمان الراسخ(١).

ودليل ذلك أن الآيات السابقة كانت في العهد المكي وذُكِرَ فيها (الجهاد) والمراد بها جهاد النفس و العلم كما مرَّ.. لا جهاد السيف.

لذا ربَّى النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ جندَه على معالي الأمور، وعلى جميل الصفات، ربّاهم على عفَّةِ النفس، والكرم، والشجاعة، والإيثار، والرِّفق، والتواضع، والإخلاص لله تعالى في جهادهم..

ومن شواهد جميل أخلاقه مع صحابته الكرام ما رواه أحمد رحمه الله عن

(١) يراجع تفسير ابن كثير ٢/ ٣٥٩.

عبد الله بنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أنه قالَ: كُنَّا يَوْمَ بَدْرٍ كُلُّ ثَلَاثةٍ على بَعِيرٍ، كانَ أَبو لُبَابةَ وَعَلِيٌّ بنُ أَبِي طالِبٍ زَمِيلَيْ رسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ، قالَ: وكانت عُقْبَةُ رسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ.

قالَ: فَقالَا: نَحْنُ نَمْشِي عَنْكَ.

فَقَالَ: «ما أَنْتُمَا بِأَقْوَى مِنِّي، وَلَا أَنَا بِأَغْنَى عن الأَجْرِ مِنْكُمَا»(١).

ومن جميل لطفه بأصحابه ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن جابِرِ بنِ عبد الله رضي الله عنه أنه قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ في غَزْوةٍ غَزاها، وَذَلِكَ في رَمَضانَ، فَصَامَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحابِ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ، فَضَعُفَ ضَعْفًا شَديدًا، وَكادَ العَطَشُ أَنْ يَقْتُلَهُ، وَجَعَلَتْ ناقَتُهُ تَدْخُلُ تَحْتَ العِضاهِ(٢)، فَأُخْبِرَ بِهِ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ، فقالَ: «ائْتُونِي بِهِ»، فَأُتِيَ بِهِ، فقالَ: «أَلَسْتَ في سَبِيلِ الله، وَمَعَ رسولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم؟ أَفْطِرْ»، فَأَفْطَرَ(٣).

وروى مسلم عن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قالَ: كانَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ إذا أَمَّرَ أَمِيرًا على جَيْشٍ أو سَرِيَّةٍ أَوْصاهُ في خَاصَّتِهِ بِتَقْوى الله وَمَنْ مَعَهُ مِن المُسلمِين خَيْرًا، ثُمَّ قالَ: «اغْزُوا بِاسْمِ الله في سَبِيلِ الله، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِالله، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا..»(٤).

---

(١) مسند الإمام أحمد رقم ٣٧٠٦.

(٢) كل شجر ذي شوك.

(٣) مسند الإمام أحمد رقم ١٤٥٢٩.

(٤) رواه مسلم رقم ٣٢٦١.

ومن سيرة السلف الصالح ما رواه ابن عساكر وغيره أنّ أبا بكرٍ الصدّيق رضي الله عنه لـمّا وجّه أسامةَ بنَ زَيْدٍ رضي الله عنهما قائدَ جيشِه إلى بلادِ الشامِ، شيَّعهم وهو ماشٍ، وأسامة راكب وعبد الرحمن بن عوف يقودُ دابة أبي بكر، فقال له أسامة: يا خليفةَ رسولِ الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) لَتَرْكَبَنَّ أو لأَنزلنَّ؟!

فقال: والله لا تنزلُ، ووالله لا أركبُ، وما عليَّ أن أغبّرَ قدميَّ ساعةً في سبيلِ الله، فإنّ للغازي بكلِّ خطوةٍ يخطوها سبع مئة حسنة تُكْتَب له، وسبع مئة درجة تُرفَع له، وتُمحى عنه سبع مئة خطيئة، ثم قال: أيُّها الناسُ! قِفُوا أُوْصِكُمْ بعَشْرٍ، فاحْفَظُوها عنّي: لا تخونُوا، ولا تَغُلُّوا، ولا تُمثِّلوا، ولا تقتُلُوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً، ولا امرأة، ولا تَعْقِروا نخلاً ولا تُحْرِقُوه، ولا تَقْطَعوا شجَرةً مُثْمِرَةً، ولا تَذْبَحُوا شاةً ولا بقرةً ولا بعيراً إلا لِمأكَلةٍ.

وسوفَ تمرُّونَ بأقوامٍ قد فرَّغُوا أنفسَهم في الصَّوامعِ، فدعوهمْ وما فرّغُوا أنفسَهم له، وسوف تَقْدمُون على قومٍ يأتونكم بآنيةٍ فيها ألوانُ الطعامِ، فإذا أكلْتُمْ منها شيئاً بعدَ شيءٍ، فاذكُروا اسمَ الله عليها..[1].

ومن جميل تربية النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم للصحابة التواضعُ وعدم الكِبر، فقد روى البخاري رحمه الله عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلى الله عَلَيهِ وعلى آله وسَلمَ أنه قالَ: «..طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنانِ فَرَسِهِ في سَبِيلِ الله، أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٍ قَدَماهُ، إِنْ كانَ في الحِراسةِ، كانَ في الحِراسةِ، وَإِنْ كانَ في السَّاقةِ كانَ في السَّاقةِ، إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ»[2].

(١) تاريخ مدينة دمشق ٢/ ٥٠.
(٢) صحيح البخاري رقم٢٨٨٧.

ومن جميل الأخلاق حفظ الأمانات، فإنَّ تضييعَها لا تُكَفِّرُها الشهادة، ومن الأدلّة على ذلك ما رواه البيهقي في شُعَبِ الإيمان: عن زاذانَ، عن عبد الله بنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أنه قالَ: القَتْلُ في سَبِيلِ الله يُكَفِّرُ الذُّنُوبَ كُلَّها إِلَّا الأَمانةَ.

قالَ: يُؤْتَى بِالعَبْدِ يَوْمَ القِيامةِ، وَإِنْ قُتِلَ في سَبِيلِ الله فَيُقَالُ: أَدِّ أَمانَتَكَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، كَيْفَ وقد ذَهَبَتِ الدُّنْيَا؟

قالَ: فَيُقالُ: انْطَلِقُوا بِهِ إلى الهاوِيةِ، فَيُنْطَلَقُ بِهِ إلى الهاوِيةِ، وَيُمَثَّلُ لَهُ أَمانَتُهُ كَهَيْئَتِها يَوْمَ دُفِعَتْ إِلَيهِ، فَيَراها فَيَعْرِفُها فَيَهْوِي في أَثَرِها حَتَّى يُدْرِكَها، فَيَحْمِلُها على مَنْكِبَيْهِ حَتَّى إذا ظَنَّ أَنَّهُ خَارِجٌ زَلَّتْ عن مَنْكِبَيْهِ، فَهُوَ يَهْوِي في أَثَرِها أَبَدَ الآبِدينَ.

ثُمَّ قالَ: الصَّلَاةُ أَمانةٌ، وَالوُضوءُ أَمانةٌ، وَالوَزْنُ أَمانةٌ، وَالكَيْلُ أَمانةٌ، وَأَشْياءُ عَدَّدَها، وَأَعْظَمُ ذلك الوَدائِعُ.

قال زَاذَانَ: فَأَتَيْتُ البَراءَ بنَ عازِبٍ، فَقُلْتُ: أَلَا تَرَى إلى ما قالَ ابْنُ مَسْعُودٍ! قالَ: كَذا، قالَ كَذا؟

قالَ: صَدَقَ، أَمَا سَمِعْتَ يَقُولُ اللهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: ٥٨][1].

* * *

(١) شعب الإيمان رقم٤٨٨٥.

القاعدة الثامنة والأربعون
جهاد النساء والكهول والصبيان

قال الله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ١٧].

فرض الله الجهاد على المسلم الذَّكر البالغ القادر الصحيح الجسم[١]، ولم يكلّف الشيخ الفاني، ولا المرأة، ولا الصبيّ، ولا المريض، ولا الأعرج، وغيرهم من الضعفاء بالجهاد.

فكان من إكرام الإسلام للمرأة والرِّفق بها أنه لم يَفرِض عليها القتال؛ لحديث عائشة رضي الله عنها أنها قالتْ: قُلْتُ: يا رسولَ الله، هَلْ على النِّسَاءِ مِنْ جِهَادٍ؟

قالَ: «نَعَمْ، عَلَيْهِنَّ جِهَادٌ لَا قِتالَ فِيهِ: الحَجُّ وَالعُمْرَةُ»[٢].

وأما الصبيان فكان النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم يمنعهم منَ الجهاد،

---

(١) قال المالكية: لوجوب الجهاد ستّ شرائط لا يجب إلا بها، ومتى انخرم واحد منها سقط وجوبه وهي: الإسلام والحرية والذكورية والبلوغ والعقل والاستطاعة بصحة البدن وما يحتاج إليه من المال. قال الله سبحانه: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ﴾، وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «رُفِع القلم عن ثلاث»، وقال سبحانه: ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾، والعبد لا يجد ما ينفق.
التاج والإكليل ٢/ ٥٣٨، وانظر مجمع الأنهر ١/ ٦٣٢، ٦٣٣، ومختصر خليل مع الخرشي ٥/ ٢٩٢، ومطالب أولي النهى ٢/ ٥٠٠.

(٢) مسند الإمام أحمد رقم ٢٥٣٢٣.

ولا يقدّمهم إلا بعد اختبارهم في قدرتهم القتالية، ومن ذلك ما أخرجه البيهقيُّ وغيره عن سَمُرةَ بنِ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قالَ: أَتَتْ بِي أُمِّي فَقَدِمَتِ المَدِينةَ فَخَطَبَها النَّاسُ، فَقالتْ: لَا أَتَزَوَّجُ إِلَّا بِرَجُلٍ يَكْفُلُ لِي هذا اليَتيمَ، فَتَزَوَّجَها رَجُلٌ مِنَ الأنصارِ.

وَكانَ رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يَعْرِضُ غِلْمانَ الأنصارِ في كُلِّ عامٍ فَيُلْحِقُ مَنْ أَدْرَكَ مِنْهُمْ.

قالَ: وَعُرِضْتُ عامًا فَأَلْحَقَ غُلَامًا وَرَدَّنِي، فَقُلْتُ: يا رسولَ الله! لَقَدْ أَلْحَقْتَهُ وَرَدَدْتَنِي، وَلَوْ صَارَعْتُهُ لَصَرَعْتُهُ.

قالَ: «فَصَارِعْهُ»، فَصَارَعْتُهُ فَصَرَعْتُهُ؛ فَأَلْحَقَنِي[1].

وروى الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: عَرَضَنِي رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يومَ أُحُدٍ في القتالِ، وأنا ابنُ أربعَ عَشْرة سَنَةً، فلمْ يُجِزْنِي، وَعَرَضَنِي يومَ الخَنْدَقِ وأَنَا ابنُ خَمْسَ عَشْرةَ سَنةً فأَجازني[2].

فالحدُّ في وجوب الجهاد هو البلوغ؛ فلا يجب الجهاد على الصبي حتى يَبْلُغَ، ولكنه يُؤمَر بما دون القتال إن كانت به قُوَّة، كأن يكون في الحراسة، أو ينقل الطعام أو الشراب أو الدواء للمجاهدين، كما كان يفعل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم حيث يأمر الفتيانَ بحراسةِ المدينة.

---

(١) المستدرك على الصحيحين رقم ٢٣٥٦، وسنن البيهقي الكبرى رقم ١٧٨١٠، والمعجم الكبير رقم ٦٧٤٩.

(٢) صحيح البخاري رقم ٢٦٦٤، وصحيح مسلم ـ واللفظ له ـ رقم ١٨٦٨.

وهذا في الحالات العادية، وأما في الحالات الخاصة كأَنْ داهَمَ العدوُّ دار المسلمين فيكون الجهاد فرض عين؛ على كلّ كبير وصغير، وذكر وأنثى؛ ممن يقدِرُ على حمل السلاح، ولا يجوز لأحد التخلّفُ إلا مَنْ يُحتاج إلى تخلُّفه لحفظ المكان والأهل والمال، أو مَن يمنعه الأمير من الخروج، أو مَن لا قدرة له على الخروج أو القتال، وقد جاء في أحد المعاني لقوله تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١]؛ أنَّ الخِفاف والثِّقال هم الشباب والكهول.

روى البيهقي رحمه الله عن أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ أَبا طَلْحةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَرأَ هَذِهِ الآيةَ: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: ٤١]، فقالَ: أَرى رَبَّنا يَسْتَنْفِرُنا شُيوخًا وَشَبابًا جَهِّزُونِي، أَيْ بَنِيَّ جَهِّزُونِي.

فقالَ بَنوهُ: قد شَهِدْتَ مَعَ رسولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وَأَبِي بكرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فَنَحْنُ نَغْزُو.

فقالَ: جَهِّزُوني، فَرَكِبَ البَحْرَ، فَماتَ فَلَمْ يَجِدوا لَهُ جَزيرةً إِلَّا بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ، فَقُبِرَ بِها وَلَمْ يَتَغَيَّرْ[1].

ومِن نماذج مشاركة الصحابيات في القتال عندما لزِمَ الأمر لهنّ، ما قاله ابْنُ هِشَامٍ: قاتَلَتْ أُمّ عُمارةَ نَسيْبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ المَازِنِيّةُ يَوْمَ أُحُدٍ، فَذَكَرَ سَعِيدُ بنُ أَبِي زَيْدٍ الأنصارِيّ: أَنّ أُمّ سَعْدٍ بِنْتَ سَعْدِ بنِ الرّبِيعِ كانتْ تَقولُ: دَخَلْت على أُمّ عُمارةَ فَقُلْت لَها: يا خالةُ أَخْبِرِيني خَبَرَك، فَقالتْ: خَرَجْت أَوّلَ النّهَارِ وَأَنَا أَنْظُرُ

(١) السنن الكبرى للبيهقي رقم١٧٨٠١.

ما يَصْنَعُ النّاسُ، وَمَعِي سِقَاءٌ فِيهِ ماءٌ، فَانْتَهَيْت إلى رسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ وَهُوَ في أصحابِهِ وَالدّوْلَةُ وَالرّيحُ لِلْمُسْلِمِينَ.

فَلَمّا انْهَزَمَ المُسْلِمُونَ انْحَزْتُ إلى رسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ فَقُمْتُ أُبَاشِرُ القِتالَ، وَأَذُبّ عَنْهُ بِالسّيْفِ، وَأَرْمِي عَنِ القَوْسِ حَتّى خَلَصَتِ الجِراحُ إلَيّ.

قَالَتْ: فَرَأَيْت على عاتِقِها جُرْحًا أَجْوَفَ لَهُ غَوْرٌ، فَقُلْت: مَنْ أَصَابَك بِهَذَا؟

قَالَتْ ابْنُ قَمِئَةَ أَقْمَأَهُ اللهُ، لَمّا وَلَّى النّاسُ عن رسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ أَقْبَلَ يَقُولُ: دُلّونِي على مُحَمّدٍ، فَلَا نَجَوْتُ إنْ نَجَا، فَاعْتَرَضْتُ لَهُ أَنا وَمُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ، وَأُنَاسٌ مِمّنْ ثَبَتَ مَعَ رسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ؛ فَضَرَبَنِي هَذِهِ الضّرْبَةَ، وَلَكِنْ فَلَقَدْ ضَرَبْتُه على ذلك ضَرْبَاتٍ، وَلَكِنْ عَدُوُّ الله كانَ علَيهِ دِرْعانِ[1].

ومن نماذج جهاد ذوي الاحتياجات الخاصّة مع النبي صلى الله عليه على آله وسلم ؛ ما رواه البيهقي رحمه الله أن عمرَو بنَ الجموح كان أعرج شديد العرج، وَكانَ لَهُ أَرْبَعةُ بَنينَ شَباباً يَغْزونَ مَعَ رسولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذا غَزَا، فَلَمَّا أَرادَ رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يَتَوَجَّهَ إلى أُحُدٍ قالَ لَهُ بَنوهُ: إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قد جَعَلَ لَكَ رُخْصَةً، فَلَو قَعَدْتَ فَنَحْنُ نَكْفِيكَ، فَقَدْ وَضَعَ اللهُ عَنْكَ الجِهادَ.

فَأَتَى عَمْرُو بنُ الجَمُوحِ رسولَ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقالَ : يا

(١) الروض الأنف ٣/ ٢٤٣.

رسولَ الله إِنَّ بَنِيَّ هَؤُلاءِ يَمْنَعُوني أَنْ أَخْرُجَ مَعَكَ، والله إِنِّي لأَرْجُو أَنْ أُسْتَشْهَدَ، فَأَطَأَ بِعَرْجَتِي هَذِهِ في الجَنَّةِ؟

فقالَ لَهُ رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ وَضَعَ اللهُ عَنْكَ الجهادَ».

وَقَالَ لِبَنِيهِ: «وَما عَلَيْكُمْ أَنْ تَدَعوهُ لَعَلَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَرْزُقُهُ الشَّهادةَ!»

فَخَرَجَ مَعَ رسولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فَقُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ شَهِيدًا[1].

* * *

(١) السنن الكبرى رقم١٨٢٧٧.

القاعدة التاسعة والأربعون
التماس الرُّخَص

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا * وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء: ١٠١-١٠٢].

إن من عظيم رحمة الله تعالى أن شرع أحكاماً خاصّة بأهل الأعذار، ومن لهم ظروف استثنائية، ومنهم أهل الجهاد، وهذه الرُّخَص تخفّف عنهم ما هم عليه من الشِّدّة أو البأس كالخوف من العدوّ، أو مرض في الجسم، ونحو ذلك.

ومن ذلك قَصْرُ الصلاة والتيمّم، والمسح على الجبيرةِ، أو الجرح، وصلاة الخوف في الجهاد، والطّهارة للصلاة، وغير ذلك من الأحكام الكثيرة، كما أشارت الآية السابقة إلى بعض هذه الأحكام.

ومن شواهد التخفيف ما رواه أبو داود وغيره عن جابرٍ رضي الله عنه أنه قال: خَرَجْنَا في سَفَرٍ، فأَصابَ رَجُلًا مِنَّا حَجَرٌ، فَشَجَّهُ في رَأْسِهِ، ثُمَّ احْتَلَمَ، فَسَأَلَ أَصْحابَهُ فقال: هل تَجِدونَ لي رُخْصَةً في التَّيَمُّمِ؟

فَقَالُوا: ما نَجِدُ لك رُخْصَةً وَأَنْتَ تَقْدِرُ على المَاءِ، فَاغْتَسَلَ فَمَاتَ.

فلما قَدِمْنَا على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أُخْبِرَ بِذَلِكَ، فقال: «قَتَلُوهُ، قَتَلَهُمُ الله! ألا سَأَلُوا إِذْ لم يَعْلَمُوا، فَإِنَّمَا شِفَاءُ العِيِّ السُّؤَالُ، إنما كان يَكْفِيهِ أَنْ يَتَيَمَّمَ وَيَعْصِبَ على جُرْحِهِ خِرْقَةً، ثُمَّ يَمْسَحَ عليها وَيَغْسِلَ سائِرَ جَسَدِهِ»(١).

وروى الإمام أحمد رحمه الله عن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أنه قال: صَامَ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوم فَتْحِ مَكَّةَ، حتى أتى قُدَيْداً(٢) فَأُتِيَ بِقَدَحٍ من لَبَنٍ فَأَفْطَرَ، وَأَمَرَ الناس أَنْ يُفْطِرُوا(٣).

وتقدّم معنا ما رواه أبو داود عَنْ عبد الله بنِ أُنَيْسٍ أنه قالَ: بَعَثَنِي رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، إلى خالِدِ بنِ سُفْيانَ الهُذَلِيِّ، وَكانَ نَحْوَ عُرَنَةَ وَعَرَفاتٍ، فقالَ: «اذْهَبْ فَاقْتُلْهُ».

قالَ: فَرَأَيْتُهُ وَحَضَرَتْ صَلَاةُ العَصْرِ، فَقُلْتُ: إِنِّي أَخافُ أَنْ يَكُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ما إِنْ أُؤَخِّرِ الصَّلَاةَ، فَانْطَلَقْتُ أَمْشِي وَأَنَا أُصَلِّي أُومِئُ إِيمَاءً، نَحْوَهُ..(٤).

---

(١) سنن أبي داود رقم٣٣٦ وهو حديث حسن، دون قوله: "إنما كان يكفيه...".

(٢) قُدَيد: واد كبير من أودية الحجاز التهامية، يأخذ أعلى مساقط مياهه من حرّة «ذرة»، فيسمى أعلاه «ستارة»، وأسفله «قديدًا»، يقطعه الطريق من مكة إلى المدينة على مسافة مئة وعشرين كِيلاً. المعالم الأثيرة في السنة والسيرة ص ١٧٤.

هذا وخيمتا أم معبد: هما بطرف وادي قديد من الشمال، غرب قرية قديد بـ٧كم، ومن علاماتها محطة قديد.

الإحداثيات: "٢٣, ٥٧'١٤°٣٩"٧٤, ٨'٢٠°٢٢

(٣) مسند الإمام أحمد رقم٣٢٧٩.

(٤) سنن أبي داود رقم ١٢٤٩.

القاعدة الخمسون
الصبر

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

روى الطبريُّ عن زَيْدِ بنِ أَسْلَمَ رحمه الله، في قَوْلِهِ: ﴿ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ﴾ أنه قالَ: اصْبِروا على الجهادِ، وَصابِروا عَدُوَّكُمْ، وَرابِطوا على عَدُوِّكُمْ(١).

إنّ الصبر في مواطن الموت لَمِن أعظم البلاء على المسلم؛ لذلك ختم الله به آية صفات أهل البِرّ من أهل الإيمان، فبعد أن ذكر أن صفات أهل الإيمان الصادقين هي: الإيمان بالله تعالى وملائكته والكتاب والنبيين، والتَّصدُّق منَ المالِ، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، بعد كلِّ ذلك ذَكَرَ الصبر في مواطن الشدّة يوم الحرب، قال الله تعالى: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

ومحل الشاهد: ﴿وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِ﴾.

---

(١) تفسير الطبري ٦/ ٣٣٤.

قال ابن كثير رحمه الله: أَي الصابرين في حالِ الفَقْرِ وَهُوَ البَأْساءُ، وَالصابرين في حالِ المَرَضِ وَالأَسْقامِ وَهُوَ الضَّرَّاءُ، والصابرين حِينَ البَأْسِ: أَيْ في حالِ القِتالِ وَالْتِقاءِ الأَعْداءِ[١].

ومن أعجب مواقف الصحابة رضوان الله عليهم في البأس؛ صبر محمد بن مَسْلَمة رضي الله عنه في سريته إلى قبيلة بني معاوية وبني عُوال في ذي القَصَّة[٢]، وذلك أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم سمع بمكرهم للكيد بالمسلمين.

فبعث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إليهم محمد بن مَسْلَمة في عشرة من الصحابة في سرية تأديب إليهم، فجاؤوهم ليلاً، وانتبه المشركون لمجيئهم، فكمنوا لمحمد بن مسلمة وأصحابه حتى ناموا، فأحدقوا بهم وهم مئة رجل، فما شعر المسلمون إلا بالنّبلِ قد أحاطهم، فوثب محمد بن مسلمة ومعه قوس فصاح في أصحابه: السلاحَ، فوثبوا فترامَوا ساعة منَ الليل.

ثم هجم الأعراب عليهم بالرماح هجمة رجل واحد، فقتلوا جميعَ أصحاب محمد بن مَسْلَمة، رضوان الله عليهم، ووقع جريحاً، وقد ضربوا كعبه

---

(١) تفسير ابن كثير ١/ ٢١٠.

(٢) كانت سرية محمد بن مَسْلمة إلى ذي القَصَّة في ربيع الآخر سنة ٦هـ، حيث سمع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بمكر قبيلة بني معاوية وبني عُوَال في ذي القَصة، فبعث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إليهم محمد بن مَسْلَمة في عشرة من الصحابة في سرية تأديب إليهم، وذو القصة على طريق الربذة، ولعله بين المدينة المنورة والحناكية بنحو ٥٠كم منها، قُبيل الصُوَيْدِرة بنحو ١٥كم.
الإحداثيات: "٢٧,٢٣'٥°٤٠ "١٣,١٣'٣٤°٢٤

اختباراً لحياته، فلم يتحرك إيهاماً لهم بأنه ميِّت، وجرّدوهم من الثياب وانطلقوا.

فمرَّ رجل من المسلمين على القتلى فاسترجع، فلما سمعه محمدُ بن مَسْلَمة تحرَّك له، فعرض عليه طعاماً وشراباً وحمله حتى وردَ به المدينة، وعُوفي فيها، فبعث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أبا عُبَيدة بن الجراح ردّاً على فعلتهم، إلى مصارعهم فلم يجد أحداً من الأعراب، فغَنِمَ بعض الغنائم ورجع المدينة[1].

❊ ❊ ❊

(١) سبل الهدى والرشاد ١١/ ١٠٤.

القاعدة الحادية والخمسون
التحرّي في دماء المسلمين عند اختلاطهم بأهل الكفر

قال الله تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡهَدۡيَ مَعۡكُوفًا أَن يَبۡلُغَ مَحِلَّهُۥۚ وَلَوۡلَا رِجَالٞ مُّؤۡمِنُونَ وَنِسَآءٞ مُّؤۡمِنَٰتٞ لَّمۡ تَعۡلَمُوهُمۡ أَن تَطَـُٔوهُمۡ فَتُصِيبَكُم مِّنۡهُم مَّعَرَّةُۢ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ لِّيُدۡخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ لَوۡ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبۡنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿..وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا..﴾ [النساء: ٩٤].

في أسباب نزول هذه الآية روى الإمام أحمد رحمه الله عن عبد الله بنِ أَبِي حَدْرَدٍ رضي الله عنه أنه قالَ: بَعَثَنا رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى إِضَمَ[1]، فَخَرَجْتُ في نَفَرٍ مِنَ المُسلمِين فِيهِمْ أَبو قَتَادَةَ الحارِثُ بنُ رِبْعِيٍّ، وَمُحَلَّمُ بنُ جَثَّامَةَ بنِ قَيْسٍ، فَخَرَجْنا حَتَّى إذا كُنَّا بِبَطْنِ إِضَمَ مَرَّ بِنا عَامِرٌ الأَشْجَعِيُّ على قَعُودٍ لَهُ مَعَهُ مُتَيِّعٌ وَوَطْبٌ مِنْ لَبَنٍ[2]، فَلَمّا مَرَّ بِنا، سَلَّمَ عَلَيْنا، فَأَمْسَكْنَا عَنْهُ، وَحَمَلَ عليهِ مُحَلَّمُ بنُ جَثَّامَةَ، فَقَتَلَهُ بِشَيْءٍ كانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، وَأَخَذَ بَعِيرَهُ وَمُتَيِّعَهُ،

(١) بطن إضم: ويسمى بوادي إضم، ويُقدّر بُعدُ المكان عن المدينة المنورة/ تبوك ٦٧كم.
وتقدّم الحديث عنه عند الحديث عن: التورية المكانية عند اختيار الجهة المقصودة للجهاد.
(٢) سقاء اللبن ويصنع من الجلد.

فَلَمَّا قَدِمْنا على رسولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وَأَخْبَرْنَاهُ الخَبَرَ، نَزَلَ فِينا القُرْآنُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا..﴾[1].

إن أعظم الحرمات عند الله تعالى هي الدماء، فأوجب الإسلام التحرّي في الدماء عند الاقتتال مع غير المسلمين، سواء أكان مسلماً ممن أضمر الإسلام والمسلمون لا يعرفونه، أو غير مسلم ممن لا يجوز قتله، كغير المحاربين كالنساء والأطفال.

وقد أمر الله بالتحري في الدماء، كما في الآية الأولى، وأمر بترك بعض القتال خشية قتل من لا يجوزُ قَتْله، كما حدث هذا في غزوة الحديبية فقد كادَ ينشبُ القتال بين المسلمين ومشركي مكة، وأن الله صرف المسلمين عن قتال مشركي مكة؛ خشية أن يقتلوا المؤمنين من أهل مكة الذين أخفوا إيمانهم، فلولا هذا لوقع المسلمون في الإثم، أو العار، أو العيب من الكافرين حيث يقولون: قتلوا أهلَ دينِهم.

ومن الأدلّة على وجوب حُرمة دم المسلم عند الاشتباه ما رواه البخاري ومسلم عن أُسامةَ بن زَيْدِ بن حارِثة رضي الله عنهما أنه قال: بَعَثَنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى الحُرَقةِ من جُهَيْنةَ[2].

قال: فَصَبَّحْنا القَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ.

---

(١) مسند الإمام أحمد رقم٢٣٨٨١.

(٢) تقدّم الحديث عن موقع الحرقة تحت عنوان: الموازنة بين المرونة والحزم.

قال: وَلَحِقْتُ أنا وَرَجُلٌ من الأنصارِ رَجُلًا منهم.

قال: فلما غَشِيناهُ قال: لَا إِلَهَ إلا الله.

قال: فَكَفَّ عنه الأنصارِيُّ فَطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي حتى قَتَلْتُهُ.

قال: فلمَّا قَدِمْنا بَلَغَ ذلك النبيَّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

قال: فقال لي: «يا أُسامةُ، أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ ما قال: لَا إِلَهَ إلا الله؟!».

قال: قلتُ: يا رسولَ الله! إنما كان مُتَعَوِّذًا.

قال: «أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ ما قال لَا إِلَهَ إلا الله؟!»

قال: فما زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حتى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لم أَكُنْ أَسْلَمْتُ قبل ذلك اليَوْمِ[1].

❊ ❊ ❊

(١) صحيح البخاري رقم ٦٤٧٨، وصحيح مسلم رقم٩٦.

القاعدة الثانية والخمسون
الخطأ في دماء المسلمين في الحرب

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْ..﴾ [النساء: ٩٢].

تقدّم أن ذكرتُ وجوبَ التأني في سماع حجة الآخرين المحاربين والاحتياطِ في الاقتتال، للاستخبار عن صحة إسلام الآخرين، فإذا حدث قتل للمسلم بطريق الخطأ في الجهاد، وجب أداء الدِّية لأهله، ولا يقتصرُ حقُّ التعويض على الدِّية، بل يشمل جميع الحقوق الأخرى، وقد حدث مثل هذا في بعض سرايا النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فوفَّى لهمُ النبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم حقوقَهم، فقد روى البخاري رحمه الله طرفاً من الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنّ خالداً قتل بعضَ بني جَذِيمةَ ظنّاً منه أنهم لم يُسلِموا..

ثم قال أهل السِّيرة بعد ذلك: دَعَا رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عَلِيّ بنَ أَبِي طالِب رضي الله عنه فقالَ: «يا عَلِيّ، اخْرُجْ إلى هؤلاءِ القَوْمِ، فَانْظُرْ في أَمْرِهِمْ، وَاجْعَلْ أَمْرَ الجاهِلِيّةِ تَحْتَ قَدَمَيْك».

فَخَرَجَ عَلِيّ حَتّى جاءَهُمْ وَمَعَهُ مَالٌ قد بَعَثَ بِهِ رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فَوَدى[1] لَهُمُ الدّماءَ، وَمَا أُصيبَ لَهُمْ مِن الأَمْوالِ، حَتّى إنّهُ لَيُدْنِي لَهُمْ مِيلَغَةَ الكَلْبِ، حَتّى إذَا لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ مِنْ دَمٍ وَلَا مَالٍ إلّا وَداهُ بَقِيَتْ مَعَهُ بَقِيّةٌ مِن المَالِ، فقالَ

(١) أي أعطى دية المقتولين.

لَهُمْ عَلِيّ رضي الله عنه حِينَ فَرَغَ مَعَهُمْ: هَلْ بَقِيَ لَكُمْ بَقِيّةٌ مِنْ دَمٍ أو مَالٍ لَمْ يُودَ لَكُمْ؟ قالوا: لَا.

قالَ: فَإِنّي أُعْطِيكُمْ هَذِهِ البَقِيّةَ مِنْ هذا المَالِ احْتِيَاطًا لِرسولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم مِمّا يَعْلَمُ وَلَا تَعْلَمونَ؛ فَفَعَلَ.

ثُمّ رَجَعَ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فَأَخْبَرَهُ الخَبَرَ، فقالَ: «أَصَبْتَ وَأَحْسَنْت»[1].

ومن الأمور المادية الهامَّة: لو تعلَّقت ذمّة المجاهد بحقوقٍ لا علاقة لها بالجهاد نفسه، كالدَّينِ مثلاً، فهذا لا يغفِرُه الشهادة في سبيل الله؛ لما رواه مسلم عن أَبِي قَتادةَ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَهُ، يُحَدِّثُ عن رسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، أَنَّهُ قامَ فِيهِمْ فَذَكَرَ لَهُمْ أَنَّ الجهادَ في سَبِيلِ الله، والإِيمانَ بِالله أَفْضَلُ الأَعْمالِ، فَقَامَ رَجُلٌ، فقالَ: يا رسولَ الله، أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ في سَبِيلِ الله، تُكَفَّرُ عَنِّي خَطاياىَ؟

فقالَ لَهُ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: «نَعَمْ، إِنْ قُتِلْتَ في سَبِيلِ الله، وَأَنْتَ صابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ».

ثُمَّ قالَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: «كَيْفَ قُلْتَ؟».

قالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ في سَبِيلِ الله أَتُكَفَّرُ عَنِّي خَطاياىَ؟

فقالَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: «نَعَمْ، وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ، إِلَّا الدَّيْنَ، فَإِنَّ جِبْرِيلَ علَيهِ السَّلاَمُ قالَ لِي ذَلِكَ»[2].

---

(١) الروض الأنف ٤/ ١٩٥.

(٢) صحيح مسلم رقم٤٩١٤.

القاعدة الثالثة والخمسون
الإخلاص لله تعالى

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

قال الله تعالى: ﴿..وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡ..﴾ [الحج: ٣٧].

الإخلاص لله تعالى في الأعمال هو العلامة الوحيدة على إفراد الله تعالى بالعبودية، وهو سبب نجاح كلّ عمل في الدنيا، والقبول من الله تعالى في الآخرة، كما دلّ على هذا الآيات السابقة، ولما أخلص المسلمون لله تعالى في جهادهم نصرهم الله تعالى على عدوهم بأقلّ الأسباب، وكان نصرهم بالحجّة والبيان أكبر من نصرهم بالسّنان.

والإخلاص لله في الجهاد هو أول ما يأمر به النبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم حين توجيه السرايا، ومن ذلك ما رواه مسلم عن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قالَ: كانَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ إذا أَمَّرَ أَميرًا على جَيْشٍ أو سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ في خاصَّتِهِ بِتَقْوى الله وَمَنْ مَعَهُ مِن المُسلمِين خَيْرًا، ثُمَّ قالَ: «اغْزُوا بِاسْم الله في سَبِيلِ الله، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِالله، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا..»[1].

وروى الشيخان عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «انْتَدَبَ الله عز وجل لِمَنْ خَرَجَ في سَبِيلِهِ لَا يُخْرِجُهُ إلا إِيمَانٌ بِي

(١) رواه مسلم رقم ٣٢٦١.

وَتَصْدِيقٌ بِرُسُلِي؛ أَنْ أُرْجِعَهُ بِمَا نَالَ من أَجْرٍ أو غَنِيمَةٍ، أو أُدْخِلَهُ الجنَّةَ، وَلَوْلَا أَنْ أَشُقَّ على أُمَّتِي ما قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ في سَبِيلِ الله ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ»(١).

ولا يقبل جهاد في الإسلام بغير الإخلاص لله تعالى، بل مصير صاحبه إلى النار؛ لما رواه الإمام أحمد وغيره عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسولَ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يقول: «إن أَوَّلَ الناس يُقْضَى فيه يوم القِيامةِ ثَلاثَةٌ؛ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِي بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَها، فقال: وما عَمِلْتَ فيها؟

قال: قَاتَلْتُ فِيكَ حتى قُتِلْتُ.

قال: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِيُقَالَ: هو جريء فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَيُسْحَبُ على وَجْهِهِ حتى أُلْقِيَ في النَّارِ..»(٢).

وروى البخاري عن أَبِي مُوسى الأشعري رضي الله عنه أنه قالَ: جاءَ رَجُلٌ إلى النَّبِيِّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فقالَ: الرَّجُلُ يُقاتِلُ حَمِيَّةً(٣)، وَيُقاتِلُ شَجاعةً، وَيُقاتِلُ رِياءً، فَأَيُّ ذلك في سَبِيلِ الله؟

قالَ: «مَنْ قاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمةُ الله هِيَ العُلْيا، فَهُوَ في سَبِيلِ الله»(٤).

---

(١) صحيح البخاري رقم ٣٦، وصحيح مسلم رقم ١٨٧٦.
وقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «انتدب الله» أي سارع بثوابه وحسن جزائه.. فتح الباري ١/ ٩٣.
(٢) مسند الإمام أحمد رقم ٨٢٧٧.
(٣) عصبية.
(٤) صحيح البخاري رقم ٧٤٥٢.

القاعدة الرابعة والخمسون
الشكر لله تعالى واليقين بنصره

قال الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۞ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۞ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ [النصر: ١-٣].

إن الناصر الحقيقي هو الله تعالى، ومَن اعتمد على الأسباب وَكَلَه الله إلى أسبابه، كما قالوا: إذا انعدمت التقوى فالنصر للأقوى.

وقد تعلّم الصحابة من غزوة حنين درساً حينما اغترَّ بعضُهم بكثرة عددهم، فغُلبوا بسبب إعجابهم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ۞ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥-٢٦].

وقال الله تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ۞ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ۞ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٤-١٢٦].

ثم يلزم من هذه البشرى؛ وهي نصر الله تعالى أن تقابل بالخضوع والشكر لله تعالى، وألا تقابل بالتكبّر والإعجاب بالنفس، هكذا فعل النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يوم فتح مكة.

قال الواقدي رحمه الله: أَعْطَى رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ

رَايَتَهُ سَعْدَ بنَ عُبادةَ وَهُوَ أَمامَ الكَتِيبةِ، فَلَمّا مَرّ سَعْدٌ بِرايةِ النّبِيّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ نادى: يا أَبَا سُفْيَانَ اليَومَ يَوْمُ المَلْحَمةِ، اليَومَ تُسْتَحَلّ الحُرْمَةُ، اليَومَ أَذَلّ اللهُ قُرَيْشًا، فَأَقْبَلَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ حَتّى إذَا حاذى أَبا سُفْيانَ ناداهُ يا رسولَ الله أُمِرْتَ بِقَتْلِ قَوْمِك؟! زَعَمَ سَعْدٌ وَمَنْ مَعَهُ حِينَ مَرّ بِنا، قالَ[1]: يا أَبا سُفْيانَ اليَومَ يَوْمُ المَلْحَمَةِ، اليَومَ تُسْتَحَلّ الحُرْمَةُ، اليَومَ أَذَلّ اللهُ قُرَيْشًا، وَإِنّي أَنْشُدُك اللهَ في قَوْمِك، فَأَنْتَ أَبَرّ النّاسِ، وَأَرْحَمُ النّاسِ، وَأَوْصَلُ النّاسِ.

قالَ عَبْدُ الرّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ وَعُثْمَانُ بنُ عَفّانَ: يا رسولَ الله؛ ما نَأْمَنُ سَعْدًا أَنْ يَكُونَ مِنْهُ في قُرَيْشٍ صَوْلَةٌ، فقالَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ: «**اليَومَ يَوْمُ المَرْحَمةِ، اليَومَ أَعَزَّ اللهُ فِيهِ قُرَيْشًا**»، قالَ: وَأَرْسَلَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ إلى سَعْدٍ فَعَزَلَهُ، وَجَعَلَ اللّوَاءَ إلى قَيْسِ بنِ سَعْدٍ، وَرَأَى رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ أَنّ اللّواءَ لَمْ يَخْرُجْ مِنْ سَعْدٍ حِينَ صارَ لِابْنِهِ.

فَلَمّا أَشْرَفَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ على النّاسِ وقد لِيطَ بِهِمْ حَوْلَ الكَعْبةِ فَهُمْ جُلُوسٌ.

قالَ: «**الحَمْدُ لله الّذِي صَدَقَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الأَحْزابَ وَحْدَهُ، ماذا تَقُولونَ، وماذا تَظُنّونَ؟**»

قالوا: نَقُولُ خَيْرًا وَنَظُنّ خَيْرًا، أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ، وقد قَدَرْت.

فقالَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ: «**فَإِنّي أَقُولُ كَمَا قالَ أَخِي يُوسُفُ: لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ اليَومَ، يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرّاحِمِينَ**»[2].

---

(١) أي: قال سعد لأبي سفيان كما يروي أبو سفيان.

(٢) مغازي الواقدي ١/ ٨٢٩.

القاعدة الخامسة والخمسون
معالجة حالات الضعف في الجُنْد

إنّ مما ينبغي على القائد فعلُه مباشرة متابعة أمور الجند بالنفس، دون التوكيل قدر ما أمكن، وبهذا وصف الله تعالى نبيه لما أراد القتال يوم غزوة أُحُد، حيث قال: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٢١]، أي تُبَيِّن لهم أماكنهم، وتجعلهم في المكان المناسب لهم في الجيش.

وهذا في الحالات العادية، فكيف إذا كان هناك بالجيش ضعف أو جراح، فيكون متابعة الجند من باب أولى.

ومن النماذج على الرعاية النبوية الصِّحيَّة بالصحابة الكرام ومعالجة حالات الضعف؛ ما رواه البخاري ومسلم رحمهما الله عن جَرِيرِ بن عبدِ الله رضي الله عنه أنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «ألا تُرِيحُنِي من ذِي الخَلَصة، وكان بَيْتًا في خَثْعَمٍ؛ يُسَمَّى كَعْبَةَ اليَمانِيةِ»(١).

فانْطَلَقْتُ في خَمْسينَ ومِائةٍ من أَحْمَسَ، وَكانوا أَصْحابَ خَيْلٍ، فَأَخْبَرْتُ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أَنِّي لَا أَثْبُتُ على الخَيْلِ، فَضَرَبَ في صَدْرِي حتى رأيتُ أَثَرَ أَصابِعِهِ في صَدْرِي.

---

(١) اسم السرية سرية جَرير بن عبد الله البَجَلِي لهدم ذي الخَلَصَة، وكانت في رمضان سنة ١٠هـ. ومكان صنم ذي الخَلَصَة كان في تبالة من بلاد خثعم، وهي قرية في جنوب شرق مكة بنحو ٤٠٠كم.

الإحداثيات: "٤١°٢٧'١٦,٨٠ "٢٠°١'٧,٢٦

فقال: «اللهم ثَبِّتْهُ، وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا»، فَانْطَلَقَ إِلَيْها، فَكَسَرَها وَحَرَّقَها، فَأَرْسَلَ إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يُبَشِّرُهُ.

فقال رسولُ جَرِيرٍ: يا رسولَ الله؛ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ ما جِئْتُكَ حتى تَرَكْتُها كَأَنَّهَا جَمَلٌ أَجْرَبُ.

فَبارَكَ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم على خَيْلِ أَحْمَسَ وَرِجالِها خَمْسَ مَرَّاتٍ[1].

ولا تقتصر معالجة حالات الضعف على الحالات الجسمية، بل تشمل النفسية، كما في قوله تعالى: ﴿..إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٠٤].

* * *

(١) صحيح البخاري رقم ٢٨١٥، وصحيح مسلم رقم ٢٤٧٦.

الفصل الرابع
منطلق الاستعداد العسكري

٥٦ـ الإعداد المادي الشامل.

٥٧ـ المبادرة بغزو العدوّ إن همَّ بالحرب.

٥٨ـ التخذيل بين الأعداء.

٥٩ـ التجسّس على الأعداء.

٦٠ـ أفضل الجهات في الحرب.

٦١ـ المعرفة التامّة بعتاد العدوّ وعُدَّته ومكانه.

٦٢ـ استغلال الظروف الجوية.

٦٣ـ السرية التامة في التخطيط العسكري.

٦٤ـ تحضير فِرَقِ الإنقاذ والفرق الطبية.

٦٥ـ تأمين الجبهات الداخلية.

٦٦ـ هيكلة الجيش.

٦٧ـ تحصين الجند.

٦٨ـ اختبار كفاءة الجند.

٦٩ـ تفقد الموارد الطبيعية.

٧٠ـ تحسّس الأحوال الجوية والاستعداد لكوارثها.

٧١ـ اتخاذ المُساندين في أرض المشركين.

٧٢ـ لزوم تضافر جميع أنواع الجهاد.

٧٣ـ العدد الأكمل في تعداد الجيش.

٧٤ـ تعليم الجند الفنون الحربية.

٧٥ـ تصنيع الأجهزة الحربية وإتقان صناعتها.

٧٦ـ الدعاية الحربية.

٧٧ـ الإعلام الحربي.

٧٨ـ رفع الكفاءة الحربية.

٧٩ـ استراتيجية الإنفاق في المؤسسة العسكرية.

٨٠ـ تعريب الأجهزة الحربية والاستقلال الحربي بجميع أشكاله.

٨١ ـ تضافر العلوم الكونية مع العلوم العسكرية.

٨٢ ـ استراتيجية الاستثمار في المؤسسة العسكرية، والمحافظة على أموالها.

٨٣ ـ تعلّم العلوم الشرعية، والحفاظ على الكفاءات العلمية.

٨٤ ـ دعم المؤسسة العَسْكَرِيَّة بالعلوم النفسية.

٨٥ ـ حماية الحدود وتحصينها.

القاعدة السادسة والخمسون
الإعداد المادي الشامل

قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ..﴾ [الأنفال: ٦٠].

أمر الله تعالى بالاستعداد للجهاد، ورغّب النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في التهيّؤ للجهاد من جميع جوانبه من صناعة وتطوير وتوريد، فكلّ مَن شارك في جزء الاستعداد من التزويد بالمال إلى وصول السلاح إلى يدِ المجاهد كان له أجر المجاهد، ثم رَغَّبَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في اختيار أفضل السلاح وأعظمه فتكاً بالأعداء؛ وهو سلاح الرمي.

ففي صحيح مسلم عن عُقْبَةَ بن عامِرٍ رضي الله عنه أنه قال: سَمِعْتُ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ وَهُوَ على المِنْبَرِ، يَقُولُ: «﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ..﴾ [الأنفال: ٦٠]، أَلَا إِنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ»(١).

وفي سنن الترمذي أَنَّ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ قالَ: «إِنَّ اللهَ لَيُدْخِلُ بِالسَّهْمِ الواحِدِ ثَلاثةً الجَنَّةَ: صانِعَهُ يَحْتَسِبُ في صَنْعَتِهِ الخَيْرَ، وَالرَّامِيَ بِهِ، وَالمُمِدَّ بِهِ، وَقالَ: ارْمُوا وارْكَبوا، وَلأَنْ تَرْمُوا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَرْكَبوا»(٢).

---

(١) صحيح مسلم رقم٥٠٥٥.
(٢) سنن الترمذي ١٦٣٧.

ومن الأمثلة على تطوير الآلة العسكرية ما فعلَه النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ من نصب المنجنيق على أهل الطائف، حيث أمرَ سلمان الفارسي رضي الله عنه بصناعة المنجنيق ونَصْبِه على حصن الطائف، وأتى بعض الصحابة من جُرَش[١] بدبّابتين ومنجنيق منها[٢].

وتُصنَع الدبابة من جلود البقر، ثم يُزحَفُ بها إلى جدار الحصن ليحفِروه، ونثر رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ حول الحصن الحسك، وهو من وسائل الدّفاع الثابتة، ويُعمَلُ من خشبتَين على شكل زائد، حتى تتألف منهما أربع شُعَبٍ مُدَبَّبَة، وإذا رُمي في الأرض بقيت شعبةٌ منه بارزةٌ تتعثّر بها أقدام الخيل والمشاة[٣].

---

(١) جُرَش بضم الجيم وفتح الراء، موضع في جنوب الجزيرة العربية، توجد آثاره قرب خميس مشيط في منطقة أبها، جنوب المملكة العربية السعودية، وكان أهلها قد أسلموا في حياة النبي صلّى الله عليه وسلّم سنة عشر. المعالم الأثيرة في السنة والسيرة ص ٨٩.

الاحداثيات: ١٨° ١٢, ٠٦٤' ٤٢° ٤٩, ٩٦٨'

(٢) مغازي الواقدي ٣/ ٩٢٧.

تنبيه: ذكر بعض الباحثين أن الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم أرسل اثنين من الصحابة إلى جُرَش هما عُرْوَة بن مَسْعُودٍ وغَيْلَان بن سَلَمة لكي يتعلّموا صناعة الدبابة.. وقد قدم هذان الصحابيان في أثناء حصار الطائف. (انظر الحِرَف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم ص٢٢٨).

وهذا الكلام غير صحيح، فقد كان عُرْوَة بن مَسْعُودٍ وَغَيْلَان بن سَلَمةَ غير مسلمين، ثم إن عروة رضي الله عنه أسلم لما رجع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم المدينة بعد حصار الطائف. يراجع مغازي الواقدي ٣/ ٩٦٠.

(٣) سبل الهدى والرشاد ٥/ ٣٨٥، السِّيرةُ النّبوية ـ عرضُ وقائع وَتحليل أحدَاث، لعَلي الصَّلابي ١/ ٧٨٥.

قال الواقدي: «وَشاوَرَ رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أَصْحابَهُ، فقالَ لَهُ سَلْمَانُ الفارِسِيّ: يا رسولَ الله، أَرَى أَنْ تَنْصِبَ المَنْجَنيقَ على حِصْنِهِمْ، فَإِنّا كُنّا بِأَرْضِ فارِسَ نَنْصِبُ المَنْجَنِيقاتِ على الحُصونِ وَتُنْصَبُ عَلَينا، فَنُصِيبُ مِنْ عَدُوّنَا وَيُصِيبُ مِنّا بِالمَنْجَنِيقِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ المَنْجَنِيقُ طالَ الثّواءُ[1]، فَأَمَرَهُ رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فَعَمِلَ مَنْجَنيقًا بِيَدِهِ، فَنَصَبَهُ على حِصْنِ الطّائِفِ. وَيُقالُ: قَدِمَ بِالمَنْجَنِيقِ يَزِيدُ بنُ زَمْعَةَ وَدَبّابَتَينِ، وَيُقالُ: الطّفَيْلُ بنُ عَمْرٍو، وَيُقالُ: خالِدُ بنُ سَعيدٍ قَدِمَ مِنْ جُرَشَ بِمَنْجَنِيقٍ وَدَبّابَتَيْنِ»[2].

❊ ❊ ❊

(١) الإقامة.

(٢) مغازي الواقدي ٣/ ٩٢٧.

القاعدة السابعة والخمسون
المبادرة بغزو العدوّ إن همَّ بالحرب

قال الله تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢].

يخبر الله تعالى المسلمين بأن المشركين الذين جنحوا إلى السلم ظاهرًا، وأرادوا الكيد بالمسلمين، أن لا تخافوا من إبطانهم المكر والخديعة، فإن الله سيكفيكم مكرَهم وخديعتهم، ومَن تولّى الله كفايتَه وحفظَه لا يضرّه شيء.

ومن شواهد ما سبق قول الله تعالى: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ * قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٣-١٤].

لذا كان من عظيم خُلُق رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ ورحمته أنه لا يبدأ كافراً بحرب، إلا إذا ناصبَ العداء للدعوة الإسلامية، فإذا بلغَه أنّ أحداً يجمع له الجموع لقتاله، أو خان العهد معه، بَدَره وخرج إلى قتاله، كما في غزوة بني المصطلق[1]، فقد بَلَغَ رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ أَنّ بَنِي المُصْطَلِقِ يَجْمَعونَ لَهُ وَقَائِدُهُمُ الحارِثُ بنُ أَبِي ضِرارٍ أَبو جُوَيْرِيةَ بِنْتِ الحَارِثِ، زَوْجِ رسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، فَلَمّا سَمِعَ رسولُ الله

(١) تقدّم ذِكْرُ مكان غزوة بني المصطلق تحت عنوان «أهمية التعرف على مواقع الغزوات وأزمنتها في التخطيط الاستراتيجي».

صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ بِهِمْ خَرَجَ إِلَيْهِمْ حَتّى لَقِيَهُمْ على ماءٍ لَهُمْ يُقالُ لَهُ: المُرَيْسِيعُ، مِنْ نَاحِيَةِ قُدَيْدٍ إلى السّاحِلِ، فَتَزاحَفَ النّاسُ؛ فَهَزَمَ اللهُ بَنِي المُصْطَلِقِ وَقُتِلَ مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ، وَنَفَلَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ أَبْناءَهُمْ وَنِساءَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ فَأَفاءَهُمْ عَلَيْهِ[١].

ومن شواهد ذلك أيضاً ما ذكَرَه ابنُ سعد رحمه الله في بداية حديثه عن غزوة تبوك: أنه بلغ رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ أنّ الروم قد جمعت جموعاً كثيرة بالشام، وأن هرقل قد رَزق أصحابَه لسَنةٍ، وأجلبَت معه لخم وجذام وعاملة وغسّان، وقدموا مقدماتهم إلى البلقاء[٢]، فندب رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ الناس إلى الخروج، وأعلمَهم المكان الذي يريد (وهو تبوك) ليتأهّبوا لذلك[٣].

❊ ❊ ❊

(١) الروض الأنف ٤/ ١٤، وسيرة ابن هشام ٣/ ٣٠١.

(٢) البلقاء: إقليم كبير في الأردن، تتوسطه مدينة عمّان، ومن أشهر مدنه: عمّان والسلط ومأدبا والزرقاء، ويُشرِف على الغور الأردني غرباً. المعالم الأثيرة في السنة والسيرة ص ٥٣، والبلدان لليعقوبي ص ١٦٤.
الإحداثيات: "٣٥°٤٢'٥٨,٢٣ "٣١°٥٧'٣٧,٠٦

(٣) طبقات ابن سعد ٢/ ١٦٥.

القاعدة الثامنة والخمسون
التخذيل بين الأعداء

قال الله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأنفال: ٥٧].

التخذيل بين الأعداء وخداعهم يعني إيقاع الفرقة بينهم لإضعافهم، من خلال أساليب كثيرة، ومنها رمي الفتنة بينهم، وهذا الأمر كان من إحدى سياسات النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم الحربيَّة.

ومن الشواهد على ذلك ما ذَكَرَه ابن إِسْحاق في سَبَبِ رَحيلِ الأحزاب عن المدينة أَنَّ نُعَيْمَ بنَ مَسْعودٍ الأَشْجَعِيَّ رضي الله عنه أَتَى النَّبِيّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ مُسْلِمًا، وَلَمْ يَعْلَم بِهِ قَوْمه، فقالَ لَهُ: «خذِّلْ عنّا فإنّ الحربَ خَدْعَةٌ».

فَمَضَى إلى بَنِي قُرَيْظَة ـ وَكانَ نَديمًا لَهُمْ ـ فقالَ: قد عَرَفْتُمْ مَحَبَّتِي.

قَالُوا: نَعَمْ.

فقالَ: إِنَّ قُرَيْشًا وَغَطَفانَ لَيْسَتْ هَذِهِ بِلَادُهُمْ، وَإِنَّهُمْ إِنْ رَأَوْا فُرْصَةً اِنْتَهَزُوها وَإِلَّا رَجَعُوا إلى بِلَادِهِمْ وَتَرَكُوكُمْ في البَلَاءِ مَعَ مُحَمَّدٍ، وَلَا طاقةَ لَكُمْ بِهِ.

قالوا: فَما تَرى؟

قالَ: لَا تُقَاتِلُوا مَعَهُمْ حَتَّى تَأْخُذوا رَهْنًا مِنْهُمْ، فَقَبِلُوا رَأْيَهُ.

فَتَوَجَّهَ إلى قُرَيْشٍ فقالَ لَهُمْ: إِنَّ اليَهُود نَدِمُوا على الغَدْرِ بِمُحَمَّدٍ فَراسَلوهُ في الرُّجُوعِ إِلَيهِ، فَراسَلَهُمْ بِأَنّا لَا نَرْضَى حَتَّى تَبْعَثُوا إلى قُرَيْشٍ فَتَأْخُذوا مِنْهُمْ رَهْنًا فَاقْتُلُوهُمْ.

ثُمَّ جَاءَ غَطَفانَ بِنَحْوِ ذَلِكَ، قالَ: فَلَمَّا أَصْبَحَ أَبو سُفْيانَ بَعَثَ عِكْرِمةَ بن أَبِي جَهْلٍ إلى بَنِي قُرَيْظَةَ بِأَنَّا قد ضاقَ بِنَا المَنْزِلُ وَلَمْ نَجِد مَرْعى، فاخْرُجوا بِنا حَتَّى نُناجِزَ مُحَمَّدًا.

فَأَجابوهُمْ: إِنَّ اليَومَ يَوْمُ السَّبْتِ وَلَا نَعْمَلُ فيهِ شَيْئًا، وَلَا بُدَّ لَنا مِن الرَّهْنِ مِنْكُمْ لِئَلَّا تَغْدِروا بِنا. فَقَالَتْ قُرَيْش: هذا ما حَذَّرَكُمْ نُعَيْم، فَراسِلوهُمْ ثانِيًا أَنْ لَا نُعْطِيَكُمْ رَهْنًا، فَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ تَخْرُجُوا فَافْعَلوا.

فَقالَتْ قُرَيْظةُ: هذا ما أَخْبَرَنا نُعَيْم.

قالَ ابن إِسْحاق: فكانَ ذلك سَبَبَ خِذْلَانِهِمْ وَرَحِيلِهِمْ[1].

* * *

(١) يراجع سيرة ابن هشام ٢/ ٢٩٢، وفتح الباري ٢/ ٤٣٨.

القاعدة التاسعة والخمسون
التجسس على الأعداء

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ..﴾ [الأنفال: ٦٠].

التجسّس: يعني معرفة الخطط العسكرية عند العدوّ، وتحرُّكاته المكانية والزمانية، ومعرفة عدده وعُدّته بطريقة خَفيّة لا يَشعر بها، وهذا العنصر الأساس كان في جميع غزوات النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، لكشف حقيقة العدوّ لمقابلة عُدّته وعَتاده وخططه، وهذا نوع من أنواع الاستعداد المأمور به في الآية السابقة، ولعلّه أحد المعاني من مكر الله تعالى بالكافرين كما في الآية الأولى.

ومن الشواهد على ذلك ما ذكره الواقدي رحمه الله في غزوة أُحُد أنّ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ بَعَثَ الحُبَابَ بنَ المُنْذِرِ بنِ الجَمُوحِ إلى القَوْمِ، فَدَخَلَ فِيهِمْ وَحَزَرَ وَنَظَرَ إلى جَمِيعِ ما يُرِيدُ وَبَعَثَهُ سِرّاً، وقالَ لِلحُبَابِ: «لَا تُخْبِرْنِي بين أَحَدٍ مِن المُسلِمِين إلّا أَنْ تَرَى قِلّةً»، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَأَخْبَرَهُ خَالِيًا.

فقالَ لَهُ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: «ما رَأَيْت؟»

قالَ: رَأَيْتُ يا رسولَ الله عَدَدًا، حَزْرَتُهُمْ ثَلَاثَةَ آلَافٍ يَزِيدُونَ قَلِيلًا أو يَنْقُصُونَ قَلِيلًا، وَالخَيْلُ مِائَتَيْ فَرَسٍ، وَرَأَيْت دُرُوعًا ظَاهِرَةً حَزَرْتهَا سَبْعمِائَةِ دِرْعٍ.

قالَ: «هَلْ رَأَيْت ظُعُنًا؟»

قالَ: رَأَيْتُ النّسَاءَ مَعَهُنّ الدّفَافُ وَالأَكْبارُ[١] .

فقالَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: «أَرَدْنَ أَنْ يُحَرّضْنَ القَوْمَ وَيُذَكّرْنَهُمْ قَتْلَى بَدْرٍ، هَكذا جاءَنِي خَبَرُهُمْ، لَا تَذْكُرْ مِنْ شَأْنِهِمْ حَرْفًا، حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، اللّهُمّ بِك أَجُولُ وَبِك أَصُولُ»[٢].

ومن شـــواهد ذلك عندما وجّه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أســـامة بن زيد بن حارثة إلى غزو أهل أُبْنَى[٣] قالَ له: يا أُسامَةُ سِرْ على اسْمِ الله وَبَرَكَتِـــهِ حَتّى تَنْتَهِيَ إلى مَقْتَـــلِ أَبِيك، فَأَوْطِئْهُمُ الخَيْـــلَ، فَقَدْ وَلّيْتُك على هذا الجيْشِ، فَأَغِرْ صَباحًا على أَهْلِ أُبْنَى، وَحَرّقْ عَلَيْهِمْ، وَأَسْرِعِ السّيْرَ تَسْبِقِ الخَبَرَ، فَإِنْ أَظْفَـــرَك اللهُ فَأَقْلِلِ اللّبْثَ فِيهِمْ، وَخُذْ مَعَـــك الأَدِلّاءَ، وَقَدّمِ العُيونَ أَمامَك وَالطّلَائِعَ[٤].

ومن الأمثلة على ذلك أيضاً ما رواه أحمد وابن حبان وغيرهما عنْ عبد الله

---

(١) الطّبُولَ.

(٢) مغازي الواقدي ١/ ٢٠٨.

(٣) هذه السرية كانت في آخر حياة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ولم يستطع أسامة الخروج بها مباشرة لاشتداد المرض على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثم وفاته، ثم خرج أسامة رضي الله عنه بأمر أبي بكر رضي الله عنه.
والمكان الذي وصل إليه أسامة هو ناحية مقتل أبيه زيد رضي الله عنهما في أُبنى وهي قرية عند مؤتة. الروض الأنف ٧/ ٥١١.
الإحداثيات: "٣١°٣'٥٧,٦٩"٣٥°٤١'٤٤,٥٠

(٤) مغازي الواقدي ١/ ١١١٧.

ابنِ أُنَيْسٍ أنه قالَ: دَعاهُ رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقالَ: «إِنَّهُ قد بَلَغَنِي أَنَّ خالد بنَ سُفْيانَ بنَ نُبَيْحٍ الهُذَلِيَّ جَمَعَ لِيَ النَّاسَ لِيَغزُوَني وَهُوَ بِنَخْلَةَ(١) أو بِعُرَنَةَ(٢) فَأْتِهِ».

قالَ: قُلْتُ: يا رسولَ الله! انْعَتْهُ لِي حَتَّى أَعْرِفَهُ؟

قالَ: «آيَةُ ما بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ؛ أَنَّكَ إذا رَأَيْتَهُ وَجَدْتَ لَهُ قُشَعْرِيرةً».

قالَ: فَخَرَجْتُ مُتَوَشِّحًا بِسَيْفِي حَتَّى دُفِعْتُ إِلَيْهِ، وَهُوَ في ظُعُنٍ يَرْتَادُ لَهُنَّ مَنْزِلاً حِينَ كانَ وَقْتُ العَصْرِ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ وَجَدْتُ ما وَصَفَ لِي رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم مِنَ القُشَعْرِيرةِ..(٣).

* * *

(١) نَخْلَة: لعلها النخلة اليمانية، وتقع قبل ميقات قرن المنازل (السيل الكبير) نحو ٩كم، على طريق مكة الطائف، قبيل الطائف بنحو ٣٥كم.

الإحداثيات: "٢١°٣٨'٣١,٤٢ "٤٠°٢٠'٥٦,٥٤

(٢) وادي عرنة: يمرّ بطرف عرفة من الغرب عند مسجد نمرة، جنوب مكة المكرمة.

الإحداثيات: "٢١°٢٠'٣٨,١٤ "٣٩°٥٦'٤٥,٧٤

(٣) القصة: تقدّم ذكرها وهي في مسند أحمد بن حنبل رقم ١٦٠٩٠، وصحيح ابن حبان رقم ٧١٦٠.

القاعدة الستون
أفضل الجهات في الحرب

قال الله عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ..﴾ [التوبة: ١٢٣].

لقد فرض الله تعالى على المسلمين جهاد المشركين، وبيَّن أن أولى الجهات وأهمها في الجهاد هو قتال المشركين الأقربين إلى ديار المسلمين؛ لسببين اثنين:

الأول: إن المسلمين إذا قووا على جهادهم وجهاد غيرهم كانوا على جهاد من قَرُب منهم أقوى.

الثاني: إن نكاية مَن قَرُب مِن المسلمين بهم أكثر مِن نكاية مَن بَعُد، فكان جهاد هؤلاء أولى من غيرهم .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى عند شرح الآية السابقة: أمر الله تعالى المؤمنين أن يقاتلوا الكفار أولاً فأولاً الأقرب فالأقرب، فالأقرب إلى حوزة الإسلام، ولهذا بدأ رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ بقتال المشركين في جزيرة العرب، ثم شرع في قتال أهل الكتاب، فتجهّز لغزو الروم الذين هم أقربُ الناس إلى جزيرة العرب، وهم أولى الناس بالدعوة إلى الإسلام لكونِهم أهل الكتاب، فبلغ تبوك، وكان ذلك سنة تسع من هجرته عليه السلام[1].

وكان رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يُحدّد الجهة المقصودة في

(١) تفسير ابن كثير ٤/ ٢٠٨.

جهاده، ويختار لها الطريق الأنسب، ويصل إلى عدوّه في وقت لا يشعر العدوّ بوصوله كالليل مثلاً، فلا يعلم عدوّه بتوجهه إليه، ولا بوقت وصوله، ولا بمكان تمركُزِه أول ما يتمركز؛ حتى لا يسبقه عدوّه إلى المكان، وبذلك يحقّق عنصر المباغتة، وهذا ما حدث في فتح مكة المكرمة، فقد استغرق معه الطريق بضعة أيام، وخلال كل تلك الفترة لم يَصِلْ إلى قريش خبر واحد في توجّه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إليهم، ومن الشواهد على ذلك أيضاً ما حدث في فتح خيبر، فلم يشعر اليهود إلا والنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قد نزل ديارهم، على الرغم من أنَّ المسافة بين المدينة وخيبر ١٥٠كم، ويحتاج الجيش من المدّة لقطع هذه المسافة نحو أربعة أيام.

ومن عظيم تخطيطه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه كان يسوقُ عدوّه إلى الأرض التي يختارها هو ليقاتله عليها، كما صار في غزوة أُحُد.

ومن الشواهد على ما سبق ما رواه الشيخان عن أنس رضي الله عنه أنه قال: إنَّ النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ كانَ إذا غَزا بِنا قَوْمًا، لَمْ يَكُنْ يَغْزو بِنا حَتَّى يُصْبِحَ وَيَنْظُرَ، فَإِنْ سَمِعَ أَذانًا كَفَّ عَنْهُمْ، وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ أَذَانًا أَغارَ عَلَيْهِمْ، قالَ: فَخَرَجْنَا إلى خَيْبَرَ، فَانْتَهَيْنَا إِلَيْهِمْ لَيْلاً، فَلَمّا أَصْبَحَ وَلَمْ يَسْمَعْ أَذَانًا رَكِبَ، وَرَكِبْتُ خَلْفَ أَبِي طَلْحَةَ، وَإِنَّ قَدَمِي لَتَمَسُّ قَدَمَ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ.

قالَ: فَخَرَجُوا إِلَيْنَا بِمَكاتِلِهِمْ وَمَساحِيهِمْ، فَلَمّا رَأَوُا النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، قالوا: مُحَمَّدٌ[١] وَاللهِ، مُحَمَّدٌ[٢] وَالخَمِيسُ.

---

(١) صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

(٢) صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

قَالَ: فَلَمّا رَآهُمْ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ قالَ: «اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إذا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ ﴿فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ [الصافات: ١٧٧]»[1].

❊ ❊ ❊

(١) صحيح البخاري رقم٥٨٥، وصحيح مسلم رقم ١٣٦٥.

قوله: «مكاتلهم ومساحيهم» والمكاتل: جمع مكتل، وهو الزنبيل والقفة، والمساحي: المجارف من حديد. وقوله: «الخميسُ» الجيش، سُمّي به لأنه مَقْسوم بخَمْسة أقسام: المُقَدّمة، والسَّاقة، والميْمنَة، والمَيْسرة، والقَلْب.

القاعدة الحادية والستون
المعرفة التامة بعتاد العدو وعُدَّته ومكانه

قال الله تعالى: ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا..﴾ [الأنفال: ٤٢].

كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يدرس مواقع العدوّ، ويتوخى الحيطة والحذر، ويقدّر عدّة العدوّ وعتاده، وفي بعض الأحيان يباشر بنفسِه الكريمة العمليَّة الاستخباراتية، فيُلْجِئُ عدوَّه إلى أسوأ المناطق، لإيقاع الكيد به وإحلال التَّشَرذُم فيه.

ومن الأمثلة على ذلك؛ ما قالَه ابن هشام رحمه الله تعالى أثناء حديثه عن غزوة بدر: نزل رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ قريباً من بدر، فركب هو وأبو بكر الصِّديق رضي الله عنه حَتّى وَقَفَ على شَيْخٍ مِن العَرَبِ، فَسَأَلَهُ عن قُرَيْشٍ، وَعَنْ مُحَمّدٍ وَأَصْحابِهِ وَما بَلَغَهُ عَنْهُمْ.

فقالَ الشّيْخُ: لَا أُخْبِرُكُما حَتّى تُخْبِراني مِمّنْ أَنْتُمَا؟

فقالَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: «إِذَا أَخْبَرْتنا أَخْبَرْناك».

قالَ: أَذاكَ بِذاكَ؟

قالَ: «نَعَمْ».

قالَ الشّيْخُ: فَإِنَّهُ بَلَغَني أَنّ مُحَمّدًا وَأَصْحابَهُ خَرَجوا يَوْمَ كَذا وَكَذا، فَإِنْ كانَ صَدَقَ الّذِي أَخْبَرَني، فَهُمُ اليَومَ بِمَكانِ كَذا وَكَذا، لِلْمَكانِ الّذِي بِهِ رسولُ الله

صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، وَبَلَغَنِي أَنّ قُرَيْشًا خَرَجوا يَوْمَ كَذا وَكَذا، فَإِنْ كانَ الّذِي أَخْبَرَني صَدَقَني فَهُمُ اليَومَ بِمَكانِ كَذا وَكَذا لِلْمَكانِ الّذِي فِيهِ قُرَيْشٌ، فَلَمّا فَرَغَ مِنْ خَبَرِهِ قالَ: مِمّنْ أَنْتُمَا؟

فقالَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: «نَحْنُ مِنْ ماءٍ»، ثُمّ انْصَرَفَ عَنْهُ.

قالَ: يَقُولُ الشّيْخُ: «ما مِنْ ماءٍ، أَمِنْ ماءِ العِراقِ؟!»

ثُمّ رَجَعَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ إلى أصحابِهِ، فَلَمّا أَمْسَى بَعَثَ عَلِيَّ بنَ أَبِي طالِبٍ، وَالزّبَيْرَ بنَ الْعَوّامِ، وَسَعْدَ بنَ أَبِي وَقّاصٍ، في نَفَرٍ مِنْ أصحابِهِ إلى مَاءِ بَدْرٍ، يَلْتَمِسُونَ الخَبَرَ لَهُ عَلَيْهِ.. فَأَصابوا راوِيَةً[1] لِقُرَيْشٍ، فِيها أَسْلَمُ غُلَامُ بَنِي الحَجّاجِ، وَعَرِيضٌ أَبو يَسَارٍ غُلَامُ بَنِي العاصِ بنِ سَعِيدٍ، فَأَتَوْا بِهِمَا فَسَأَلُوهُمَا، وَرَسُولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ قَائِمٌ يُصَلّي، فَقَالَا: نَحْنُ سُقَاةُ قُرَيْشٍ، بَعَثُونا نَسْقِيهِمْ مِنَ المَاءِ فَكَرِهَ القَوْمُ خَبَرَهُما، وَرَجوْا أَنْ يَكُونا لِأَبِي سُفْيَانَ فَضَرَبُوهُما، فَلَمّا أَذْلَقُوهُما[2] قَالاَ: نَحْنُ لِأَبِي سُفْيانَ، فَتَرَكُوهُما.

وَرَكَعَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ وَسَجَدَ سَجْدَتَيْهِ، ثُمّ لمَّا انتهى مِنْ صلاتِه قالَ: «إذا صَدَقاكُمْ ضَرَبْتُمُوهُما، وإذا كَذَباكُمْ تَرَكْتُمُوهُما، صَدَقا والله إنّهُما لِقُرَيْش.

أَخْبِرانِي عن قُرَيْشٍ؟»

قَالَا: هُمْ والله وَرَاءَ هذا الكَثِيبُ الّذِي تَرَى بِالعُدْوةِ القُصْوى، وَالْكَثِيبِ: العَقَنْقَلُ[3].

---

(١) مَنْ يأتي بالماء لسقاية الناس.

(٢) الجهد والقلق.

(٣) الرمل الكثير المتراكم.

فقالَ لَهُمَا رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: «كَمِ القَوْمُ؟»

قالَا: كَثِيرٌ.

قالَ: «ما عِدّتُهُمْ؟»

قالَا: لَا نَدْرِي.

قالَ: «كَمْ يَنْحَرونَ كُلّ يَوْمٍ؟»

قَالَا: يَوْمًا تِسْعًا، وَيَوْمًا عَشْرًا.

فقالَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: «القَوْمُ فِيما بين التّسْعِمِئةِ وَالأَلْفِ».

ثُمّ قالَ لَهُمَا: «فَمَنْ فِيهِمْ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ؟»

قالَا: عُتْبَةُ بنُ رَبِيعةَ، وَشَيْبَةُ بنُ رَبِيعةَ، وَأَبُو البَخْتَرِيّ بنُ هِشامٍ، وَحَكِيمُ ابنُ حِزَامٍ، وَنَوْفَلُ بنُ خُوَيْلِدٍ، وَالحارِثُ بنُ عَامِرِ بنِ نَوْفَلٍ، وَطُعَيْمَةُ بنُ عَدِيّ بنِ نَوْفَلٍ، وَالنّضْرُ بنُ الحارِثِ، وَزَمَعَةُ بنُ الأَسْوَدِ، وَأَبُو جَهْلِ بنُ هِشامٍ، وَأُمَيّةُ بنُ خَلَفٍ، وَنُبَيْهٌ وَمُنَبّهٌ ابْنا الحَجّاجِ، وَسُهَيْلُ بنُ عَمْرٍو، وَعَمْرُو بنُ عبد وُدّ.

فَأَقْبَلَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ على النّاسِ فقالَ: «هَذِهِ مَكّةُ قد أَلْقَتْ إلَيْكُمْ أَفْلَاذ كَبِدِهَا»[1].

ومما يستفاد من هذا الحديث: شجاعة النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، والتمويه عن النفس، وجواز التعريض، والشحن المعنوي للمقاتلين.

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٦١٦.

وقوله: «أفلاذ كبدها» يريد أشرافها، يعني: معظمهم وأكثرهم.

القاعدة الثانية والستون
استغلال الظروف الجوية

قال الله تعالى: ﴿..وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨١].

استغلال الظروف الجويّة في أرض المعركة، يعني: إجراء القتال في وقت يتناسب مع الطقس من حرٍّ أو برودة أو هبوب رياح، أو مع الاتجاهات الغربية أو الشرقية، كاستقبال شمس واستدبارها، واستغلال وجود غيم، وما أشبه ذلك.

ومن الشواهد على ذلك؛ ما رواه الشيخان رحمهما الله عن عبد الله بن أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُما: أنَّ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ في بَعْضِ أَيَّامِهِ الَّتِي لَقِيَ فِيها، انْتَظَرَ حَتَّى مالَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ قامَ في النَّاسِ خَطِيبًا قالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، لا تَتَمَنَّوْا لِقاءَ العَدُوِّ، وَسَلُوا اللهَ العافِيَةَ، فإذا لَقِيتُمُوهُمْ فاصْبِروا، وَاعْلَموا أَنَّ الجَنَّةَ تَحْتَ ظِلالِ السُّيُوفِ».

ثُمَّ قالَ: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتابِ، وَمُجْرِيَ السَّحابِ، وَهازِمَ الأَحْزابِ، اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنا عَلَيْهِمْ»[1].

فكان صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ إذا لم يقاتل أول النهار انتظر حتى تزول الشمس، والمعروف أن النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ كان معظم قتاله بعد صلاة الصبح، لكنه كان يؤخِّر القتال أحياناً حتى تزول الشمس لحاجة الحرب،

(١) صحيح البخاري رقم ٢٩٦٥، وصحيح مسلم رقم ٤٦٤٠.

أو لجهد أصحابه حتى يأخذ الصحابة رضوان الله عليهم قسطاً من الراحة أو غير ذلك، ويكون أمكن للقتال، فإنه وقت هبوب الريح ونشاط النفوس، وكلَّما طالَ ازدادوا نشاطاً وإقداماً على عدوّهم، وقد يكون القتال بعد الزَّوال أضعف في حقّ عدوّهم، لما فيه مِنْ شدَّة الحرِّ مقارنة بوقت الصباح، وقد جاء في صحيح البخاري: أنه كانَ إذا لَمْ يُقَاتِلْ في أَوَّلِ النَّهَارِ، انْتَظَرَ حَتَّى تَهُبَّ الأَرْواحُ، وَتَحْضُرَ الصَّلَواتُ[1]، وسببه: فضيلة أوقات الصلوات والدعاء عندها[2].

وكان صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يستفيد من الظروف الطبيعية أثناء قتال العدوّ، لمصلحة جيشه، ومن الأمثلة على ذلك؛ ما فعله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ قبل بدء القتال يوم بدر، فقد أصبح ببدر قبل أن تنزل قريش، فطلعت الشمس وهو يَصُفُّهُم، فاستقبل المغرب وجعل الشمس خلفه، فاستقبلَ المشركون الشمسَ فصارت في وجوههم.

❊ ❊ ❊

(١) صحيح البخاري رقم ٣١٦٠.
(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ٦/ ١٨٤.

القاعدة الثالثة والستون
السِّرِّيّة التّامّة في التخطيط العسكريّ

قال الله تعالى: ﴿..وَخُذُواْ حِذۡرَكُمۡ..﴾ [النساء: ١٠٢].

السِّرِّيَّة: تعني إخفاء الخطط العسكرية، والتحركات المكانية والزمانية عن العدوّ، وكذا إخفاء العدّة والعتاد عن العدوّ، لتحقيق عنصر المباغتة في حقّ العدوّ، وهذا من أنواع أخذ الحذر المأمور به في الآية السابقة.

ومن الشواهد على السِّرِّيَّة في الجهاد ما قاله ابن هشام رحمه الله تعالى أثناء حديثه عن الاستعداد لفتح مكة: وأَمَرَ رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ بالجهاز، وأمر أهله أن يجهِّزوه، فدخل أبو بكر رضي الله عنه على ابنتِه عائشة رضي الله عنها، وهي تحرّك بعض جهاز رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فقال: أيْ بُنيّةُ: أَأَمَرَكُمْ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ أنْ تجهّزوه؟

قالت: نعم، فتجهّز.

قال: فأينَ ترينَهُ يريدُ؟

قالت: لا والله ما أدري.

ثم إن رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ أعلمَ الناسَ أنه سائرٌ إلى مكة وأمرَهم بالجِدِّ والتهيُّؤ، وقال: «اللهمَّ خُذِ العيونَ والأخبارَ عن قريشٍ حتى نَبْغَتَها في بلادِها»، فتجهّز الناس[1].

---

(١) السيرة النبوية ٥/ ٥٢، وتاريخ الطبري ٢/ ١٥٥.

ورغم كلّ الاحتياطات في التعمية عن قريش في أن لا يَصِلَ خبر غزو النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ إليهم يوم فتح مكة، إلا أنّ أحد الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين كتب بالخبر إلى قريش؛ وهو حاطبُ بن أبي بَلْتَعَة رضي الله عنه يخبرهم بمجيئه، لكن النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ عفا عنه لأنه كان بَدريّاً.

وإليكم القصّة كما رواها البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى: عن عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قالَ: بَعَثَني رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ، والزُّبَيْرَ ابنَ العَوَّام، وَأَبَا مَرْثَدٍ الغَنَوِيَّ، وَكُلُّنا فارِسٌ، فقالَ: «انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خاخٍ[1]، فَإِنَّ بِها امْرَأَةً مِنَ المُشْرِكِينَ، مَعَها صَحِيفَةٌ مِنْ حاطِبِ بنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إلى المشرِكِينَ».

قالَ: فَأَدْرَكْناها تَسِيرُ على جَمَلٍ لَها حَيْثُ قالَ لَنا رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

قالَ علي رضي الله عنه: قُلْنَا: أَيْنَ الكِتَابُ الَّذِي مَعَكِ؟

قالَتْ: ما مَعي كِتابٌ، فَأَنَخْنا بِها، فَابْتَغَيْنا في رَحْلِها، فَما وَجَدْنا شَيْئًا، قالَ صاحِبايَ: ما نَرَى كِتابًا.

قالَ علي: قُلْتُ: لَقَدْ عَلِمْتُ ما كَذَبَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ، والَّذي يُحْلَفُ بِهِ، لَتُخْرِجِنَّ الكِتابَ أو لأُجَرِّدَنَّكِ.

---

(١) روضة خاخ: موضع قرب جبل حمراء الأسد من المدينة المنورة، بعد ذي الحليفة للمتّجه من المدينة المنورة إلى ينبع.
الإحداثيات: "٦٣ ,٠ '٣١ °٣٩ "٠٨ ,٢٩ '٢٢ °٢٤

قالَ: فَلَمَّا رَأَتِ الجِدَّ مِنِّي، أَهْوَتْ بِيَدِها إلى حُجْزَتِها، وَهِيَ مُحْتَجِزَةٌ بِكِساءٍ، فَأَخْرَجَتِ الكِتابَ.

قالَ: فَانْطَلَقْنا بِهِ إلى رسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ.

فقالَ: «ما حَمَلَكَ يَا حَاطِبُ على ما صَنَعْتَ؟!»

قالَ: ما بِي إِلَّا أَنْ أَكُونَ مُؤْمِنًا بِالله وَرَسولِهِ، وَمَا غَيَّرْتُ، ولا بَدَّلْتُ، أَرَدْتُ أَنْ تَكُونَ لِي عِنْدَ القَوْمِ يَدٌ يَدْفَعُ اللهُ بِها عن أَهْلي وَمالِي، وَلَيْسَ مِنْ أَصْحابِكَ هُناكَ إِلَّا وَلَهُ مَنْ يَدْفَعُ اللهُ بِهِ عن أَهْلِهِ وَمالِهِ.

قالَ: «صَدَقَ، فَلا تَقولوا لَهُ إِلَّا خَيْراً».

قالَ: فقالَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ: إِنَّهُ قد خانَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالمؤْمِنِينَ، فَدَعْنِي فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ؟

قالَ: فقالَ: «يا عُمَرُ، وَمَا يُدْرِيكَ، لَعَلَّ اللهَ قَدِ اطَّلَعَ على أَهْلِ بَدْرٍ، فقالَ: اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ، فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمُ الجَنَّةُ».

قالَ: فَدَمَعَتْ عَيْنا عُمَرَ، وَقالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ[1].

❊ ❊ ❊

(١) صحيح البخاري رقم ٣٩٨٣، وصحيح مسلم ٦٥٥٧.

القاعدة الرابعة والستون
تحضير فِرَقِ الإنقاذ والفرق الطبية

قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ..﴾ [الأنفال: ٦٠].

وقال تعالى: ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْ ۖ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٧].

إن من كمال الإعداد في سبيل الله تحضير كلّ ما يلزم الجيش في مسيره غير العتاد والسلاح، فقد كانَ يسير مع جيش رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ فِرَق تقوم على خدمة الجيش من نواحٍ عدّة؛ كتجهيز الطعام، ومداواة الجرحى، وقد جعل الله التقصير في مساعدة الجيش بأي مساعدة ممكنة من علامات النفاق كما في الآية الثانية.

ولم تقتصر هذه الفِرَق على جنس الرجال، بل شاركت في ذلك الصحابيات الجليلات.

ومن الأمثلة على ذلك ما رواه البخاري رحمه الله تعالى عن رُبَيِّعَ بِنْتِ مُعَوِّذِ بنِ عَفْراءَ، قالَتْ: كُنَّا نَغْزُو مَعَ رسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، نَسْقِي القَوْمَ وَنَخْدُمُهُمْ، وَنَرُدُّ القَتْلَى والجَرْحى إلى المَدِينَةِ[1].

وروى مسلم رحمه الله عن أُمِّ عَطِيَّةَ الأنصارِيَّةِ، قالَتْ: غَزَوْتُ مَعَ رسولِ الله

(١) صحيح البخاري رقم ٥٦٧٩.

صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ سَبْعَ غَزَواتٍ، أَخْلُفُهُمْ في رِحالِهِمْ، فَأَصْنَعُ لَهُمُ الطَّعامَ، وَأُداوِي الجرْحى، وَأَقُومُ على المَرْضى[١].

وقد كان للنبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم طبٌّ خاصٌّ يُطَبِّب به صحابته الكرام، إنه الطبّ النبويّ، إما بمسحةِ يده الشريفة، أو بتفلتِه الشريفة..، ومن ذلك ما أخرجه البخاري رحمه الله عن سَهْلِ بن سَعْدٍ رضي الله عنه قال: قال النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يوم خَيْبَرَ: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايةَ غَدًا رَجُلًا يُفْتَحُ على يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ».

فَبَاتَ الناس لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يعطي، فَغَدَوْا كلهم يَرْجُوهُ.

فقال: «أَيْنَ عَلِيٌّ؟».

فَقِيلَ: يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، فَبَصَقَ في عَيْنَيْهِ وَدَعا له، فَبَرَأَ، كَأَنْ لم يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ.

فقال: أُقَاتِلُهُمْ حتى يَكُونُوا مِثْلَنا؟

فقال: «انْفُذْ على رِسْلِكَ حتى تَنْزِلَ بِساحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إلى الإسلامِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عليهم، فَوالله لَأَنْ يَهْدِيَ الله بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لك من أَنْ يَكونَ لك حُمْرُ النَّعَمِ»[٢].

ولئن حُرِمنا مسحةً من يدِه الشريفة صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أو تفلة من فمِه الشريف صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فلقد أكرم الله هذه الأُمّة بطبٍّ

---

(١) صحيح مسلم رقم ١٤٢.

(٢) صحيح البخاري رقم ٢٧٨٣، ومسلم رقم ٢٤٠.

غير متوقّف إلى يوم القيامة، فقد أنزل الله تعالى الشفاء في أمور متعدّدة، ومن أهمها القرآن والرّقية الشرعية بالدعاء، قال الله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ..﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقال أيضاً: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

❊ ❊ ❊

القاعدة الخامسة والستون
تأمين الجبهات الداخلية

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ * لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٧-١٠٨].

لم تهدأ للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عينٌ مُذْ دخل المدينة المنورة، وكان بأس أعدائه من الداخل أشدَّ عليه من أعدائه من الخارج، إذِ اجتمع على عدائه أشدُّ الناس كفراً وهمُ اليهود، وأكثر الناس إذايةً وخديعة وهم المنافقون، وأجهل الناس وهم الأعراب.

ورُوي في أسباب نزول قول الله تعالى السابق: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا ..﴾ أنَّ أناساً منَ المنافقينَ، ابْتَنَوْا مَسْجِدًا، فقالَ لَهُمْ أَبو عامِرٍ الفاسق: ابْنُوا مَسْجِدًا وَاسْتَعِدُّوا بِما اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ سِلَاحٍ، فَإِنِّي ذاهِبٌ إلى قَيْصَرَ مَلِكِ الرُّومِ، فَآتِي بِجُنْدٍ مِنَ الرُّومِ وَأُخْرِجُ مُحَمَّدًا وَأَصْحابَهُ، فكانوا يقولون: إذا رجع أبو عامرٍ منْ عندِ قيصرَ منَ الرومِ صلى فيه لينتصرَ على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

فَلَمَّا فَرَغوا مِنْ مَسْجِدِهِمْ أَتَوُا النَّبِيَّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم يُخادِعونَه فَقالوا: قد فَرَغْنَا مِنْ بِناءِ مَسْجِدِنا، فَنُحِبُّ أَنْ تُصَلِيَ فِيهِ، وَتَدْعُوَ لَنا بِالبَرَكةِ، ففضحهم الله وأنْزَلَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ﴾ إلى ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ثم بعث النبيُّ صلى الله عليه

وعلى آله وسلم رجلَين لِيهدما عليهم المسجد وِيحَرِّقاه[١].

لذا كان النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ متيقّظاً لكلِّ ما يدور حوله من مكائد اليهود والمنافقين والأعراب، وكان أشدَّ التيقّظ عندما يكون في الجهاد، خوفاً على الجيش من اختراقه، ففي كلِّ مَسير كان النبيُّ صلّى الله عليه وسلم يُوكّل من الصحابة مَن يقومون بحراسة الجيش، وهكذا الأمر في حراسة المدينة المنورة من أن تُستباح من اليهود أو من المنافقين أو غيرهم.

ومن الشواهد على ذلك ما قاله الواقدي رحمه الله عن الحارِثِ بنِ الفُضَيْلِ قالَ: هَمّتْ بَنو قُرَيْظَةَ أَنْ يُغيروا على بَيْضَةِ المَدِينةِ لَيْلًا، فَأَرْسَلوا حُيَيّ بنَ أَخْطَبَ إلى قُرَيْشٍ أَنْ يَأْتِيَهُمْ مِنْهُمْ أَلْفُ رَجُلٍ وَمِنْ غَطَفَانَ أَلْفٌ فَيُغِيرُوا بِهِمْ، فَجاءَ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ الخَبَرُ بِذَلِكَ فَعَظُمَ البَلَاءُ، فكانَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يَبْعَثُ سَلَمَةَ بنَ أَسْلَمَ بنِ حَرِيشٍ الأَشْهَلِيّ في مِائَتَيْ رَجُلٍ وَزَيْدَ ابنَ حَارِثَةَ في ثَلَاثِمِائَةٍ يَحْرَسُونَ المَدِينَةَ، وَيُظْهِرُونَ التّكْبِيرَ وَمَعَهُمْ خَيْلُ المُسلِمِين فإذا أَصْبَحُوا أَمّنُوا.

فَكانَ أَبو بكرٍ الصّدّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ: لَقَدْ خِفْنا على الذّرَارِيّ بِالمَدِينةِ مِنْ بَني قُرَيْظَةَ أَشَدّ مِنْ خَوْفِنا مِنْ قُرَيْشٍ وَغَطَفانَ، وَلَقَدْ كُنْت أُوفِي على سَلْعٍ[٢] فَأَنْظُرُ إلى بُيُوتِ المَدِينةِ، فإذا رَأَيْتهمْ هَادِينَ حَمِدْتُ اللهَ عَزّ وَجَلّ، فكانَ مِمّا رَدّ اللهُ بِهِ قُرَيْظَةَ عَمّا أَرَادُوا أَنّ المَدِينةَ كَانَتْ تُحْرَسُ[٣].

---

(١) تفسير ابن كثير تحقيق سلامة ٤/ ٢١١.

(٢) هو جبل سلع، وهو المطلُّ على المساجد السبعة.
الإحداثيات: "٢٤°٢٨'٣٦,٠٩ "٣٩°٣٥'٤٥,٦٤

(٣) مغازي الواقدي ١/ ٤٦٠.

القاعدة السادسة والستون
هيكلة الجيش

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

هذه الآية تدلّ على لزوم تنظيم الجيش في جميع حالاته؛ أثناء المعارك وفي غيرها، والتنظيم يعني ترتيب الأولويات، والموازنة بين وحدات الجيش، والتقدير الزماني والمكاني لكلِّ ما له علاقة بالجيش.

فكان النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ يُعيّن العُرفاء على الكتائب، أثناء مسيرهم وأثناء قتالهم، ويعيِّن موقع كلّ كتيبة في أرض المعركة، وينظِّم صفوف القتال كتنظيمه لصفوف المصلّين في الصلاة، ويُقدّم الكتائب الاستطلاعية، ويقوم على تعيين كلّ شخص في مكانه الملائم له.

ومن نماذج الترتيب في تنظيم المسير ما رواه أبو داود وغيره عن أبي ثَعْلَبَةَ الخُشَنِيّ أنه قال: كان الناس إذا نَزَلَ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم مَنْزِلًا[1] تَفَرَّقُوا في الشِّعابِ والأَوْدِيةِ.

فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إِنَّ تَفَرُّقَكُمْ في هذه الشِّعابِ والأَوْدِيةِ إنما ذَلِكُمْ من الشَّيْطانِ»، فلم يَنْزِلْ بَعْدَ ذلك مَنْزِلًا إلا انْضَمَّ

(١) للاستراحة.

بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ، حتى يُقالَ: لو بُسِطَ عليهم ثَوْبٌ لَعَمَّهُمْ[١].

وعن مُعاذِ بن أَنَسٍ الجهَنِيِّ أنه قال: غَزَوْتُ مع نَبِيِّ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم غَزْوةَ كَذا وَكَذا، فَضَيَّقَ الناس المَنازِلَ، وَقَطَعُوا الطَّرِيقَ، فَبَعَثَ نَبِيُّ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم مُنَادِيًا يُنَادِي في الناس أَنَّ مَن ضَيَّقَ مَنْزِلًا أو قَطَعَ طَرِيقًا فلا جِهادَ له[٢].

وأما عن تقسيم جيش النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فكان يُقسم إلى خمسة أقسام، على النحو التالي:

١ـ المقدّمة: وهي التي تكون أمام الجيش، وتكون في طليعة القلب، ويكون فيها الفرسان والرجَّالة، ويكون معهم الراية والشِّعار، ويُبدأ بهمُ القتال، بعد أن يقوم النَّشَّابة برشق الأعداء بالسهام.

روى البخاري رحمه الله عن أَبِي أُسَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قالَ: قالَ لَنا رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ يَوْمَ بَدْرٍ: «إذا أَكْثَبُوكُمْ ـ يَعْنِي كَثَرُوكُمْ ـ فَارْمُوهُمْ، وَاسْتَبْقُوا نَبْلَكُمْ»[٣].

٢ـ القلب: وهو الذي يكون في وسط الجيش، ويكون قائد الجيش فيه ومعه المستشارون والوزراء، ويكون الحُماة مِن حوله لحمايتِه، ومهمّته الإشراف على جميع تحرّكات الجيش وتوجيهها، ومساعدة المَيْمَنةِ والمَيْسَرة،

---

(١) سنن أبي داود رقم٢٦٢٨.
(٢) سنن أبي داود رقم٢٦٢٩.
(٣) صحيح البخاري رقم ٣٩٨٥.

ولا يتحرّك في اتباع العدوّ إلا إذا هرب، أو يتحرّك لدفع عدوّه إذا أقبل عليه.

٣ـ الميمنة: وهي التي تكون على يمين القلب، ومهمّتها أن يبدؤوا بالحملة على مَيسرة عدوّهم، ليزيلوهم عن مراكزهم لإحداثِ الخلل في جيش العدوّ، ويكون أكثرهم من الفرسان.

٤ـ الميسرة: وهي التي تكون على يسار القلب، ومهمّتها الثباتُ في أماكن تمركُزهم، ومنع الأعداء من اختراق الجيش، وليس مهمّتهم الهجوم إلا إذا اضطروا إلى ذلك اضطراراً ملزماً.

٥ـ السّاقة: وهم الذين يكونون في مؤخّرة الجيش، ومهمّتهم الأساسية حماية الجيش من الخلف حتى لا تتزعزع صفوفه الأماميّة، ويقومون بجمع ما يخسره العدوّ، ويكون معهم مُؤن الجيش وما يحتاجُه مِن عَتاد[١].

هذه هي الأقسام الأساسية للجيش، وقد تكون هناك فِرَق أُخرى ولها مهمّات كالاستطلاع والتقدّم أمام الجيش لكشفِ الأخبار والأحوال عن تحرّكات العدوّ، أو حماية الجيش من مَنْفَذٍ قد يأتي العدوّ منه، كفِرقةِ الرُّماة الذين وضعَهم النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم على جبلِ الرّماة يوم غزوة أُحُد.

قال ابن هشام رحمه الله أثناء حديثه عن غزوة أُحُد:.. ومضى رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ حتى نزل الشِّعبَ من أُحُد، في عدوة الوادي[٢]

---

(١) صيد الذاكرة الباصرة من آثار الوطن الحبيب: قائمة أو داثرة. د. تنضيب الفايدي ص١٨٤.
(٢) أي جانب الوادي.

إلى الجبل، فجعل ظهرَه وعسكرَه إلى أُحُد، وقال: «لا يقاتلنَّ أحدٌ منكم حتى نأمرَه بالقتالِ».

وأمَّر على الرّماة عبد الله بن جُبير رضي الله عنه، وهو مُعْلَمٌ يومئذ بثياب بيض، والرّماة خمسون رجلاً، فقال: «انضحِ الخيلَ عنَّا بالنَّبلِ، لا يأْتُونا من خلْفِنا، إنْ كانتْ لنا أو علينا، فاثبتْ مكانَك لا نُؤْتَيَنَّ من قِبَلِكَ»[1].

❊ ❊ ❊

(١) سيرة ابن هشام ٤/ ١٢، يراجع القيادة العسكرية في عهد الرسول صلى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلمَ للدكتور عبد الله محمد الرشيد ص٤٢٤.

القاعدة السابعة والستون
تحصين الجند

قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل: ٨١].

إنَّ من أكبر مهمّات القائد في الحفاظ على حياة جنده هو تحصينُ جنوده في لباسهم وسلاحهم من أَذيّة الأعداء، وهذا له أشكال متعدّدة بعضُها يتعلّق بالجنديّ كلباسه، وبعضُها خارجة عنه كالستائر الترابية أو الحديدية.

وقد يكون بصناعة الأكنان أو المخابئ في الجبال حيث يحتمي بها الجنود، وما يملكونه من عتاد، فلا تصيبهم نيران العدوّ، كما توحي بذلك الآية السابقة.

فيلزم أن يكون لباس الجند من دروع وغيرِها مانعاً من أن يصل ضرر سلاح العدوّ إليه في الحرب، وهذا ما امتنَّ الله به على عباده في الآية السابقة؛ لأنه هو الذي علم الإنسان وألهمه كيف يتحصَّن من عدوّه.

ولقد جاء التصريح بفضل الله تعالى ومِنَّتِه على داود عليه السلام عندما علّمه صناعة اللباس الذي يحمي المقاتل من ضرر سلاح العدوّ، وهذه الصنعة استفادت منها البشرية، فقال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٨٠].

وكان من أساليب تحصين الصحابة يوم غزوة الأحزاب في مواجهة ضرباتهم،

أن جعل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم التراب النَّاتِجَ عن حفرِ الخندقِ إلى جهة المدينة؛ ليحقّق ارتفاعاً أكبرَ له، ويكون ساتراً طبيعيّاً يحميهم من ضربات المشركين.

وأما عن مظاهر حماية الأجساد باللباس المدعّم بالدروع والحِلَق الحديدية فحَدِّث ولا حرج، فكان النبي صلى الله عليه وعلى آله سلم أحياناً يلبس دِرْعَين، لتأمينِ حماية أكبر لجسدِه الشريف؛ كما فعل في غزوةِ أُحُد، وقد جاء وصف لباس النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم وصحابته في حديث العباس مع أبي سفيان رضي الله عنهما يوم فتح مكة..

حيث قالَ رضي الله عنه: وَيْحَكَ يا أَبا سُفْيَانَ، أَسْلِمْ، وَاشْهَدْ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رسولُ الله، قَبْلَ أَنْ تُضْرَبَ عُنُقُكَ، قالَ: فَشَهِدَ بِشَهادةِ الحَقِّ وَأَسْلَمَ.

قُلْتُ: يا رسولَ الله، إِنَّ أَبا سُفْيانَ رَجُلٌ يُحِبُّ هذا الفَخْرَ، فَاجْعَلْ لَهُ شَيْئًا.

قالَ: نَعَمْ؛ مَنْ دَخَلَ دارَ أَبِي سُفْيانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ بابَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ المَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ، فَلَمَّا ذَهَبَ لِيَنْصَرِفَ، قالَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: يا عَبَّاسُ، احْبِسْهُ بِمَضِيقِ الوادي عِنْدَ خَطْمِ الجبَلِ[1]، حَتَّى تَمُرَّ بِهِ جُنُودُ الله فَيَراها.

قالَ: فَخَرَجْتُ بِهِ حَتَّى حَبَسْتُهُ حَيْثُ أَمَرَنِي رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ أَنْ أَحْبِسَهُ قالَ: وَمَرَّتْ بِهِ القَبائِلُ على راياتِها، كُلَّمَا مَرَّتْ قَبِيلَةٌ، قالَ: مَنْ هَؤُلاءِ؟ فَأَقُولُ: سُلَيْمٌ، فَيَقُولُ: ما لِي وَلِسُلَيْم؟ قالَ: ثُمَّ تَمُرُّ القَبِيلَةُ، قالَ: مَنْ هَؤُلاءِ؟ فَأَقُولُ: مُزَيْنَةُ، فَيَقُولُ: ما لِي وَلِمُزَيْنَةَ؟ حَتَّى تَعَدَّتِ القَبائِلُ لا تَمُرُّ قَبِيلَةٌ إِلا

(١) تقدم بيان هذا المكان تحت عنوان: السياسة الحربية في إدخال الرهبة والخوف في قلب العدو.

قال: مَنْ هَؤُلاءِ؟ فَأَقُولُ: بنو فُلانٍ، فَيَقُولُ: مَا لِي وَلِبَني فُلانٍ، حَتَّى مَرَّ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في الخَضْراءِ؛ كَتِيبَةٌ فِيها المُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ لا يَرَى مِنْهُمْ إِلا الحَدَقَ[1]، قالَ: سُبْحَانَ الله، مَنْ هَؤُلاءِ يَا عَبَّاسُ؟ قُلْتُ: هذا رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في المُهاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، قالَ: ما لِأَحَدٍ بِهَؤُلاءِ قِبَلٌ وَلا طاقَةٌ، والله يَا أَبَا الفَضْلِ، لَقَدْ أَصْبَحَ مُلْكُ ابنِ أَخيكَ الغَداةَ عَظيمًا، قُلْتُ: يا أَبا سُفْيانَ، إِنَّهَا النُّبُوَّةُ، قالَ: فَنَعَمْ إِذَنْ[2].

* * *

(١) أي العيون.

(٢) المعجم الكبير للطبراني رقم ٧١١٥.

القاعدة الثامنة والستون
اختبار كفاءة الجند

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

الكفاءة الحربية للجند: تعني التجهيز المادي والمعنوي من سلاح وعتاد ومعنويات، ومعرفة مدى قدراتهم القتالية الفورية والمستقبلية، وقد كان من دأب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قبل خوض أي معركة أن يقوم على تفقُّدِ جاهزية جيشه، ينظم الصفوف، ويُعدّل القوى في موازنة الجيش، ويتفقّد الأقوياء ويضعهم في مكانهم الصحيح، ويتفقّد الضعفاء، ويرتّب أحوالهم للحفاظ على أرواحهم، وإن لم يكن بالمقاتل قدرة على القتال ردَّه، ولم يسمح له بخوض المعركة.

ومن أساليب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في انتقاءِ المقاتلين ممن يُشَكُّ في قدراتهم هو إجراء الاختبار الحربيّ عليهم، كالمصارعة والرماية.

ومن الشواهد على ذلك ما ذكره ابنُ هِشامٍ في معرض غزوة أُحُد قال: وَأَجازَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يَوْمئِذٍ سَمُرةَ بنَ جُنْدُبٍ الفَزارِيّ

وَرافِعَ ابنَ خَديجٍ، أَخا بَني حارِثةَ وَهُما ابنا خَمْسَ عَشْرةَ سَنةً وَكانَ قد رَدّهُما، فَقيلَ لَهُ: يا رسولَ الله إنّ رَافِعًا رَام، فأَجازَهُ، فَلَمّا أَجازَ رافِعًا، قِيلَ لَهُ: يا رسولَ الله فَإِنّ سَمُرَةَ يَصْرَعُ رافِعًا، فأَجازَهُ، وَرَدّ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ أُسامةَ ابنَ زَيْدٍ وَعَبْدَ الله بنَ عُمَرَ بنِ الخَطّابِ، وَزَيْدَ بنَ ثابِتٍ أَحَدَ بَنِي مالِكِ بنِ النّجّارِ، وَالبَراءَ بنَ عازِبٍ أَحَدَ بَنِي حارِثةَ، وَعَمْرَو بنَ حَزْمٍ أَحَدَ بَني مالِكِ بنِ النّجّارِ، وَأُسَيْدَ بنَ ظُهَيْرٍ أَحَدَ بَنِي حارِثةَ، ثُمّ أَجازَهُمْ يَوْمَ الخَنْدَقِ، وَهُمْ أَبْنَاءُ خَمْسَ عَشْرةَ سَنةً[1].

❊ ❊ ❊

(١) الروض الأنف ٣/ ٢٤٩.

القاعدة التاسعة والستون
تفقُّد الموارد الطبيعية

قال الله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: ١١].

الماء والطعام للجند والكلأ للدوابّ من أهم حاجات الجيش في ساحات الوغى، وهذا ما امتنَّ الله به على المسلمين يوم معركة بدر، حيث أنزل عليهم المطر ليطهّرهم به، كما يفهم من الآية السابقة، ثمَّ تمّم فضله عليهم بأن هداهم ليأخذوا أفضل المواقع في معركة بدر، بالاستيلاء على آبار بدر.

فكان من أعظم سياسة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في إدارة المعارك هو دراسة الأرض التي يحارب عليها، بكل ما تحويه من موارد طبيعية كمياه الآبار والينابيع، أو تضاريسية كمعرفة مواقع الجبال والوديان، وماذا عسى أن يستفيد منها.

وقد مرَّ معنا كيف قام النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ومعه أبو بكر الصّدّيق رضي الله عنه، بجولة استطلاعيَّة لميدانِ معركة بدر لمعرفة مكان نزول المشركين، ثم اختار مكان المعسكر عند آبار بدر بحيث يشرب المسلمون منها، ولا يشرب المشركون.

قال ابن هشـــام رحمه الله تعالى أثناء حديثه عن غزوة بدر: نزل رسول الله

صلَّــى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وســلَّمَ قريباً من بدر، فركب هو وأبــو بكر الصّدّيق رضي الله عنه حَتّى وَقَفَ على شَــيْخٍ مِن العَرَبِ، فَسَأَلَهُ عن قُرَيْشٍ، وَعَنْ مُحَمّدٍ وَأَصحابِهِ وَما بَلَغَهُ عَنْهُمْ.

فقالَ الشّيْخُ: لَا أُخْبِرُكُما حَتّى تُخْبِراني مِمّنْ أَنْتُما؟

فقالَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: إذا أَخْبَرْتنا أَخْبَرْناك.. [١].

ثم أخذ منه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلّم جميع المعلومات عن موطن نزول قريش ثم سأله الرجل، فقال: مِمَّن أنتما؟ فقال رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: "من ماء"، ثم انصرف عنه، ولم يُعطِه معلومة واحدة.

وذكر ابن هشام وغيره في غزوة بدر أَنّ الحُبابَ بنَ المُنْذِرِ بنِ الجَمُوحِ رضي الله عنه قالَ: يا رسولَ الله! أَرَأَيْتَ هذا المَنْزِلَ أَمَنْزِلًا أَنْزَلَكَهُ اللهُ لَيْسَ لَنا أَنْ نَتَقَدّمَهُ وَلَا نَتَأَخّرَ عَنْهُ، أَمْ هُوَ الرّأْيُ وَالحَرْبُ وَالمَكِيدةُ ؟

قالَ: بَلْ هُوَ الرّأْيُ وَالحَرْبُ وَالمَكِيدةُ؟

فقالَ: يا رسولَ الله، فَإِنّ هذا لَيْسَ بِمَنْزِلٍ، فَانْهَضْ بِالنّاسِ حَتّى نَأْتِيَ أَدْنَى ماءٍ مِن القَوْمِ، فَنَنْزِلَهُ ثُمّ نُغَوّرُ ما وَراءَهُ مِن القُلُبِ، ثُمّ نَبْنِي علَيهِ حَوْضًا فَنَمْلَؤُهُ ماءً، ثُمّ نُقاتِلُ القَوْمَ فَنَشْرَبُ وَلَا يَشْرَبونَ، فقالَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: «لَقَدْ أَشَرْتَ بِالرّأْيِ»[٢].

وفضلاً عن ذلك كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقوم بالإشراف

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٦١٦.
(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٦٢٠.

الصحي على موارد المياه، حتى لا يتضرّر أحد من الجند بالماء، كأن يكون بالماء ضرر؛ من تلوث أو غيره، وقد عُرِضَ عليه صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوم أُحُدٍ ماءٌ قد تغَيَّر طعمه فلم يشرب منه.

ومن الشواهد على ذلك ما رواه مسلم رحمه الله عن مُعاذِ بن جَبَلٍ رضي الله عنه في معرض الحديث عن غزوة تبوك، أنه قال: قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إِنَّكُمْ سَتَأْتُونَ غَدًا إن شَاءَ اللهُ عَيْنَ تَبوكَ[١]، وَإِنَّكُمْ لَنْ تَأْتُوها حتى يُضْحِيَ النَّهارُ، فَمَنْ جاءَها مِنْكُمْ فلا يَمَسَّ من مائِها شيئاً حتى آتِيَ».

فَجِئْناها وقد سَبَقَنا إِلَيْها رَجُلَانِ وَالعَيْنُ مِثْلُ الشِّراكِ[٢] تَبِضُّ بِشَيْءٍ من ماءٍ[٣].

قال: فَسَأَلَهُما رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «هل مَسَسْتُمَا من مائِها شيئا؟»

قالا: نعم، فَسَبَّهُمَا النبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وقال لَهُما ما شاءَ الله أَنْ يَقولَ.

---

(١) عين تبوك: في مدينة تبوك وتسمى البركة، وبجانبها قلعة صغيرة، وعندها على نحو ٢٠٠ متر مسجد للرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم صلى فيه مدّة إقامتِه في تبوك.

الإحداثيات: "٣٨,٢٢'٣٣°٣٦ "٠٦,٥٨'٢٢°٢٨

(٢) أي الشريط الجلدي فوق النعل.

(٣) أي قليل.

قال: ثُمَّ غَرَفُوا بِأَيْدِيهِمْ من العَيْنِ قَلِيلًا قَلِيلًا حتى اجْتَمَعَ في شَيْءٍ.

قال: وَغَسَلَ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيه يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ ثُمَّ أَعادَهُ فيها، فَجَرَتِ العَيْنُ بِماءٍ مُنْهَمِرٍ، ـ أو قال: غَزِيرٍ ـ.. حتى اسْتَقَى الناس.

ثُمَّ قال ـ أي: رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ: «يُوشِكُ يا مُعَاذُ إن طالَتْ بِكَ حَياةٌ أَنْ تَرَى ما ها هنا قد مُلِئَ جِنَانًا»[1].

والشاهد من الحديث أنّ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم منع أيَّ واحد من مسِّ الماء ما لم يأتِ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وهذا المنع كان لمصلحة الجند، ولم يحدِّد في الحديث سبب المنع، فيحمل على وجود ضرر بالماء قد يلحق الجيش، أو على أن الماء قليل وأراد النبي صلى الله عليه على آله وسلم تكثير الماء، معجزة من الله تعالى كي يفيَ الماء للعدد الكبير من الجيش، والمهم أن مسؤولية حفظ موارد الطاقة من أكل وشرب هي منوطة بقائد الجيش.

ملحظ: يُحمل السبُّ الوارد في الحديث على التوبيخ الشديد، وليس كما يتبادر للذهن من اللعن والشتم، إذ ليس من أخلاقه صلى الله عليه وعلى آله وسلم هذا.

❊ ❊ ❊

(١) صحيح مسلم رقم٧٠٦.

القاعدة السبعون
تحسّس الأحوال الجويّة والاستعداد لكوارثها

قال الله تعالى: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا * فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا * فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾ [العاديات: ١ - ٣].

أشارت الآية السابقة إلى أنَّ الخيل من أفضل سلاح الحرب؛ لما لها من جرأة في الإغارة، وما تتميّز به من السرعة، ثم بيَّنَ الله أنَّ أفضل الأزمنة في نشاطها القتاليِّ هو الصبح.

فإذا كانت الخيل يُختار لها أفضل الأوقات لِعَدْوِها، فمن باب أولى أن يُختار أفضل الأحوال الجويّة لقتال الجند.

وتقدّم أن ذَكَرْتُ أنّ النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يَعمَدُ إلى استغلال الظروف الجويّة عند البدء بالقتال؛ كأنْ يتناسب مع الطقس من حرٍّ وبرودة وهبوب رياح، ومع الاتجاهات الغربية والشرقية، كاستقبالِ شمس واستدبارها، واستغلال وجود غيم وما أشبه ذلك؛ وقد جاء في صحيح البخاري: أنه كانَ إذا لَمْ يُقاتِلْ في أَوَّلِ النَّهارِ، انْتَظَرَ حَتَّى تَهُبَّ الأَرْواحُ، وَتَحْضُرَ الصَّلواتُ[١]. لأنّ الرياح تهبّ غالباً بعد الزوال؛ فيحصل بها تبريد حِدّة السّلاح والحرب، وزيادة في النشاط[٢].

---

(١) صحيح البخاري رقم ٣١٦٠.
(٢) فتح الباري ٦/ ١٢٠.

وزيادة على ذلك فقد كان النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلّم يَتَحَسّسُ الأحوال الجوية؛ سواء كان بوحي من الله تعالى، أم باجتهاد منه صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ويُنذِر بالاستعداد لها، وما قد يُلاقيه الجُندُ بسببها من كوارثَ ومتاعب.

ومن الأمثلة على ذلك؛ ما رواه مسلم عن أبي حُمَيْدٍ سَهْلِ بن سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ في أحداث غزوة تبوك أنه قال: خَرَجْنا مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم غَزْوةَ تَبوكَ.. حتى قَدِمْنَا تَبُوكَ، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم «سَتَهُبُّ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَةَ رِيحٌ شَديدةٌ، فلا يَقُمْ فيها أَحَدٌ مِنْكُمْ؛ فَمَنْ كان له بَعِيرٌ فَلْيَشُدَّ عِقالَهُ»، فَهَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدةٌ، فَقَامَ رَجُلٌ، فَحَمَلَتْهُ الرِّيحُ حتى أَلْقَتْهُ بِجَبَلَيْ طيِّئ..[1].

* * *

(١) صحيح مسلم رقم١٣٩٢.

وجبلي طيّء هما من جبال حائل، واسمهما أجأ وسلمى.

جبل سلمى: "٤٢°٢٧'١٧,٨٩ ٢٧° ٩'٢٥,٥٧"

جبل أجا: "٤١°٢٣'٥٢,٦٤ ٢٧°٢٨'٤,١٤"

القاعدة الحادية والسبعون
اتخاذ المُساندين في أرض المشركين

كان من عظيم خطط النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم اتخاذ الأنصار في أرض الأعداء، سواء كانوا مسلمين أم غير مسلمين، ولهؤلاء المساندين مهمَّات متعدّدة؛ أعلاها توصيل الأخبار للنبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ومن مهمّاتهم تشكيل دروع قتالية أو دفاعية حربية للفصلِ بين دولة النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم وبين دولة المشركين، ومن مهمّاتهم حرب العصابات على المشركين، ومن مهمّاتهم مساعدة المسلمين الضعفاء في أرض الكفر، وغير ذلك.

ومن الشواهد على ذلك من القرآن ما ذكرَه عن رجلَين كانا مُساندَين لموسى عليه السلام، أولهما: كان من آل فرعون من داخل القصر الفرعوني، والثاني: من شيعة موسى عليه السلام.

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ [غافر: ٢٨].

ومن الشواهد على ذلك من السيرة النبوية؛ ما مرَّ معنا مما ذكره ابن هشام أنه صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ سأل وَفْد هَوازِنَ بعد غزوة الطائف عن مالِكِ ابنِ عَوْفٍ: ما فَعَلَ؟

فقالوا : هُوَ بِالطّائِفِ مَعَ ثَقيفٍ.

فقالَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: «أَخْبِرُوا مالِكًا: أَنَّهُ إنْ أَتانِي مُسْلِمًا رَدَدْتُ علَيهِ أَهْلَهُ وَمالَهُ، وَأَعْطَيْته مِئَةً مِن الإِبِلِ».

فَأُتيَ مالِكٌ بِذَلِكَ، فَخَرَجَ إلَيْهِ مِن الطّائِفِ، وقد كانَ مالِكٌ خافَ ثَقِيفًا على نَفْسِهِ أَنْ يَعْلَمُوا أَنّ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ قالَ لَهُ ما قَالَ، فَيَحْبِسُوهُ، فَأَمَرَ بِراحِلَتِهِ، فَهُيِّئَتْ لَهُ، وَأَمَرَ بِفَرَسٍ لَهُ فَأُتِيَ بِهِ إلى الطّائِفِ، فَخَرَجَ لَيْلًا، فَجَلَسَ على فَرَسِهِ فَرَكَضَهُ حَتّى أَتَى رَاحِلَتَهُ، حَيْثُ أَمَرَ بِها أَنْ تُحْبَسَ فَرَكِبَها، فَلَحِقَ بِرَسُولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ فَأَدْرَكَهُ بِالجِعْرانةِ[1] أو بِمَكّةَ، فَرَدّ علَيهِ أَهْلَهُ وَمالَهُ وَأَعْطاهُ مِئَةً مِن الإِبِلِ، وَأَسْلَمَ فَحَسُنَ إسْلَامُهُ..

فَاسْتَعْمَلَهُ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ على مَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ وَتِلْكَ القَبائِلُ ثُمالَةُ وَسَلِمَةُ وَفَهْمٌ، فكانَ يُقاتِلُ بِهِمْ ثَقِيفًا، لَا يَخْرُجُ لَهُمْ سَرْحٌ إلّا أَغارَ علَيهِ حَتّى ضَيّقَ عَلَيْهِمْ[2].

❊ ❊ ❊

(١) تقدّم الحديث عن موقعها تحت عنوان: كسب العدو بالطرائق الودية.
(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٩٠.

القاعدة الثانية والسبعون
لزوم تضافر جميع أنواع الجهاد

قال الله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً..﴾ [النساء: ٩٥].

وقال تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [التوبة: ٨٨].

تقدَّم أنْ ذكَرْتُ في المقدّمة أنّ الجهاد ينقسم إلى عدّة أقسام وهي: جهاد العلم واللسان والقلب واليد والقتال والرباط، وهذه الأنواع يكمل بعضها الآخر، لكن أعلاها في الجهاد مَن جمع بين جميع تلك الأنواع، وقد مدح الله تعالى في الآية السابقة مَنْ جمع بين نوعَين من أنواع الجهاد، وهما جهاد القتال والمال، فكيف بِمَنْ جمع بين جميع أنواع الجهاد، فلا شكَّ في عِظَمِ مكانته عند الله تعالى وتكون منزلته أكبر من السابق.

ومن الأدلة على تضافر جهاد المال مع النفس ما رواه أبو داود وغيره عن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «ما مِنْ أَيَّامٍ العَمَلُ الصَّالِحُ فيها أَحَبُّ إلى الله من هذه الأَيَّامِ»؛ يَعْنِي أَيَّامَ العَشْرِ، قالوا: يا رسولَ الله، ولا الجهادُ في سَبِيلِ الله؟

قال: «ولا الجهادُ في سَبِيلِ الله، إلا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمالِهِ فلم يَرْجِعْ من ذلك بِشَيْءٍ»[1].

---

(١) سنن أبي داود رقم ٢٤٣٨، سنن الترمذي رقم ٧٥٧، والحديث في البخاري أيضاً برقم ٩٦٩.

ومن عظيم فضل الله تعالى على بعض الناس أنه كتبهم في المجاهدين وأعطاهم مثل أجورهم؛ وإن لم يسيروا مع جيش المسلمين، وهؤلاء كانوا أشبه بِمَنْ جاهد بمالِه وحبَسَه العُذر أن يجاهد بنفسه، وذلك فيما رواه الشيخان عن زَيْدِ بنِ خالِدٍ الجهَنِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قالَ: «مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا في سَبِيلِ الله فَقَدْ غَزا، وَمَنْ خَلَفَ غازِيًا في سَبِيلِ الله بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزا»[1].

❊ ❊ ❊

(١) صحيح البخاري رقم٢٨٤٣، ومسلم رقم٥٠١١.

القاعدة الثالثة والسبعون
العدد الأكمل في تعداد الجيش

إنّ الغالب على حروب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، والتي حصل فيها قتال لم يكن هناك تكافؤ في عدد الجند بين جيش المسلمين والمشركين، بل الغالب كثرة عدد المشركين عن المسلمين، وكثرة العدد أو التكافؤ في القتال ليس بالقيمة الأساس في حدِّ الانتصار، بل هو كما قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ٧﴾ [محمد: ٧].

والمعيار الثاني المأمور به هو قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ..﴾ [الأنفال: ٦٠].

لذا كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يُجهّز العدد الذي يقدر عليه، ولا يضُرُّه نقص العدد في تغيير مسار المعركة، فقد سبق أنْ أشرتُ أن زعيم المنافقين عبد الله بن أُبَي ابن سَلُول انسحب يوم أُحُدٍ بثلث جيش المسلمين، فلم يكن هذا الانسحاب هو السبب في خسارة المسلمين في الغزوة، بل لترك الرُّماة أمر النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في الثبات على الجبل لحماية ظهر المسلمين.

وحاصل الأمر أنَّه يلزم إعداد القدر الكافي منَ الجند لأي حرب، مع الأخذ بمفهوم الآيات السابقة، ففي أوائل غزوات النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم التي غزاها كان عدد جنوده نحو مائتَين، وأما آخر غزوة غزاها وهي غزوة تبوك، فقد كان تعداد الجيش (٣٠٠٠٠) ثلاثون ألف مقاتل.

وعلى هذا درج الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، فهم يُعِدّون ما يَقدرون عليه، والباقي يتكفّل الله تعالى به، إن عملوا بكل ما استطاعوه، فقد روى الإمام أحمد رحمه الله عن عِياض الأَشْعَرِيّ، قالَ: شَهِدْتُ اليَرْموكَ[١]، وَعلَينا خَمْسَةُ أُمَراءَ: أَبو عُبَيْدَةَ بنُ الجرَّاحِ، وَيَزِيدُ بنُ أَبِي سُفْيانَ، وَابنُ حَسَنَةَ، وَخالِدُ بنُ الوَليدِ، وَعِياضٌ.

قالَ: وقالَ عُمَرُ: إذا كانَ قِتالٌ فَعَلَيْكُمْ أَبو عُبَيْدَةَ.

قالَ: فَكَتَبْنا إِلَيهِ، إِنَّهُ قد جاشَ[٢] إِلَيْنا المَوْتُ، وَاسْتَمْدَدْناهُ.

فَكَتَبَ إِلَيْنا: إِنَّهُ قد جاءَني كِتابُكُمْ تَسْتَمِدُّونِي، وَإِنِّي أَدُلُّكُمْ على مَنْ هُوَ أَعَزُّ نَصْرًا وَأَحْضَرُ جُنْدًا؛ اللهُ عَزَّ وجَلَّ، فاسْتَنْصِروهُ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ قد نُصِرَ يَوْمَ بَدْرٍ في أَقَلَّ مِنْ عِدَّتِكُمْ، فإذا أَتَاكُمْ كِتابِي هذا فَقاتِلوهُمْ، وَلا تُراجِعوني.

قالَ: فَقاتَلْناهُمْ فَهَزَمْناهُمْ[٣].

لكن جاءت البشرى من النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في أنَّ عدد جيش المسلمين لو وصل تعدَادُه إلى اثني عشرَ ألفَ مقاتل، ولا يستطيعون الزيادة عليه، فهؤلاء لن يُغلَبوا بسبب القِلَّة، مهما بلغ تعداد عدوّهم، بل بسبب آخر من تقصير مع الله، أو تقصير في الاستعداد المطلوب للمعركة، وهم قادرون

(١) تقدّم الحديث عنها تحت عنوان: أقسام الجهاد في سبيل الله في التخطيط الاستراتيجي.
(٢) أي تدفَّق.
(٣) مسند الإمام أحمد ٣٢٦.

على استكمالِه، فقد روى الترمذيّ وغيره عن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «خَيْرُ الصَّحابةِ أَرْبَعةٌ، وَخَيْرُ السَّرايا أربعمئة، وَخَيْرُ الجيوشِ أَرْبَعةُ آلافٍ، ولا يُغْلَبُ اثْنا عَشَرَ أَلْفًا من قِلَّةٍ»(١).

تنبيه: قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ * ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٦٥-٦٦].

هذه الآية تتحدَّث عن المصابرة أمام العدوّ، ومتى يجوز الفِرار منه، وأنه يجوز الفرار من العدوّ عندما يزيد عدد الكفار على ضعف عدد المسلمين، روى الطبراني رحمه الله تعالى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «مَنْ فَرَّ مِن اثنينِ فقدْ فرَّ، ومَنْ فَرَّ مِنْ ثلاثةٍ لمْ يَفِرَّ»(٢).

والآية جاءت بلفظ الخبر لكن مفهومها الأمر؛ لأنه لو كان خبراً لم يقع الخبر بخلاف المُخْبَر عنه، فدلَّ على أنه أمرَ المئة بمصابرة المائتَين، وأمرَ الألفَ بمصابرة الألفَين.

* * *

(١) سنن الترمذي رقم١٥٥٥، وسنن أبي داود رقم ٢٦١١، والمستدرك رقم٢٤٨٩.
(٢) المعجم الكبير رقم١١١٥١، ورجال الحديث ثقات. مجمع الزوائد ٥/ ٣٢٨.

القاعدة الرابعة والسبعون
تعليم الجند الفنون الحربية

قال الله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢].

هذه الآية أصل عظيم في تعليم الفنون القتالية، إذ أمرهم الله تعالى بالضرب على الأعناق؛ وهي مكمَن القتلِ في الإنسان، وهذه المهارة لا تأتي إلا بتعليم الفنون القتالية.

من هنا تعدَّدت أساليب النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في التربية العلمية والعملية القتالية لجنده، كتعليم المصارعة بين الجند، والمسابقة بين الخيل..

ومن ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم عن عبد الله بنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ سابَقَ بين الخَيْلِ الَّتي أُضْمِرَتْ مِنَ الحَفْياءِ، وَأَمَدُهَا ثَنِيَّةُ الوَداعِ، وسابَقَ بين الخَيْلِ الَّتي لَمْ تُضْمَرْ مِنَ الثَّنِيَّةِ إلى مَسْجِدِ بَنِي زُرَيْقٍ، وَأَنَّ عَبْدَ الله بنَ عُمَرَ كانَ فِيمَنْ سابَقَ بِها[1].

وروى ابن ماجه وغيره عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أنه قالَ: مَرَّ النَّبِيُّ

(١) صحيح البخاري رقم ٤٢٠، وصحيح مسلم رقم ١٨٧٠.
والمواقع الواردة في الحديث تقدّم الحديث عنها تحت عنوان: التربية البدنية للجنود.

صَلَّى اللهُ عليهِ وَعلَى آلِهِ وسَلَّمَ بِنَفَرٍ يَرْمُونَ فقالَ: «رَمْيًا بَنِي إِسْماعيلَ فَإِنَّ أَباكُمْ كانَ رامِيًا»[١].

وروى البيهقي أيضاً عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنه قالَ: قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «لَا سَبَقَ إِلَّا في خُفٍّ أو حَافِرٍ أو نَصْلٍ»[٢].

❊ ❊ ❊

(١) سنن ابن ماجه رقم٢٨٠٥.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي رقم١٩٧٤٧.

القاعدة الخامسة والسبعون
تصنيع الأجهزة الحربية وإتقان صناعتها

إنّ تصنيع الأجهزة الحربية، وإتقان صناعتها داخل في الأمر الإلهي: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ..﴾ [الأنفال: ٦٠].

ولقد جاء الأمر بتصنيع الأجهزة الحربية وإتقان صناعتها لداود عليه السلام؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ * أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [سبأ: ١٠-١١].

وقال تعالى أيضاً: ﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٨٠].

فهذا أمرٌ منَ الله تعالى لداود وامتنانٌ عليه بأن يُتْقِنَ صناعة الدروع، ويجعل السَّرْد؛ وهو نسجُ الحلقات الحديدية بشكل مُنْتَظم، بحيث لا تكون كبيرة فتؤذي مَنْ يلبسها، ولا تكون صغيرة فلا تؤدي في الحماية وظيفتها.

ولقد كانت الآية الأولى نِبراساً للمؤمنين في إعداد السلاح وتجهيزه وتصنيعه؛ لأنه من مقتضيات الإعداد للجهاد[1]، فكانت الصناعات الحربية الإسلامية في عصور العزّ للمسلمين تترافق مع متطلبات حاضرهم.

ويبدأ الإعداد للسلاح من إعداد الخيلِ، ويُقابلُه كلّ مركوب من طَيَّارةٍ

(١) الحِرَف والصناعات في الحجاز ص٢١٠.

ودبَّابة وسيارة إلى غير ذلك، ودليل الاعتناء بكلِّ آلة حرب ما رواه الشيخان عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله تعالى عنه أنَّ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ قال: «الخَيْلُ لِثَلاثةٍ: لِرَجُلٍ أَجْرٌ، ولِرَجُلٍ سِتْرٌ، وعلى رَجُلٍ وِزْرٌ؛ فأمَّا الَّذي لَهُ أَجْرٌ؛ فَرَجُلٌ ربَطَها في سَبِيلِ الله فأطالَ في مَرْجٍ أَوْ رَوْضةٍ، فَمَا أصابَتْ في طِيَلِها ذلك مِنَ المَرْجِ أو الرَّوْضةِ كانَتْ لَهُ حَسَناتٍ، ولَوْ أَنَّها قَطَعَتْ طِيَلَها فاسْتَنَّت شَرَفاً أَوْ شَرَفَينِ، كانَتْ أرْواثُها وآثَارُها حَسَناتٍ لَهُ، ولَوْ أَنَّها مَرَّتْ بِنَهْرٍ فشَرِبَتْ مِنْهُ، ولمْ يُرِدْ أَنْ يَسْقِيَها، كانَ ذَلَكَ حسناتٍ لَهُ، فَهِيَ لِذَلِكَ أَجْرٌ، وَرَجُلٌ رَبَطَها تَغَنِّيًا وَتَعَفُّفًا، ثُمَّ لَمْ يَنْسَ حَقَّ الله في رِقابِها، ولا ظُهُورِها، فَهِيَ لِذَلِكَ سِتْرٌ، وَرَجُلٌ رَبَطَها فَخْرًا وَرِياءً وَنِواءً لأَهْلِ الإِسْلامِ، فَهِيَ على ذلك وِزْرٌ».

وَسُئِلَ رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عَنِ الحُمُرِ، فقالَ: ما أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيها شَيْءٌ إِلَّا هَذِهِ الآيَةُ الجامِعةُ الفاذَّةُ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧- ٨][1].

فالنبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلّم أجاب السائل الذي سأل عن اقتناء الحمير للجهاد بأنَّ فيها الأجر، بسبب النية التي نواها في الخير، وبناء على ذلك؛ فإنَّ كلَّ آلة تُعَدُّ للركوبِ له بها أجر إن نوى بها خدمة دِينِ الله تعالى.

---

(١) صحيح البخاري رقم ٧٣٥٦، وصحيح مسلم رقم ٩٨٧.

قوله: «في مرج أو روضة» المرج: الأرض الواسعة، ذات نبات كثير تمرج فيها الدواب، أي تُخلّى تسرح مختلطة كيف شاءت. والروضة: الموضع الذي يستنقع فيه الماء، قوله: «طيلها» بكسر الطاء المهملة وفتح الياء آخر الحروف بعدها لام؛ وهو الحبل الذي ترتبط به ويطول لها لترعى، قوله: «فاستنّت» من الاستنان وهو العدْو، و«الشرف» الشوط. عمدة القاري ١٤/ ١٥١، والنهاية لابن الأثير ٤/ ٣١٥.

ولقد ذكرتُ من قبلُ أنَّ النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ أمر بعض الصحابة ـ كسلمان الفارسي رضي الله عنه ـ بصناعة المنجنيق ونصبه على حصن الطائف.

وَقد جاء في الصحيح الترغيبُ بصناعة الأسلحة؛ فعَنِ المِقْدامِ بنِ مَعْدِي كَرِبَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ علَيهِ وعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قالَ: ما أَكَلَ أَحَدٌ طَعامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ الله داوُدَ علَيهِ السَّلامُ، كانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ[1].

فقد كان عليه السلام يصنع اللباس الحربي الذي يحمي المقاتل من ضرر سلاح العدوّ، كما مرَّ معنا.

* * *

(١) صحيح البخاري رقم٢٠٧٢.

القاعدة السادسة والسبعون
الدعاية الحربية

قال الله تعالى واصفاً حال المنافقين: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ٤٧].

إن الدعاية الحربية هي من أجلِّ العمليات الحربية النفسية، وهي من أهمِّ الأسباب تأثيراً، ولا تقتصر على العدوّ؛ بل تشمل الجند والشَّعب أيضاً، وغالب تخطيطها للمستقبل، لهدف ينشده القائد في نفس المدعوّ، ومن أهمها زرع الثقة في نفوس المجاهدين، وطرد وساوس الشياطين، وهذا من مفهوم الآية السابقة.

وقد مرَّ معنا من قبل في قِصَّة غزوة بني المُصْطَلِق وما قاله زعيم المنافقين عَبْدُ الله بنِ أُبَيّ ابن سلول من قولٍ آثم في حقّ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: لئنْ رَجَعْنا إلى المَدِينةِ لَيُخْرِجَنّ الأَعَزّ مِنْهَا الأَذَلّ.

فلما بَلَغَ ولده عَبْدَ الله بنَ عبد الله بنِ أُبَيّ الّذِي كانَ مِنْ أَمْرِ أَبِيهِ .. أَتَى رسولَ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ فقالَ: يا رسولَ الله! إنّهُ بَلَغَني أَنّك تُرِيدُ قَتْلَ عبد الله بنِ أُبَيّ فِيما بَلَغَك عَنْهُ؛ فَإِنْ كُنْت لَا بُدّ فَاعِلًا فَمُرْنِي بِهِ، فَأَنَا أَحْمِلُ إلَيْك رَأْسَهُ، فَوالله لَقَدْ عَلِمَت الخَزْرَجُ ما كانَ لَها مِنْ رَجُلٍ أَبَرَّ بِوَالِدِهِ مِنّي، وَإِنّي أَخْشَى أَنْ تَأْمُرَ بِهِ غَيْرِي فَيَقْتُلَهُ، فَلَا تَدعنِي نَفْسِي أَنْظُرُ إلى قاتِلِ عبد الله بنِ أُبَيّ يَمْشِي في النّاسِ، فَأَقْتُلُهُ فَأَقْتُلُ (رَجُلًا) مُؤْمِنًا بِكافِرٍ؛ فَأَدْخُلُ النّارَ.

فقالَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: «بَلْ نَتَرَفّقُ بِهِ، وَنُحْسِنُ صُحْبَتَهُ ما بَقِيَ مَعَنا».

وفي لفظ عند الترمذي: فقالَ عُمَرُ: يا رسولَ الله، دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هذا المُنَافِقِ، فقالَ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: «**دَعْهُ، لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ**».

وقالَ لَهُ ابْنُهُ عَبْدُ الله بنُ عبد الله: والله لَا تَنْقَلِبُ حَتَّى تُقِرَّ أَنَّكَ الذَّلِيلُ، وَرَسُولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ العَزِيزُ، فَفَعَلَ.

وَجَعَلَ بَعْدَ ذلك إذَا أَحْدَثَ ابن سلول الحَدَثَ كانَ قَوْمُهُ هُمُ الّذِينَ يُعاتِبونَهُ ويَأْخُذونَهُ وَيُعَنّفونَهُ.

فقالَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ لِعُمَرَ بنِ الخَطّاب حِينَ بَلَغَهُ ذلك عنهم مِنْ شَأْنِهِمْ: «كَيْفَ تَرَى يَا عُمَرُ!؟ أَمَا والله لَوْ قَتَلْتُهُ يَوْمَ قُلْتَ لِي: اقْتُلْهُ لَأُرْعِدَتْ لَهُ آنُفٌ[1] لَوْ أَمَرْتُها اليَومَ بِقَتْلِهِ لَقَتَلَتْه».

قالَ: فقالَ عُمَرُ: قد والله عَلِمْتُ لَأَمْرُ رسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ أَعْظَمُ بَرَكَةً مِنْ أَمْرِي[2].

ومن نماذج الدعاية الحربية إنشاد الشعر فهو بمثابة القنوات الفضائية، ومن أقوى أنواع الجهاد العمل الإعلاميّ.

ومن الشواهد ما روى مسلم عن عائشةَ رضي الله عنها أَنَّ رسولَ الله صلى الله

---

(١) أي انتفخت واضطربت أُنوفهم حميَّةً وعصبيَّة له.
(٢) الروض الأنف ٤/ ١٤، وسيرة ابن هشام ٣/ ٣٠١.

عليه وعلى آله وسلم قالَ: «اهْجُوا قُرَيْشًا فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْها مِنْ رَشْقٍ بِالنَّبْلِ».

قالَتْ عائِشَةُ رضي الله عنها: فَسَمِعْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يَقولُ لِحَسَّانَ: «إِنَّ رُوحَ القُدُسِ لا يَزالُ يُؤَيِّدُكَ ما نافَحْتَ عَنِ الله وَرَسولِهِ»[1].

❊ ❊ ❊

(١) صحيح مسلم رقم٦٤٧٨.

وقال في نهاية الأرب في فنون الأدب (١/ ٣٤٥) : قال حسان في أبي سفيان بن الحارث قبل إسلامه:

أبوك أبٌ حرٌّ وأُمُّك حرّةٌ وقد يلدُ الحرانِ غيرَ نجيب

فلا تعجبن الناس منك ومنهما فما خبثٌ من فضةٍ بعجيب

القاعدة السابعة والسبعون
الإعلام الحربيّ

قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّـٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّـٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَـٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٤١].

إن في مقابل الدعاية الحربيَّة الإعلام الحربيّ؛ وهو من أجلِّ الوسائلِ العملية في نشر ثقافة الجهاد الصحيحة، وفي توجيهه في المسار الصحيح، وتطهيره من كلّ ما يَشُوبُه من أفكار سيئة وهدّامة.

ومن جانب آخر لا يقتصر الإعلام الحربيّ على الجند والمسلمين، بل يشمل العدوّ، للعمل على إيصال الدعوة بِطُرُق سِلْميَّة قبل القيام بأي عمل حربيّ، ويشمل أيضاً الوسائل والطرائق النفسية في إدخال الرُّعب على قلوب الأعداء، أو إدخال الإسلام بالطرائق الودّيّة، وهذا من مفهوم قول الله تعالى السابق.

ومن الأمثلة على ذلك؛ ما رواه الطبراني وغيره عن مُحَمَّدِ بنِ جَعْفَرِ بنِ الزُّبَيْرِ أنه قالَ: جَلَسَ عُمَيْرُ بنُ وَهْبٍ الجُمَحِيُّ مَعَ صَفْوانَ بنِ أُمَيَّةَ بَعْدَ مُصابِ أَهْلِ بَدْرٍ مِنْ قُرَيْشٍ في الحِجْرِ[1] بِيَسيرٍ، وكانَ مِمَّنْ يُؤْذِي رسولَ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وَأَصْحابَهُ،

(١) حِجر إسماعيل عند الكعبة

وَيَلْقَوْنَ مِنْهُمْ عَنَتًا إِذْ هُمْ بِمَكَّةَ، وكانَ ابْنُهُ وَهْبُ بنُ عُمَيْرٍ في أُسارى أَصْحابِ بَدْرٍ.

قالَ: فَذَكَروا أَصْحابَ القَليبِ[1] بَمَصائِبِهِمْ.

فقالَ صَفْوانُ: وَاللهِ ما في العَيْشِ خيرٌ بَعْدَهُمْ.

وقالَ عُمَيْرُ بنُ وَهْبٍ: صَدَقْتَ، وَاللهِ لَوْلَا دَيْنٌ عَلَيَّ لَيْسَ عِنْدي قَضاؤُهُ، وعِيالٌ أَخْشَى عَلَيْهِمُ الضَّيْعَةَ بَعْدِي، لَرَكِبْتُ إلى مُحَمَّدٍ حَتَّى أَقْتُلَهُ، فَإِنَّ لِي فِيهِمْ عِلَّةً؛ ابْنِي عِنْدَهُمْ أَسِيرٌ في أَيْدِيهِمْ.

فَاغْتَنَمَهَا صَفْوانُ فقالَ: عَلَيَّ دَيْنُكَ أَنَا أَقْضِيهِ عَنْكَ، وعِيالُكَ مَعَ عِيالِي أُسْوَتُهُمْ ما بَقُوا، لَا يَسَعُهُمْ شَيْءٌ نَعْجِزُ عَنْهُمْ.

قالَ عُمَيْرٌ: اكْتُمْ عَلَيَّ شَأْنِي وَشَأْنَكَ.

قَالَ: أَفْعَلُ.

قالَ: ثُمَّ أَمَرَ عُمَيْرٌ بِسَيْفِهِ فَشُحِذَ وَسُمَّ، ثُمَّ انْطَلَقَ إلى المَدِينةِ، فَبَيْنَا عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ بِالمَدِينَةِ في نَفَرٍ مِنَ المُسلِمِين يَتَذاكَرونَ يَوْمَ بَدْرٍ، وما أَكْرَمَهُمُ اللهُ بِهِ، وما أَراهُمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ، إِذْ نَظَرَ إلى عُمَيْرِ بنِ وَهْبٍ قد أَنَاخَ بِبَابِ المَسْجِدِ مُتَوَشِّحَ السَّيْفِ؛ فقالَ: هذا الكَلْبُ عَدُوُّ اللهِ عُمَيْرُ بنُ وَهْبٍ؛ ما جاءَ إِلَّا لِشَرٍّ، هذا الَّذِي حَرَّشَ بَيْنَنا وَحَزَرَنا[2] لِلْقَوْمِ يَوْمَ بَدْرٍ.

ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ على رسولِ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقالَ: يا رسولَ اللهِ، هذا عَدُوُّ اللهِ عُمَيْرُ بنُ وَهْبٍ قد جاءَ مُتَوَشِّحًا السَّيْفَ.

---

(١) بئر بدر.

(٢) الحَزْر: هو التقدير والخَرْص، والمراد هنا أن عمير بن وهب قدر عدد المسلمين يوم بدر للمشركين.

قالَ: «فَأَدْخِلْهُ».

فَأَقْبَلَ عُمَرُ حَتَّى أَخَذَ بِحِمالةِ سَيْفِهِ في عُنُقِهِ فَلَبَّبَهُ بِها، وقالَ عُمَرُ لِرِجالٍ مِمَّنْ كانَ مَعَهُ مِنَ الأنصارِ: ادْخُلُوا على رسولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فاجْلِسُوا عنده وَاحْذَرُوا هذا الكَلْبَ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ غَيْرُ مَأْمونٍ.

ثُمَّ دَخَلَ بِهِ على رسولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وَعُمَرُ آخِذٌ بِحِمالةِ سَيْفِهِ.

فقالَ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «أَرْسِلْهُ يَا عُمَرُ، ادْنُ يا عُمَيْرُ»، فَدَنا.

فقالَ: أَنْعِمُوا صَبَاحًا ـ وَكَانَتْ تَحِيَّةَ أَهْلِ الجاهِلِيَّةِ بَيْنَهُمْ.

فقالَ رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «قد أَكْرَمَنَا اللهُ بِتَحِيَّةٍ خَيْرٍ مِنْ تَحِيَّتِكَ يا عُمَيْرُ، السَّلَامُ تَحِيَّةُ أَهْلِ الجنَّةِ».

فقالَ: أَمَا والله يَا مُحَمَّدُ إِنْ كُنْتَ لَحَدِيثَ العَهْدِ بِها.

قالَ: «فَما جاءَ بِكَ؟»

قالَ: جِئْتُ لِهَذا الأَسيرِ الَّذِي في أَيْدِيكُمْ فَأَحْسِنُوا إِلَيْهِ.

قالَ: «فَما بالُ السَّيْفِ في عُنُقِكَ؟»

قالَ: قَبَّحَها اللهُ مِنْ سُيُوفٍ؛ فَهَلْ أَغْنَتْ شَيْئًا.

قالَ: «اصْدُقْنِي ما الَّذِي جِئْتَ لَهُ؟»

قالَ: ما جِئْتُ إِلَّا لِهَذا.

قالَ: «بَلْ قَعَدْتَ أَنْتَ وصَفْوانُ بنُ أُمَيَّةَ في الحِجْرِ فَتَذَاكَرْتُما أَصْحابَ القَلِيبِ مِنْ قُرَيْشٍ؛ فَقُلْتَ: لَوْلَا دَيْنٌ عَلَيَّ وعِيالِي لَخَرَجْتُ حَتَّى أَقْتُلَ مُحَمَّدًا،

فَتَحَمَّلَ صَفْوانُ لَكَ بِدَيْنِكَ وَعِيالِكَ على أَنْ تَقْتُلَنِي، وَاللهُ حَائِلٌ بَيْنَكَ وبينَ ذَلِكَ».

قالَ عُمَيْرٌ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رسولُ الله؛ قد كُنَّا يا رسولَ الله، نُكَذِّبُكَ بِما كُنْتَ تَأْتِينا بِهِ مِنْ خَبَرِ السَّمَاءِ وما يَنْزِلُ علَيك مِنَ الوَحْيِ، وهَذا أَمْرٌ لَمْ يَحْضُرْهُ إِلَّا أَنَا وَصَفْوانُ، فَوَالله إِنِّي لَأَعْلَمُ ما أَنْبَأَكَ بِهِ إِلَّا اللهُ، فالحَمْدُ لله الَّذِي هَدانِي لِلإِسلَامِ وساقَنِي هذا المَساقَ، ثُمَّ شَهِدَ شَهادةَ الحَقِّ.

فقالَ رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «فَقِّهُوا أَخاكُمْ في دِينِهِ، وَأَقْرِئُوهُ القُرْآنَ، وَأَطْلِقُوا لَهُ أسيرَهُ».

ثُمَّ قالَ: يَا رسولَ الله، إِنِّي كُنْتُ جاهِدًا على إِطْفاءِ نُورِ الله، شَدِيدَ الأَذَى على مَنْ كانَ على دِينِ الله، وَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ تَأْذَنَ لِي فَأَقْدُمَ مَكَّةَ فَأَدْعُوَهُمْ إلى الله، وإلى الإسلامِ لَعَلَّ اللهَ يَهْدِيهِمْ، وَإِلَّا آذَيْتُهُمْ كَمَا كُنْتُ أُؤْذِي أَصْحابَكَ في دِينِهِمْ.

فَأَذِنَ لَهُ رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم؛ فَلَحِقَ بِمَكَّةَ، وكانَ صَفْوانُ حِينَ خَرَجَ عُمَيْرُ بنُ وَهْبٍ قالَ لِقُرَيْشٍ: أَبْشِرُوا بِواقِعةٍ تَأْتِيكُمُ الآنَ تُنْسِيكُمْ وَقْعَةَ بَدْرٍ، وكانَ صَفْوانُ يَسْأَلُ عَنْهُ الرُّكْبانَ حَتَّى قَدِمَ راكِبٌ فَأَخْبَرَهُ عن إِسلَامِهِ، فَحَلَفَ أَنْ لَا يُكَلِّمَهُ أَبَدًا وَلَا يَنْفَعَهُ بِنَفْعٍ أَبَدًا.

فَلَمَّا قَدِمَ عُمَيْرٌ مَكَّةَ أَقَامَ بِها يَدْعُو إلى الإسلامِ، ويُؤْذِي مَنْ يُخَالِفُهُ أَذًى شَدِيدًا، فَأَسْلَمَ على يَدَيْهِ نَاسٌ كَثِيرٌ[1].

ومن نماذج ذلك أيضاً رسائل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في بعث السفراء للرؤساء والملوك، وكذلك مقابلة الوفود وخطابهم.

---

(١) المعجم الكبير للطبراني ١٧/ ٥٨، ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٨/ ٢٨٦.

القاعدة الثامنة والسبعون
رفع الكفاءة الحربية

قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ..﴾ [الأنفال: ٦٠].

هذا أمر من الله تعالى بوجوب الاستعداد الحربيّ للحاضر والمستقبل.

ورفع الكفاءة القتاليَّة على جميع المستويات؛ سواء كان في التخطيط، أم في التدريبات وفق الأمر الإلهيّ السابق.. كان من أولى مهام الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم في التخطيط العسكري.

ففي أوائل الغزوات قد لا يجد المجنّد من جند رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما يَستُر جسمه مما يَقِيهِ من بأس الحرب، كالدِّرع مثلاً، بينما في غزوة فتح مكة كانت كتيبة النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم كلّها في لباس من الحديد، كما مرَّ معنا في وصف العباس رضي الله عنه حيث قال: مَرَّ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ في الخَضْراءِ؛ كَتِيبةٌ فِيها المُهاجِرونَ والأَنْصارُ؛ لا يُرى مِنْهُمْ إِلا الحَدَقَ[1]، قالَ[2]: سُبْحانَ الله، مَنْ هَؤُلاءِ يا عَبَّاسُ؟

قُلْتُ: هذا رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ في المُهاجِرينَ والأَنْصارِ.

قَالَ: ما لأَحَدٍ بِهَؤُلاءِ قِبَلٌ وَلا طاقةٌ والله يا أَبَا الْفَضْلِ، لَقَدْ أَصْبَحَ مُلكُ ابنِ أَخِيكَ الغَداةَ عَظِيمًا.

---

(١) أي: العيون.
(٢) أي: أبو سفيان.

قُلْتُ: يَا أَبا سُفْيانَ، إِنَّها النُّبُوَّةُ، قالَ: فَنَعَمْ إِذَنْ[١].

وفي الغزوات الأولى قد يوجد الفَرَسُ الواحدُ أو الاثنان فقط، بينما عدد الأفراس في غزوة تبوك ١٠٠٠٠ عشرة آلاف فرس.

وفي الغزوات الأولى كانت أكثر آلة القتال هي السيف والرمح، بينما في غزوة الطائف استخدم النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ المنجنيق على أهل الطائف، واستعمل الدبابة، ونَثَرَ حول الحصن الحَسَك، وهو من وسائل الدفاع الثابتة.

في أوائل الغزوات كان التكتيك العسكريّ يجنحُ إلى المواجهة العسكرية العَلنيَّة، فقد قام النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بِعِدَّة غزواتٍ وبعض أهدافها التضييق الاقتصاديّ على قريش في تجارتها؛ بسبب الأموال التي سلبتها منهم؛ مثل غزوة الأبواء[٢] وبواط[٣] والعشيرة[٤] وغزوة بدر الكبرى، ولم يتمكَّنِ

---

(١) المعجم الكبير للطبراني رقم ٧١١٥.

(٢) في الأبواء أو ودان: وهو واد وقرية شرق مستورة، وتُعرَف اليوم باسم الخريبة.

الإحداثيات: "٢٣° ٦'٢١,٩٧ "٣٩° ٤'٧,١٠

(٣) في وادي بواط: مقابل جبال رضوى، وكانت تمرّ فيه القوافل.

الإحداثيات: "٢٤°٣٤'٦,٥٧ "٣٨°٣٠'١٠,٨٨

(٤) العشيرة: قرية اندثرت في أول ينبع النخل.

الإحداثيات: "٢٤°١٦'٢٢,٦٢ "٣٨°٢٢'٥٣,٨٦

ملحظ: ويراجع تفاصيل الغزوات من كتابي: «مصوّر غزوات النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وطريق الهجرة».

المسلمون من الاستيلاء على تلك الأموال، بينما في الغزوات الأخيرة والسرايا اعتمدَ أسلوب التخفّي والكرِّ والفَرِّ، وسرعة النكاية والانسحاب..

كما مرّ معنا في غزوة فتح مكة والتهيّؤ لها عندما بعث النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم أبا قَتادة بن رِبْعي رضي الله عنه في ثمانية نفر سرية إلى بَطْنِ إِضَمٍ، ليظنَّ ظانٌّ أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم توجّه إلى تلك النَّاحية؛ ولِأنْ تذهبَ بذلك الأخبارُ إلى مَكَّة[1].

ومن ذلك أيضاً ما مرّ معنا عندما وجّه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أسامة بن زيد بن حارثة إلى غزو أهل أُبْنَى، قالَ له: «يا أُسامةُ سِرْ على اسْمِ الله وَبَرَكَتِهِ حَتّى تَنْتَهِيَ إلى مَقْتَلِ أَبيك، فَأَوْطِئْهُمُ الخَيْلَ، فَقَدْ وَلّيْتُك على هذا الجيْشِ، فَأَغِرْ صَباحًا على أَهْلِ أُبْنَى، وَحَرِّقْ عَلَيْهِمْ، وَأَسْرِعِ السّيْرَ تَسْبِقِ الخَبَرَ، فَإِنْ أَظْفَرَك اللهُ فَأَقْلِلِ اللّبْثَ فِيهِمْ، وَخُذْ مَعَك الأَدِلّاءَ وَقَدّمِ العُيُونَ أَمامَك وَالطّلَائِعَ»[2].

وكل ذلك يتماشى مع المبدأ القرآنيّ الذي أمر الله تعالى به: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ..﴾ [الأنفال: ٦٠].

فيلزم أنْ يترافَق هذا الإعداد مع تطوُّرِ الزمان ومناسبة المكان.

---

(١) الطبقات لابن سعد ٢/ ١٣٣.
مرّ التعريف بالموقع تحت عنوان: التورية المكانية عند اختيار الجهة المقصودة للجهاد.
(٢) مغازي الواقدي ١/ ١١١٧.
مرّ التعريف بالموقع تحت عنوان: التورية المكانية عند اختيار الجهة المقصودة للجهاد.

القاعدة التاسعة والسبعون
استراتيجية الإنفاق في المؤسسة العسكرية

قال الله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

إنّ الأصلَ في تمويل الجيوش وتسليحها والإنفاق عليها؛ هو بيتُ مالِ المسلمين، لأنه من مهمّات وليِّ أمر المسلمين، وموارد بيت المال كثيرة، كالفيء[١] والزكاة، وموارد باطن الأرض، والضرائب، والجمارك..

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠].

وقال تعالى أيضاً: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ..﴾ [الحشر: ٧].

وقد مرَّ على بيت مال المسلمين فتراتٌ لا مالَ فيه للإنفاق على الجيش، فكان من عظيم التخطيط الاستراتيجي عند النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن هيَّأ جيشاً يعتمد على نفسِه في تسديد نفقاته، فكان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أوَّلاً يُخرج مِنْ ماله لتجهيز الجيش، فقد روى الإمام أحمد وغيره عن

---

(١) وهو كلّ مَالٍ أُخِذَ مِنَ الكُفَّارِ بِغَيْرِ قِتالٍ.

عمر رضي الله عنه: إِنَّ أَمْوالَ بَنِي النَّضِيرِ كانَتْ مِمَّا أَفَاءَ اللهُ على رَسُولِهِ، مِمَّا لَمْ يُوجِفْ علَيهِ المُسْلِمونَ بِخَيْلٍ، ولا رِكابٍ[١]، فكانَ يُنْفِقُ على أَهْلِهِ مِنْهَا نَفَقَةَ سَنَتِهِ، وَما بَقِيَ جَعَلَهُ في الكُراعِ والسِّلَاحِ عُدَّةً في سَبِيلِ الله عَزَّ وَجَلَّ[٢].

وكان للصحابة جُهد كبيرٌ في تمويل الجيوش أيضاً، وكلٌّ على قدر استطاعته، فبعضُهم لا يستطيع غير تجهيز نفسه، وبعضُهم يستطيع تجهيز الاثنين والثلاثة، عملاً بقول رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: «مَنْ لَـمْ يَغْزُ أو يُجَهِّزْ غَازِياً أو يَخلُفْ غَازِياً في أَهْلِهِ بِخَيْرٍ؛ أَصابهُ اللهُ سُبْحانهُ وتَعالى بِقارِعةٍ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَة»[٣].

وقد أثنى الله على المؤمنين من أهلِ المدينة الذين أنفقوا أموالَهم وكانوا مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٢١].

وجاء في الحديث الذي رواه أبو داود وغيره عن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «ما من أَيَّامٍ العَمَلُ الصَّالِحُ فيها أَحَبُّ إلى الله من هذه الأَيَّامِ»؛ يَعْنِي أَيَّامَ العَشْرِ، قالوا: يا رسولَ الله ولا الجهَادُ في سَبِيلِ الله؟

---

(١) الغنائم التي لم تؤخذ بواسطة الحرب على الخيول والجمال، فكانت خالصة لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

(٢) مسند الإمام أحمد رقم٣٣٧.

(٣) أبو داود رقم ٢٥٠٣، وسنن ابن ماجه رقم٢٧٦٢. وإسناد الحديث صحيح، رياض الصالحين ١/ ٢٤٧، وينظر: مشارع الأنوار لابن النحاس ص١١١. قوله: «أو يخلف» أي لم يَقُمْ بعدَه في خدمة أهله، بأن يصير خليفة له ونائباً عنه في قضاء حوائجه. قوله: «بقارعة» أي: بداهية مهلكة، يقال: قرعَه أمر، إذا أتاه فجأة. وجمعها قوارع.

قال: «ولا الجهَادُ في سَبِيلِ الله، إلا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ ومالِهِ فلم يَرْجِعْ من ذلك بِشَيْءٍ»[١].

واستطاع عثمان بن عفان رضي الله عنه تجهيز جيشٍ بأكمله، هو جيش العُسْرة، فقد روى الطبراني وغيره عن عِمْرانَ بنِ حُصَيْنٍ، أَنَّهُ شَهِدَ عُثْمانَ بنَ عَفَّانٍ أَيَّامَ غَزْوةِ تَبُوكٍ في جَيْشِ العُسْرةِ، فَأَمَرَ رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بِالصَّدَقةِ، والقُوَّةِ وَالتَّأَسِّي، وكانت نَصارى العَرَبِ كَتَبوا إلى هِرَقْلَ: إِنَّ هذا الرَّجُلَ الَّذِي خَرَجَ يَنْتَحِلُ النُّبُوَّةَ قد هَلَكَ وَأَصَابَتْهُمْ سُنُونَ فَهَلَكَتْ أَمْوَالُهُمْ، فَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَلْحَقَ دِينَكَ فَالآنَ.

فَبَعَثَ رَجُلًا مِنْ عُظَمائِهِمْ يُقالُ لَهُ: الضَّنَادُ وَجَهَّزَ مَعَهُ أَرْبَعينَ أَلْفًا، فَلَمَّا بَلَغَ ذلك نَبِيَّ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كَتَبَ في العَرَبِ، وكانَ يَجْلِسُ كُلَّ اليَوْمِ على المِنْبَرِ فَيَدْعُو اللهَ ويَقولُ: «اللهُمَّ إِنْ تَهْلَكَ هَذِهِ العِصابَةُ فَلَنْ تُعْبَدَ في الأَرْضِ، فَلَمْ يَكُنْ لِلنَّاسِ قُوَّةٌ، وكانَ عُثْمانُ بنُ عَفَّانَ قد جَهَّزَ عِيرًا إلى الشَّامِ يُرِيدُ أَنْ يَمْتارَ عَلَيْها[٢] ، فقالَ: يا رسولَ الله، هَذِهِ مِئَتا بَعِيرٍ بِأَقْتَابِها وَأَحْلاَسِها، وَمِئَتا أُوقِيَّةٍ، فَحَمِدَ اللهَ رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وَكَبَّرَ النَّاسُ، ثُمَّ قامَ مَقامًا آخَرَ وَأَمَرَ بِالصَّدَقَةِ، فَقامَ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ فقالَ: يَا رسولَ الله، وَهاتا مِئَتانِ ومِئَتا أُوقِيَّةٍ، فَكَبَّرَ اللهَ وَكَبَّرَ النَّاسُ، وَأَتَى عُثْمَانُ بِالإِبِلِ، وَأَتَى بِالمَالِ، فَصَبَّهُ بين يَدَيْهِ؛ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «لَا يَضُرُّ عُثْمَانَ ما عَمِلَ بَعْدَ اليَوْمِ»[٣].

---

(١) سنن أبي داود رقم ٢٤٣٨، وسنن الترمذي رقم ٧٥٧، والحديث في البخاري أيضاً برقم ٩٦٩.

(٢) أي للتجارة.

(٣) المعجم الكبير للطبراني رقم٥٧٧، وانظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد رقم١٠٣٣١.

القاعدة الثمانون
تعريب الأجهزة الحربية والاستقلال الحربي بجميع أشكاله

قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢].

اللغة العربية معجزةٌ إلهية وضعها الله في خلقِه، وحفظها بقرآنه الكريم، ولولا القرآن الكريم لما نالت أفضل درجة بين لغات الأُمَم.

ولما كانت الأُمّة الإسلامية رائدة على الأُمَم فَرضَت لغتها، لا بالقَسْر بل بالمحبة والرغبة في أخذ جميع العلوم الطبيعية منهم عن طريق اللغة العربية، وبهذا تشهدُ كتب التاريخ.

وإن من أسوأ ما ابتليت به هذه الأُمّة في هذا العصر هو عجمية جميع العلوم الكونية؛ من طبّ وصيدلةٍ وهندسة وعلوم وغيرها، ومثلها دفاتر التعريف بالأجهزة الإلكترونية، وهذا في أكثر البلاد العربية، وهذا ما أخَّر التصنيع المحلّي في البلاد العربية خاصّة.

ويلاحظ أنّ كلّ البلاد التي تفوّقت بصناعاتها قد اعتزّت بلغتِها، ولغة العلوم في هذه البلاد هي لغةُ بلدِهم مثل تركيا واليابان والصين وفرنسا وغيرهم.

وأما العلوم العسكرية بما فيها التعريف بالأجهزة الحربية؛ من طائرات ودبابات وأجهزة اتصال وتَنَصُّت؛ فكلّها من العُجْمة بمكان، إلا ما ندر منها، وفي الغالب لا يستطيع الجنديّ استخدامها ولا معرفة جميع فوائدها ما لم يتعلّم

لغتها، فما الفائدة أن تمتلك أفضل الأجهزة العسكرية أو الطبية أو غيرها ولا يوجد مَنْ يفهمُ عليها بلغته؟!

ولقد دعا القرآن الكريم المسلمين إلى الصناعات الحربية، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ * أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سبأ: ١٠-١١].

وقال الله تعالى أيضاً: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥].

فهذه الآيات من أعظم الآيات التي تقرن بين قوة الدِّين وقوة الحديد في تصنيعه المعدّات الحربية؛ لأن العِدَّة الحربية إذا تصنَّعت على يد أيِّ إنسان أخذت لغةَ المصنِّع أو لغة المصنّعين.

قال ابنُ كثير رحمه الله تعالى في تفسير الآية الأخيرة: يَقولُ تَعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أَيْ: بِالمُعْجِزاتِ، والحُجَجِ الباهِراتِ، والدَّلَائِلِ القاطِعاتِ، ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ وَهُوَ: النَّقْلُ المصدَّقُ ﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾ وَهُوَ: العَدْلُ، وَهُوَ الحَقُّ الَّذِي تَشْهَدُ بِهِ العُقولُ الصَّحيحةُ المُسْتَقِيمةُ المُخالِفةُ لِلآراءِ السَّقيمةِ؛ ولِهَذا قالَ في هَذِهِ الآيةِ: ﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ أَيْ: بِالحَقِّ وَالعَدْلِ؛ وَهُوَ: اتِّبَاعُ الرُّسُلِ فِيما أَخْبَروا بِهِ، وَطاعَتُهُمْ فِيما أَمَروا بِهِ، فَإِنَّ الذي جاؤوا بِهِ هُوَ الحَقُّ الَّذِي لَيْسَ وَراءهُ حَقٌّ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ أَيْ: وَجَعَلْنا الحَديدَ رادِعًا لِمَنْ أَبَى الحَقَّ وَعانَدَهُ بَعْدَ قِيامِ الحُجَّةِ عَلَيْهِ؛ وَلِهَذا أَقامَ رسولُ الله صلى الله عليه

وعلى آله وسلم بِمَكّةَ بَعْدَ النُّبُوَّةِ ثَلَاثَ عَشْرةَ سَنةً تُوحى إِلَيْهِ السُّوَرُ المَكِّيَّةُ، وَكُلُّها جِدالٌ مَعَ المُشْرِكينَ، وَبَيانٌ وَإِيضاحٌ لِلتَّوْحيدِ، وَتِبْيانٌ وَدَلَائِلُ، فَلَمّا قامَتِ الحُجَّةُ على مَنْ خالَفَ؛ شَرَعَ اللهُ الهِجْرةَ، أَمَرَهُمْ بِالقِتالِ بِالسُّيوفِ لِمَنْ خالَفَ القُرْآنَ وَكَذَّبَ بِهِ وَعانَدَهُ.

وَلِهَذا قالَ تَعالى: ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ يَعْنِي: السِّلَاحَ كَالسُّيُوفِ، وَالحِرابِ، وَالسِّنانِ، والنِّصالِ، والدُّروعِ، وَنَحْوِها. ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ أَيْ: في مَعايِشِهِمْ كَالسِّكَّةِ وَالفأْسِ والقَدُومِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ أَيْ: مَنْ نِيَّتُهُ في حَمْلِ السِّلَاحِ نُصْرةُ اللهِ وَرُسُلِهِ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ أَيْ: هُوَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ، يَنْصُرُ مَنْ نَصَرَهُ مِنْ غَيْرِ احْتِياجٍ مِنْهُ إلى النَّاسِ، وَإِنَّما شَرَعَ الجهادَ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ(١).

وقد نهى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن استعمال الأجهزة الأجنبية مع وجود الأجهزة العربية، فقد روى ابن ماجه وغيره عن عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قالَ: كانَتْ بِيَدِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ علَيهِ وَعلَى آلِهِ وسَلَّمَ قَوْسٌ عَرَبِيَّةٌ، فَرَأَى رَجُلًا بِيَدِهِ قَوْسٌ فارِسِيَّةٌ، فقالَ: «ما هَذِهِ؟! أَلْقِها وَعَلَيْكُمْ بِهَذِهِ وَأَشْباهِها، وَرِماحِ القَنا فَإِنَّهُما يَزِيدُ اللهُ لَكُمْ بِهِما في الدِّينِ، وَيُمَكِّنُ لَكُمْ في البِلَادِ»(٢).

ولقد جاء النهي عن الاستعانة بالمشركين بكافّة أنواع الاستعانة، من سلاح وقوّة وغيرهما، إلا ما كان من ضرورةٍ أو وجودِ معاهدة، ودليل ذلك ما رواه مسلم وغيره رحمه الله عن عائشةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم

(١) تفسير ابن كثير ٨/ ٢٧.
(٢) سنن ابن ماجه رقم ٢٨١٠.

ورضي الله عنها أَنَّها قالَتْ: خَرَجَ رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قِبَلَ بَدْرٍ، فَلَمّا كانَ بِحَرَّةِ الوَبَرةِ[١] أَدْرَكَهُ رَجُلٌ قد كانَ يُذْكَرُ مِنْهُ جُرْأَةٌ وَنَجْدةٌ، فَفَرِحَ أَصْحابُ رسولِ الله صلى الله عليه وعلى وآله وسلم حِينَ رَأَوْهُ، فَلَمّا أَدْرَكَهُ قالَ لِرسولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: جِئْتُ لأَتَّبِعَكَ وَأُصِيبَ مَعَكَ.

قالَ لَهُ رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «تُؤْمِنُ بِالله وَرَسُولِهِ؟»

قالَ: لا.

قالَ: «فَارْجِعْ فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ».

قالَتْ: ثُمَّ مَضَى حَتَّى إذا كُنَّا بِالشَّجَرةِ[٢] أَدْرَكَهُ الرَّجُلُ، فقالَ لَهُ كَما قالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ، فقالَ لَهُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم كَمَا قالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ؛ قالَ: «فَارْجِعْ فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ».

قالَ: ثُمَّ رَجَعَ فَأَدْرَكَهُ بِالبَيْداءِ[٣]، فقالَ لَهُ كَمَا قالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ: «تُؤْمِنُ بِالله وَرَسُولِهِ؟»

قالَ: نَعَمْ.

فقالَ لَهُ رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «فَانْطَلِقْ»[٤].

وأما إذا مسَّتِ الحاجة في الحرب للاستعانة بعتاد غير المسلمين فجائز،

---

(١) حرّة الوبَرة: على امتداد كبير في غرب المدينة المنورة، وتُطِلّ على وادي العقيق.

(٢) الشجرة: في مسجد ذي الحُلَيفة، والحليفة: ميقات أهل المدينة ومَن جاء من ناحيتهم، ويُعرَف اليوم «آبار علي»، وقد ذكرنا الإحداثيات تحت عنوان: تجنّب المواجهة القتالية.

(٣) هو الفسحة الكبيرة الذي قدّام الحليفة، باتجاه طريق مكة.

(٤) صحيح مسلم رقم ٤٨٠٣.

لما رواه أحمد وغيره عَنْ أُمَيَّةَ بْنِ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَعَارَ مِنْهُ يَوْمَ حُنَيْنٍ أَدْرَاعًا.

فَقَالَ: أَغَصْبًا يَا مُحَمَّدُ؟

فَقَالَ: «بَلْ عَارِيَةٌ مَضْمُونَةٌ».

قَالَ: فَضَاعَ بَعْضُهَا، فَعَرَضَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَضْمَنَهَا لَهُ، فَقَالَ: أَنَا الْيَوْمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي الْإِسْلَامِ أَرْغَبُ[1].

❊ ❊ ❊

(١) مسند الإمام أحمد رقم ١٥٣٠٣.

القاعدة الحادية والثمانون
تضافر العلوم الكونية مع العلوم العسكرية

قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ..﴾ [الأنفال: ٦٠].

إنَّ المؤسّسة العسكرية هي المؤسّسة الوحيدة التي هي بحاجة لجميع المؤسّسات، وكذلك تحتاجُها جميع المؤسّسات، وهذه المؤسّسات تنطوي على علماء في الطبّ والرياضيات والفيزياء، والعلوم والجغرافية، وعلم الطوائف والفِرَقِ، وعلم اللّغات، حتى علم الطبخ، وعلم النفس، وغير ذلك، وهذه الأمور كلها تحتاجها المؤسّسة العسكرية، فلا يُمكِنُ صناعة سلاح بدون علم الرياضيات والفيزياء مثلاً، ولا يُمكِنُ لجيش أن يحارِبَ بدون أطباء، وطبّاخين..

وهكذا كانت المؤسّسة العسكرية عند النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم تنطوي على جميع التّخصّصات، من تخصّص الدعاية والإعلام، والطبّ والجغرافية والصناعة والنُّظُم الدِّفَاعية..، كل ذلك عملاً بقوله تعالى: ﴿..وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، فالمشاورة تقتضي إشراك جميع أهل التخصُّصات، وهذا من مقتضيات قوله تعالى السابق: ﴿قُوَّةٍ﴾، فهذه عامّة في كلّ أمر نستطيع القيام به وجب علينا معرفته.

فكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه من أهم الوزراء للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في الاستشارة في جميع شؤون الحرب، واستعان بالخبرة العسكرية في حفر الخندق بسلمان الفارسي رضي الله عنه، وبالحُبَابِ بنِ المُنْذِرِ رضي الله عنه في تحديد مواقع الجيش، وكانت بعض الصحابيات كفاطمة الزهراء رضي الله عنها يعمَلْنَ كمُمَرّضات في معالجة جرحى المسلمين، واستعان ببُسْرِ

ابنِ سُفْيانَ الخُزاعيِّ بالتجسّس على قريش وقت الحديبية، ثم أخذ بدلالةِ بُرَيْدةَ ابنِ الحُصَيبِ لعلمِه بالطُّرُقِ في الدلالة على الطريق إلى الحديبية حينما أراد تجنُّبَ المواجهة مع خالد بن الوليد قبل إسلامه.

وأخيراً في غزوة الحديبية أخذ برأي أمِّ سلمة رضي الله عنها بعد الانتهاء من الصُّلح فيه، وقد كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في أصعب الظروف؛ بسبب ما لَقِيَه من كفّارِ قريش من صَدِّه عن المسجد الحرام، ثم لما أَمَرَ النبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم الصحابة بالتحلُّل من العمرة لم يستجب واحد منهم له، فكان لرأيها دورٌ حاسم في حلِّ عقدة الأمر.

روى البخاريُّ وغيره عَنِ المِسْوَرِ بنِ مَخْرَمةَ، وَمَرْوانَ بنِ الحَكَمِ أنه لَمَّا فَرَغَ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم مِنْ قَضِيَّةِ الكِتَابِ، قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لأَصْحابِهِ: «قُوموا، فَانْحَروا، ثُمَّ احْلِقوا».

قالَ: فَوَالله ما قامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قالَ ذلك ثَلاثَ مَرَّاتٍ.

فَلَمّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ، دَخَلَ على أُمِّ سَلَمةَ، فَذَكَرَ لَها ما لَقِيَ مِنَ النَّاسِ.

فَقالَتْ أُمُّ سَلَمةَ: يَا نَبِيَّ الله، أَتُحِبُّ ذَلِكَ، اخْرُجْ ثُمَّ لاَ تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمةً، حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وَتَدْعُوَ حالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ.

فَخَرَجَ، فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ، حَتَّى فَعَلَ ذلكَ؛ نَحَرَ بُدْنَهُ، وَدَعا حالِقَهُ فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذلك قَاموا، فَنَحَروا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا، حَتَّى كادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا[1].

(١) صحيح البخاري رقم٢٧٣١و٢٧٣٢.

القاعدة الثانية والثمانون
استراتيجية الاستثمار في المؤسّسة العسكرية والمحافظة على أموالها

قال الله تعالى: ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٤].

روى النسائي رحمه الله وغيره في أسباب نزول الآية السابقة عن ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أنه قال: لَمَّا انْصَرَفَ المُشْرِكُونَ عن أُحُدٍ وَبَلَغُوا الرَّوْحاءَ، قالوا: لَا مُحَمَّدًا قَتَلْتُموهُ، وَلَا الكَواعِبَ أَرْدَفْتُمْ، وَبِئْسَ ما صَنَعْتُمْ، ارْجِعُوا.

فَبَلَغَ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم؛ فَنَدَبَ النَّاسَ فَانْتَدَبوا حَتَّى بَلَغُوا حَمْراءَ الأَسْدِ..[1]، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُ..﴾ [آل عمران: ١٧٢].

وقد كانَ أَبو سُفْيانَ قالَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم[2]: مَوْعِدُكَ مَوْسِمُ بَدْرٍ حَيْثُ قَتَلْتُمْ أَصْحابَنا.

فَأَمّا الجبانُ فَرَجَعَ، وَأَمَّا الشُّجاعُ فَأَخَذَ أهبةَ القِتالِ والتِّجارَةِ، فَلَمْ يَجِدوا بِهِ أَحَدًا وَتَسَوَّقُوا، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعالى: ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ﴾[3].

---

(١) تقدَّم التعريف بموضع غزوة حمراء الأسد عند: قاعدة اختيار المواقع الاستراتيجية.

(٢) في نهاية غزوة أُحُد.

(٣) سنن النسائي الكبرى رقم١١٠١٧.

إنَّ أسوأ ما ابتُلِيَت به المؤسّسات العسكرية في بعض الدُّوَل هو اعتمادُها على باقي الوزارات في تغطية نفقاتها، بحيث تكون عالةً على كلّ الوزارات، وليس لها دور إلا الاستهلاك، واستنزاف أموال الدولة على حساب الوزارات ونفقات الشَّعب.

وهذا ليس من الحكمة بمكان؛ لأنّ اقتصاد الوزارات في كثير من الدُّوَل يتعرّض لِنكَبات، تهوي به إلى الأسفل، وبالتالي ستتأثّر المؤسّسة العسكرية في نفقاتها، وتأثُّرها يعني ضعفها، وهذا الضعف له عواقب وخيمة لا تُحمد عقباها.

لذا كان من سياسة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم جعل المؤسسة العسكرية مكتفية ذاتياً، وعلى هذا دلَّ القرآن الكريم والسُّنّة المطهّرة، كما مرَّ في أسباب نزول الآية السابقة، فقد خرج المسلمون للقتال لميعاد أبي سفيان ومعهم تجارتهم، فجبنَ أبو سفيان وخارت عزيمته عن المواجهة، ووصل المسلمون بدراً، فلم يجدوا مواجهة؛ بل باشروا تجارتَهم وربحوا الضِّعف حيث لا منافس لهم.

وقد أَشَرْتُ من قبل في معرض الترغيب بصناعة الأسلحة إلى ما جاء في الصحيح عَنِ المِقْدام بنِ مَعْدِي كَرِبَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ علَيهِ وعَلى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قالَ: «ما أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ الله داوُدَ، علَيهِ السَّلاَمُ، كانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»[1].

ومن ذلك أيضاً ما رواه ابن ماجه رحمه الله عن خارِجةَ بنِ زَيْدٍ رضي الله عنه أنه قالَ: رأيتُ رَجُلًا يَسْأَلُ أَبِي عن الرَّجُلِ يَغْزُو فَيَشْتَرِي وَيَبِيعُ وَيَتَّجِرُ في

(١) صحيح البخاري رقم٢٠٧٢.

غَزْوَتِهِ، فقالَ لَهُ أَبِي: كُنَّا مَعَ رسولِ الله صَلَّى اللهُ علَيهِ وَعلى آلِهِ وسَلَّمَ بِتَبُوكَ نَشْتَرِي وَنَبِيعُ وَهُوَ يَرانا وَلَا يَنْهانا[1].

فهذه الأحاديث تحضُّ على جعلِ المؤسّسة العسكرية ذات إنتاج ذاتيّ ومكتفية بنفسِها، بل وتقوم على مساعدة غيرها، فقد كان جُلُّ الصحابة رضوان الله تعالى عليهم يقوم بتجهيز نفسه من سلاح وعتاد ومؤونة للحرب، وهذا من عظيم التخطيط الاستراتيجي في الاكتفاء العسكري للحرب، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ * تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [الصف: ١٠-١١].

فهذه الآية تدلّ على أنّ أعظم أنواع الجهاد هو ما اشترك الإنسان فيه بماله وجسدِه، وهذا ينطبقُ على مَن قام باستثمارِ أموال المؤسّسة العسكرية، سواء كان من مالِه الخاصّ بأن يُخصِّصَ جزءاً من أرباح شركاتِه لصالحها، أو يقوم باستثمار أموال المؤسّسة العسكرية نفسها في كافة الوجوه الاقتصادية؛ من صناعية وتجارية وزراعية وأمنية وعلمية؛ كأَنْ تستثمر أموالها في التعليم الجامعيّ وغير ذلك.

ويمكن للمؤسّسة العسكرية اليوم الانخراط في الوزارات كلّها والمؤسّسات الحكومية وغير الحكومية، بحيث يكون لها رأس مال تعقد شراكات مع الوزارات الأخرى وغيرها، وتقوم على توظيف الجند في شتى القطاعات، وتقوم مثلاً على أخذ دور الحماية الأَمنية للقطاع الحكوميّ والخاصّ، وتكون لها أراض مخصّصة لها تقوم بزراعتها، وتخصّص بعض الساعات للعمل في

(١) سنن ابن ماجه رقم٢٨١٣.

الأرض، ويكون لها مصانع، وهكذا، ويمكن أن تُســاهِمَ في حماية دُوَلٍ أخرى مقابل أجر معلوم..

ومِن أهمّ الأسباب في العناية بأموال المؤسّسة العسكرية هو الائتمان عليها، وعدم سرقتها، أو تبذيرها، أو توكيل مَن لا يُحسِنُ إدارتها.

لذا جاء من أعظم الوصايا من النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيما يتعلّق بالأمر السابق وغيره؛ وهو ما رواه أحمد وغيره عَنِ المِقْدامِ بنِ مَعْدِي كَرِبَ الكِنْدِيِّ أَنَّهُ جَلَسَ مَعَ عُبادةَ بنِ الصَّامِتِ، وَأَبِي الدَّرْداءِ، وَالحارِثِ بنِ مُعاوِيةَ الكِنْدِيِّ رضي الله عنهم، فَتَذاكَروا حَديثَ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعلى آله وسَلَّمَ فقالَ أَبو الدَّرْداءِ لِعُبادةَ: يا عُبَادَةُ كَلِماتُ رسولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في غَزْوةِ كَذا، في شَأْنِ الأَخْماسِ؟

فقالَ عُبادةُ..: إِنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم صَلَّى بِهِمْ في غَزْوِهِمْ إلى بَعِيرٍ مِنَ المَقْسِمِ، فَلَمَّا سَلَّمَ قامَ رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فَتَناولَ وَبَرةً بين أُنْمُلَتَيْهِ فقالَ: «إِنَّ هَذِهِ مِنْ غَنائِمِكُمْ، وَإِنَّهُ لَيْسَ لِي فِيها إِلَّا نَصِيبِي مَعَكُمْ إِلَّا الخُمُسُ، وَالخُمُسُ مَرْدودٌ عَلَيْكُمْ، فَأَدُّوا الخَيْطَ وَالمَخِيطَ، وَأَكْبَرَ مِنْ ذلك وَأَصْغَرَ، وَلَا تَغُلُّوا؛ فَإِنَّ الغُلولَ نَارٌ وَعَارٌ على أصحابِهِ في الدُّنْيا وَالآخِرةِ، وَجاهِدُوا النَّاسَ في الله القَريبَ وَالبَعيدَ، وَلَا تُبالوا في الله لَوْمةَ لَائِمٍ، وَأَقِيمُوا حُدُودَ الله في الحَضَرِ وَالسَّفَرِ، وَجاهِدوا في سَبِيلِ الله؛ فَإِنَّ الجهادَ بابٌ مِنْ أَبْوابِ الجنَّةِ عَظِيمٌ يُنَجِّي اللهُ بِهِ مِنَ الهَمِّ وَالغَمِّ»[1].

(١) مسند الإمام أحمد رقم ٢٢٦٩٩.

القاعدة الثالثة والثمانون
تعلُّم العلوم الشرعية
والحفاظ على الكفاءات العلمية

مَنْ عَبَدَ اللهَ على جَهْلٍ فَكَأَنَّما عَصاهُ.

إنّ الجهاد من أوجب العبادات التي يُتَقَرَّب بها إلى الله تعالى؛ لما فيه مِن حفظ الدِّين وأهله، ولا يتحقّق أداء هذا الواجب صحيحاً إلا بتعلّم أحكامِه خاصّة، وتعلّم باقي أحكام الدِّين عامة، وإنّ من أوضح الأدلة على وجوب تفقُّه الجندي قول الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

ففي هذه الآية عدّة أمور:

الأول: ساوى بين الجهادَين في النفير؛ جهاد العلم وجهاد السيف.

الثاني: أوجب على مَن نفروا إلى تعلّم العلوم الشرعية أن يُعَلِّموا غيرهم من المجاهدين وغيرهم، وأن يتعلّم هؤلاء منهم.

الثالث: حماية أهل العلم؛ لأن نفيرَهم في جهة غير جهة القتال، فدلّ على أنهم بمنجًى عن الخطر.

وهذا لا يعني أنّ العلماء، وأهل المشورة ليس لهم مشاركة في الجهاد، بل لهم مشاركة لكن ينبغي الاحتياط على أرواحهم، لما ذكره أهلُ السيرةِ أنَّ عبد

الرحمن ابن أبي بكر الصّدّيق في يوم بدر[١] دعا إلى البراز، فقام إليه أبوه أبو بكر رضي الله عنه ليبارزه، وقالَ لرَسُول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم دَعْنِي أكن في الرَّعْلَة الأولَى[٢]، فقالَ رسُول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «متّعنا بِنَفْسِك يا أَبا بكر، أما تعلمُ أَنَّك عِنْدِي بِمَنْزِلة سَمْعِي وبصري»[٣].

هذا ومن أهم الأمور التي يلزم أن يتعلّمها المجاهد، الوضوء، والتيمم، وأحكام النجاسات، وصلاة الخوف، وصلاة الجنائز، والمسح على الجبائر وغيرها مما يحتاجُه المجاهد.

فتعلّم هذه الأمور فيه تبرِئة لذمَّة المسلم بأن تكون عبادته على الوجه الصحيح، وقد يكون تعلّم هذه الأمور سبباً لإنقاذ حياة مسلم، أو يكون الجهل بها سبباً لموت مسلم، كما مرّ معنا من رواية أبي داود عن جَابِرٍ رضي الله عنه أنه قال: خَرَجْنا في سَفَرٍ، فأَصابَ رَجُلًا مِنَّا حَجَرٌ، فَشَجَّهُ في رَأْسِهِ، ثُمَّ احْتَلَمَ، فَسَأَلَ أَصْحابَهُ فقال: هل تَجِدُونَ لي رُخْصَةً في التَّيَمُّمِ؟

فَقَالُوا: ما نَجِدُ لك رُخْصَةً وَأَنْتَ تَقْدِرُ على المَاءِ، فَاغْتَسَلَ فَماتَ.

فلَمَّا قَدِمْنا على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أُخْبِرَ بِذَلِكَ، فقال: «قَتَلُوهُ، قَتَلَهُمُ الله! ألا سَأَلُوا إِذْ لم يَعْلَموا، فَإِنَّما شِفاءُ العِيِّ السُّؤَالُ، إنما كان يَكْفِيهِ أَنْ يَتَيَمَّمَ وَيَعْصِبَ على جُرْحِهِ خِرْقَةً، ثُمَّ يَمْسَحَ عليها وَيَغْسِلَ سَائِرَ جَسَدِهِ»[٤].

---

(١) وذلك قبل إسلامه.

(٢) طليعة الخيل.

(٣) السيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون) ٢/ ٢٣١.

(٤) سنن أبي داود رقم٣٣٦.

القاعدة الرابعة والثمانون
دعم المؤسّسة العَسْكَرِيَّة بالعلوم النفسية

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥].

قال الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس: ٧-٨].

من عظيم تكوين النفس أنه أقسَم الله تعالى بها، وبما أودعَه الله تعالى فيها من قابليتها للضلال أو الهدى، وكلّ إنسان يعمل بما تواطأت عليه نفسه، فكانت السبب الأول في نجاته أو هلاكه.

وتبقى مُهِمَّة علماء النفس هي تحليل المواقف الإيجابية والسلبية، ثم تعزيز المواقف الإيجابية، وتقديم الحلول للمواقف السلبية، وهذا الأمر يشمل جميع من يعمل في المؤسّسة العسكرية من القائد العام مرورًا بالجندي إلى الطباخ، بل يقوم هؤلاء المختصّون على تحليل نفسيّة العدوّ الخصم، وبيان ما عنده من دوافع ورغبات، وكيفية الوصول إليه، والحيازة عليه، وفي الآية الأولى بيّن الله سبب الهزيمة في حُنين؛ وهو إعجاب النفوس بكثرة الجنود، فأراد الله أن يعلِّمَهم أنَّ الكثرة ليست من أسباب النصر، وأن الناصر الحقيقي هو الله تعالى.

وكان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يستعينُ بوزراء كأبي بكر رضي الله عنه لتحليل المواقف، والحكم عليها، ومن ثمَّ تقديم الحلول لها.

ومن الشواهد على ذلك ما رواه أحمد وغيره عَنِ المِسْوَرِ بنِ مَخْرَمةَ، وَمَرْوانَ ابنِ الحَكَمِ.. قالَا: خَرَجَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ زَمانَ الحُدَيْبِيةِ في بِضْع عَشْرةَ مِئةً مِنْ أَصْحابِهِ، حَتَّى إذا كانُوا بِذِي الحُلَيْفةِ، قَلَّدَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ الهَدْيَ وَأَشْعَرَهُ، وَأَحْرَمَ بِالعُمْرةِ، وَبَعَثَ بين يَدَيْهِ عَيْنًا لَهُ مِنْ خُزاعةَ يُخْبِرُهُ عن قُرَيْشٍ.

وَسارَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ حَتَّى إذا كانَ بِغَدِيرِ الأَشْطاطِ قَرِيبٌ مِنْ عُسْفانَ[1]، أَتاهُ عَيْنُهُ الخُزاعِيُّ، فقالَ: إِنِّي قد تَرَكْتُ كَعْبَ ابنَ لُؤَيٍّ وَعامِرَ بنَ لُؤَيٍّ قد جَمَعوا لَكَ.. الأَحابِيشَ وَجَمَعُوا لَكَ جُموعًا، وَهُمْ مُقاتِلوكَ وَصَادُّوكَ عَنِ البَيْتِ.

فقالَ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: «أَشيروا عَلَيَّ، أَتَرَوْنَ أَنْ نَمِيلَ إلى ذَرارِيِّ هؤلاءِ الَّذِينَ أَعانوهُمْ فَنُصِيبَهُمْ، فَإِنْ قَعَدوا قَعَدوا مَوْتُورِينَ مَحْروبِينَ.. أو تَرَوْنَ أَنْ نَؤُمَّ البَيْتَ، فَمَنْ صَدَّنا عَنْهُ قاتَلْناهُ».

فقالَ أَبو بَكْرٍ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، يا نَبِيَّ الله، إِنَّما جِئْنا مُعْتَمِرِينَ، وَلَمْ نَجِئْ نُقاتِلُ أَحَدًا، وَلَكِنْ مَنْ حالَ بَيْنَنا وبينَ البَيْتِ قاتَلْناهُ.

فقالَ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: «فَرُوحُوا إِذًا».

فَرَاحُوا حَتَّى إذا كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، قالَ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: إِنَّ خالِدَ بنَ الوَلِيدِ بِالغَمِيمِ[2] في خَيْلٍ لِقُرَيْشٍ طَلِيعةً، فَخُذُوا ذاتَ

(١) تقدّم التعريف بالأماكن تحت عنوان: الشورى.

(٢) الغميم: أي كُراع الغميم: يقع جنوب عسفان بـ ١٦كم بين الجموم وعسفان، على الطريق

اليَمينِ، فَوَاللهِ ما شَعَرَ بِهِمْ خالِدٌ حَتَّى إذا هُوَ بِقَتَرةِ الجيْشِ[1]، فَانْطَلَقَ يَرْكُضُ نَذِيرًا لِقُرَيْشٍ..

ثُمَّ قالَ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَسْأَلونِي خُطَّةً يُعَظِّمونَ فِيها حُرُماتِ اللهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاها، وَإِنْ هُمْ أَبَوْا، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأُقَاتِلَنَّهُمْ على أَمْرِي هذا حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي أو لَيُنْفِذَنَّ اللهُ أَمْرَهُ».

وقالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي كِنانةَ: دَعُوني آتِيهِ، فَقَالُوا: ائْتِهِ، فَلَمّا أَشْرَفَ على النَّبِيِّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم وَأَصْحابِهِ، قالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «هذا فُلَانٌ، وَهُوَ مِنْ قَوْمٍ يُعَظِّمونَ البُدْنَ، فَابْعَثوها لَهُ»، فَبُعِثَتْ لَهُ، وَاسْتَقْبَلَهُ القَوْمُ يُلَبُّونَ، فَلَمّا رَأَى ذَلِكَ، قالَ: سُبْحانَ اللهِ، ما يَنْبَغِي لِهَؤُلَاءِ أَنْ يُصَدُّوا عَنِ البَيْتِ.

قالَ: فَلَمّا رَجَعَ إلى أَصْحابِهِ، قالَ: رأيتُ البُدْنَ قد قُلِّدَتْ وَأُشْعِرَتْ، فَلَمْ أَرَ أَنْ يُصَدُّوا عَنِ البَيْتِ.

فَقامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقالُ لَهُ: مِكْرَزُ بنُ حَفْصٍ، فقالَ: دَعُونِي آتِهِ.

فَقَالُوا: ائْتِهِ.

فَلَمّا أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ، قالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم: هذا مِكْرَزٌ، وَهُوَ رَجُلٌ فَاجِرٌ.

المتجهة لمكة على بعد ٦٤كم من مكة، وتُعرَف اليوم ببرقاء الغميم. معجم المعالم الجغرافية ١/ ٢٦٣. وقريباً منه قرية الشامية.

الإحداثيات: "٣٩°٢٧'١٧,٦٦ ٢١°٤٩'٣٨,٥٥"

(١) الغبار الأسود الذي تُثيره حوافر الدوابّ.

فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فَبَيْنا هُوَ يُكَلِّمُهُ، إِذْ جاءَهُ سُهَيْلُ بنُ عَمْرٍو، قالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «سَهُلَ مِنْ أَمْرِكُمْ».

قالَ الزُّهْرِيُّ في حَدِيثِهِ: فَجاءَ سُهَيْلُ بنُ عَمْرٍو، فقالَ: هَاتِ اكْتُبْ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ كِتابًا، فَدَعا الكَاتِبَ، فقالَ رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «اكْتُبْ بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ..»[1].

وفي هذا الحديث بتمامه من الفوائد التربوية النفسية الكثيرة، ومنها:

١ـ استشارة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم الصحابة بقوله: «أَشيروا عَلَيَّ» فهذا من أعظم مفاتيح استشراف النفوس ومعرفة ما بداخلها، ومعرفة توجّهاتها، ومرامي قصدها.

٢ـ يُلاحَظ من موقف قريش أنها بعثت خالداً (قبل إسلامه) بكلِّ زُهُوٍّ وتكبّر لصدِّ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم والصحابة رضوان الله عليهم، وكيف استطاع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم تَجَنُّبَهُ، لا خوفاً منه، بل إنه ليس من أهدافه، وبهذا أشار أبو بكر الصّدّيق رضي الله عنه عندما قال: إِنَّمَا جِئْنا مُعْتَمِرِينَ، وَلَمْ نَجِئْ نُقاتِلُ أَحَدًا..

٣ـ لما جاء الرجل الكناني أمرَ النبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم الصحابة باستقباله بالجمال التي أُشْعِرت لنحرها في البيت الحرام قُربةً لله تعالى، فأدخل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى قلبِه أنه رجل سِلْمٍ وليس برجلِ حرب، وانعكس هذا على نفسِه بأن طلب من قريش ترك النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم والصحابة زيارة البيت الحرام.

---

(١) مسند الإمام أحمد رقم ١٨٩٢٨، والحديث في صحيح البخاري رقم ٢٧٣١، ٢٧٣٢.

٤ـ لما جاء مِكْرَزُ بنُ حَفْصٍ قال عنه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بـأنه فاجر، لا يَحترم شعائر الله، ولا يجري على يديه صلح.

٥ـ وبقدوم سُهَيْلِ بنِ عَمْرٍو أخبر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأنه ستسهُل الأمور، وهذا من خبرة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأحوال الرجال ونفسياتهم ومستوى أخلاقهم وفِراسته بهم.

ومن الشواهد التي مرَّ ذكرها معنا، والتي تدلُّ على خبرة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بنفسيّة عدوّه، وما لها من طاقات تؤثر في الآخرين؛ ما رواه أحمد وابن حبان وغيرهما عَنْ عبد الله بنِ أُنَيْسٍ أنه قالَ: دَعاهُ رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقالَ: «**إِنَّهُ قد بَلَغَني أَنَّ خالدَ بنَ سُفْيانَ بنَ نُبَيْحٍ الهُذَلِيَّ جَمَعَ لِيَ النَّاسَ لِيَغزُوَني وَهُو بِنَخْلَةَ أو بِعُرَنَةَ**[1] **فَأْتِهِ**».

قالَ: قُلْتُ: يا رسولَ الله! انْعَتْهُ لِي حَتَّى أَعْرِفَهُ؟

قالَ: «آيةُ ما بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ؛ أَنَّكَ إذا رَأَيْتَهُ وَجَدْتَ لَهُ قُشَعْرِيرةً».

قالَ: فَخَرَجْتُ مُتَوَشِّحًا بِسَيْفِي حَتَّى دُفِعْتُ إِلَيْهِ، وَهُوَ في ظُعُنٍ يَرْتَادُ لَهُنَّ مَنْزِلاً حِينَ كانَ وَقْتُ العَصْرِ، فَلَمّا رَأَيْتُهُ وَجَدْتُ ما وَصَفَ لِي رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم مِنَ القُشَعْرِيرةِ..[2].

* * *

(١) تقدّم الحديث عن هذه المناطق تحت عنوان: التجسس على الأعداء.

(٢) مسند أحمد بن حنبل رقم ١٦٠٩٠، وصحيح ابن حبان رقم ٧١٦٠.

القاعدة الخامسة والثمانون
حماية الحدود وتحصينها

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من أشدّ القادة تيقُّظاً لما يُحيكُه أعداؤه من كيدٍ ضِدَّ دولته، وقد عمل على تحصين الدّولة بإعداد المرابطين في جميع أطراف دولة الإسلام، فكانت الأخبار تأتيه مباشرة عن أي تحرُّك هجوميّ ضدّ المسلمين، لذا حثّ الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ كما تقدّم معنا عند الحديث عن فضل الرباط في سبيل الله، وذكرنا بعض الأدلة ـ على ذلك؛ ومنها ما رواه البخاري رحمه الله تعالى، عن سهل بن سعد الساعديّ رضي الله عنه: أن رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ قال: «رباطُ يومٍ في سبيلِ الله خيرٌ من الدنيا وما عليها، وموضعُ سوطِ أحدكم منَ الجنةِ خيرٌ منَ الدنيا وما عليها، والروحةُ يروحُها العبدُ في سبيلِ الله أوِ الغدوةُ، خيرٌ منَ الدنيا وما عليها»(١).

والرباط هو المقام في كل مكان يتوقع هجوم الأعداء منه، استعداداً للجهاد، إذا احتيج إليه؛ لإعزاز الدِّين وحراسة المسلمين، ودفع شرّ المشركين عنهم.

---

(١) صحيح البخاري رقم ٢٧٣٥.

وقوله: «موضع سوط أحدكم من الجنة» يريد ما صغر في الجنة من المواضع كلّها؛ من بساتينها وأرضها.

ومن أهم عدّة الرباط رباط الخيل، ويُقاس عليها جميع أنواع المراكب من طيارات وسيارات ومدرّعات ودبابات.. والأصل فيه قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠].

ورباط الخيل يكون في كلّ مكانٍ، سواء كان في قرب العدوّ، أو في وسط البلاد؛ فكلّ مَن اتّخذ خيلاً بنية الرباط، صحَّت نيته وجوزي عليها خيراً؛ لما ذكرناه من حديث الشيخَين عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله تعالى عنه أنَّ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ قال: «الخَيْلُ لِثَلاثةٍ: لِرَجُلٍ أجْرٌ، ولِرَجُلٍ سِتْرٌ، وعَلى رَجُلٍ وِزْرٌ، فأمَّا الَّذي لَهُ أجْرٌ؛ فَرَجُلٌ ربَطَها في سَبِيلِ الله فأطالَ في مَرْجٍ أوْ رَوْضةٍ، فَما أصابَتْ في طِيَلِها ذلك مِنَ المَرْجِ أو الرَّوْضةِ كانَتْ لَهُ حَسَناتٍ، ولَوْ أنَّها قَطَعَتْ طِيَلَها فاسْتَنَّت شَرَفاً أوْ شَرَفَينِ، كانَتْ أرْواثُها وآثارُها حَسَناتٍ لَهُ، ولَوْ أنَّها مَرَّتْ بِنَهْرٍ فشَرِبَتْ مِنْهُ، ولمْ يُرِدْ أنْ يَسْقِيَها، كانَ ذَلَكَ حَسناتٍ لَهُ..»[1].

والرباط في ثغور المسلمين وحياطتها، وعمارتها بكلّ مستلزماتها من

(١) صحيح البخاري رقم ٢٧٠٥، وصحيح مسلم رقم ٩٨٧.
قوله: «في مرج أو روضة» شكّ من الراوي، والمرج: موضع الكلأ، وأكثر ما يُطلَق على الموضع المطمئنّ، والروضة: أكثر ما يُطلَق على الموضع المرتفع، وقال ابن الأثير: المرج الأرض الواسعة ذات نبات كثير، تمرج فيها الدوابّ، أي: تخلّى تسرح مختلطة كيف شاءت، والروضة: الموضع الذي يستنقع فيه الماء، قوله: «طيلها» بكسر الطاء المهملة وفتح الياء آخر الحروف بعدها لام: وهو الحبل الذي تُرْبط به ويطول لها لترعى، قوله: «فاستنت» من الاستنان وهو العَدْوُ، و«الشرف» الشوط. عمدة القاري ١٤/ ١٥١، والنهاية لابن الأثير ٤/ ٣١٥.

أجهزة المراقبة واجب كالجهاد[١]؛ بمعنى أنه فرض كفائيّ عندما يكون المسلمون متغلّبين على أعدائهم، وفرضُ عينيٌّ إذا قارب الكفار أرض الإسلام أو دخلوا بلداً مسلماً، ودليل ذلك ما مرَّ من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ..﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة: ٥].

هذا ومحل الشاهد على وجوب الرباط هو قوله: ﴿وَرَابِطُواْ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖ﴾.

والمِرْصادُ: المَكانُ يُرْصَدُ فيه العَدُوُّ، والرَّصَدُ: القوم يَرْصُدون كالحَرَس، قال الطبري رحمه الله تعالى: معناها: اقعدوا لهم بالطلب لقتلهم أو أَسْرِهم كلّ طريق ومَرقب، وهو من قول القائل: رصدتُ فلاناً أرصُده رَصْداً، بمعنى: رقَبْتُه[٢].

* * *

(١) الفواكه الدواني ١/ ٤٠٦.
(٢) تفسير الطبري ١٠/ ٥٥، ولسان العرب مادة رصد.

الفصل الخامس
منطلق الخطط العسكرية

٨٦ـ الجاهزية القتالية.

٨٧ـ التورية المكانية.

٨٨ـ اختيار المواقيت الزمانية.

٨٩ـ اختيار المواقع الاستراتيجية.

٩٠ـ استخدام عنصري المفاجأة والمداهمة في الحرب.

٩١ـ قطع الإمداد عن الأعداء.

٩٢ـ حرب العصابات في أرض الأعداء.

٩٣ـ الترشيد في استخدام الأسلحة.

٩٤ـ السياسة الحربية في إدخال الرهبة والخوف في قلب العدوّ.

٩٥ـ تجنّب المواجهة القتالية.

٩٦ـ مواجهة المواقف الصعبة بالتدابير المناسبة لها.

٩٧ـ نقل الحرب إلى أرض العدوّ.

٩٨ـ تبييت الغارات.

٩٩ـ المراسلات في المهمّات العسكرية.

١٠٠ـ توحيد صفوف المسلمين.

القاعدة السادسة والثمانون
الجاهزية القتالية

قال الله تعالى: ﴿..وَخُذُواْ حِذۡرَكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾ [النساء: ١٠٢].

مَرَّ معنا أنَّ الله تعالى أباح في الحرب الصلاة بكيفية تختلف عما هو عليه في الصلاة العادية، وهي عبارة عن صلاة الخوف، والهدف من ذلك هو بقاء الجندي على أُهبة الاستعداد القتالي، وحتى لا يجد العدوّ فرصة للغدر أو النَّيل من المسلمين؛ وإن كانت هناك ثمّة عبادة، فكان من عظيم الشرع أنْ وازنَ بين سلامة الأبدان وصلاح الأديان.

ومن الشواهد على جاهزية القتال؛ ما رواه الشيخان عن أَنَسِ بن مالِكٍ رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أَحْسَنَ الناس، وكان أَجْوَدَ الناس، وكان أَشْجَعَ الناس، وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ المَدِينةِ ذاتَ لَيْلةٍ، فَانْطَلَقَ نَاسٌ قِبَلَ الصَّوْتِ، فَتَلَقَّاهُمْ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم رَاجِعًا، وقد سَبَقَهُمْ إلى الصَّوْتِ وهو على فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحةَ عُرْيٍ في عُنُقِهِ السَّيْفُ، وهو يقول: «لم تُراعوا لم تُرَاعُوا»، قال: «وَجَدْناهُ[1] بَحْرًا» أو: «إنه لَبَحْرٌ»، قال: وكان فَرَسًا يُبَطَّأُ[2].

وهذه شجاعة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما لها مثيل!

---

(١) أي الفرس.

(٢) صحيح البخاري رقم٥٦٨٦، وصحيح مسلم رقم ٢٣٠٧.

القاعدة السابعة والثمانون
التورية المكانية

قال الله تعالى: ﴿..وَخُذُواْ حِذۡرَكُمۡ..﴾ [النساء: ١٠٢].

لا يقتصر الحذر على تَرَقُّبِ الأمورِ السلبية والحساب لها، بل يشمل إعداد الخطط وتوقّع المخاطر، وتداركها قبل وقوعها، فمعرفة العدوّ كيفية تحرّك الجيش هو من المخاطر التي تُوقِعُه في شِباك الصيد، وإخفاء التحرّكات عن العدوّ بإحدى الطرق وهي التورية؛ هو من أَخْذِ الحذَر الذي أمر الله تعالى به، كما في الآية السابقة.

فالتورية عندَ اختيار الجهة المقصودة للجهاد أنْ تتكلَّم بكلام يَفهَمُ السامع منك شيئاً وتريدُ أنت شيئاً آخر تحاشياً للكذب، وهي من وسائل التمويه في الحرب، والأصل فيها ما رواه البخاري ومسلم عن جَابِر رضي الله عنهما أنه قال: قالَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ: «الحَرْبُ خَدْعةٌ»(١).

والخداع: إظهارُ أَمْرٍ وإضمارُ خلافه، وفيه التحريضُ على أَخْذِ الحذر في الحرب والندب إلى خداع الكفار، وأنَّ مَن لم يتيقّظ لذلك لم يأمن انعكاس الأمر عليه، ويصير الخداع بأساليب كثيرة منها الكمين للعدو، والوشاية بين صفوفه.

ومن الشواهد على ذلك ما رواه الشيخان عن كعب بن مالك رضي الله عنه أنه قال: كان رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ قَلَّما يُرِيدُ غَزْوةً يَغْزُوها إلا

(١) صحيح البخاري رقم ٣٠٣٠، وصحيح مسلم رقم ٤٦٣٧.

وَرَّى بِغَيْرِها، حتى كانت غَزْوةُ تَبُوك[١]، فَغَزاها رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في حَرٍّ شَديدٍ، وَاسْتَقْبَلَ سَفرًا بَعيدًا وَمَفازًا، وَاسْتَقْبَلَ غَزْوَ عَدُوٍّ كَثيرٍ، فَجَلَّى لِلْمُسْلِمينَ أَمْرَهُمْ؛ لِيَتَأَهَّبُوا أهبة عَدُوِّهِمْ، وَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الذي يُرِيدُ[٢].

وقد تكون التورية بالفعل، كما فعل النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ عندما أرادَ فتح مكة؛ إذ وجَّه سريةً بقيادة أَبي قَتادةَ الحارِثِ بنِ رِبْعِيٍّ رضي الله عنه إلى بطن إِضَمٍ[٣]، بين ذي خُشُب[٤] وذي المروة[٥]، فظنّ الناس أنه متوجّه

---

(١) تقدّم ذكر إحداثيات الغزوة تحت عنوان: أهمية التعرّف على مواقع الغزوات وأزمنتها في التخطيط الاستراتيجي.

(٢) صحيح البخاري رقم ٢٧٨٨، وصحيح مسلم رقم ٢٧٦٩. ويراجع فتح الباري ٨ / ١١٧.

(٣) بطن إضم: ويسمى بوادي إضم، لتضامّ السيول عنده، حيث تجتمع سيول أودية بطحان، وقناة، والعقيق، وتكوّن مَسيلاً واحدًا، يَصِلُ إلى البحر الأحمر، وبعد ذلك يسمّى «وادي الحمض». المعالم الأثيرة في السنة والسيرة ص٢٩.
ويُقدّر بُعد المكان عن المدينة المنورة/ تبوك ٦٧كم.
الإحداثيات: "٣٨°٥٩'١٨,٥٧ "٢٤°٥٦'٥٢,٨٤

(٤) ذي خشب: سبق ذِكرها أنها المندسة على طريق المدينة المنورة/ تبوك نحو ٣٥كم عن المدينة.
الإحداثيات: "٣٩°٢١'٣٣,٩١ "٢٤°٣٥'٢٧,١٧

(٥) ذي المروة: وتسمى اليوم أم زرب، شمال غرب المدينة المنورة على بعد ١٨٠كم. يراجع موقع فريق الصحراء.
قال في المعالم الأثيرة في السنة والسيرة ص ٢٥١ : وروي أن رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ نزل بذي المروة، وصلّى بها الفجر، وتُعَدّ من وادي القرى، أو بين خشب ووادي القرى، وهي من مراحل طريق رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ إلى تبوك.
الإحداثيات: "٣٨°٢٦'٥١,٨٨"٢٥°٣٨'٧,٥١

إلى غزو تلك الناحية، حتى تذهب بذلك الأخبار إلى مكة[١].

ومن التورية الفعلية ـ ما تقدّم ذِكْرُه عن غزوة بني لِحْيان ـ ما قاله ابنُ سعد رحمه الله تعالى في سيرته: ثمّ غزوة رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ بني لحيان، وكانوا بناحية عُسفان[٢] في شهر ربيع الأول سنة ستّ من مُهاجَره، قالوا: وجَدَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ على عاصم بن ثابت وأصحابه وَجْداً شديداً، فأظهرَ أنه يريد الشام، وعسكر في مائتي رجل ومعهم عشرون فرساً، واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم، ثم أسرع السَّير حتى انتهى إلى بطن غران، حيث كان مصاب أصحابه، فترحَّم عليهم ودعا لهم، فسمِعَت بهم بنو لحيان، فهربوا في رؤوس الجبال، فلم يَقدِر منهم على أحد..»[٣].

* * *

(١) الرحيق المختوم ص ٣٨٥.

(٢) تقدّم ذِكر الإحداثيات تحت عنوان: البعد الروحي في التعرّف على شخصية النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ العسكرية.

(٣) الطبقات الكبرى ٢/ ٧٨.

القاعدة الثامنة والثمانون
اختيار المواقيت الزمانية

قال الله تعالى: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا * فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا *[1] فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾ [العاديات: ١ - ٣].

في الآيات السابقة جمع الله بين أفضل الآلات القتالية في الحرب؛ وهي الخيل لما لها من جرأة في الإغارة، وما تتميّز به من السرعة، وبين اختيار أفضل الأزمنة لِعَدْوِها؛ وهو الصبح.

فكان رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ يُعِدُّ العُدّة في سبيل الله تعالى، ويختار زمن الخروج ووقت الوصول، فأمّا وقت الوصول؛ فكان مما يختاره الليل حيث يكون الناس نياماً، وينتظر طلوع الفجر ليتبيَّن إسلامَهم بالأذان أو لا، لاحتمال دخولهم في دين الله تعالى، مع علمِه سابقاً بأنهم باقون على كفرهم، وأنه بَلَغَتهم دعوة الله تعالى، وأنهم ناصبوه العداء من قبل، ولتتحقّق المباغتة من جانب آخر، كما ذكرنا من قبل في اختيار المواقيت المكانية، فقد وصل إلى خيبر ليلاً، وبدأ الحصار والمباغتة لأهل مكة ليلاً.

---

(١) العادِياتُ: جمعُ عادِيَةٍ، وَهي الخيلُ المسِرعاتُ فِي مَسيرِها، والمراد أن الله تعالى أَقْسَمَ بِالخيل المُسْرِعاتِ فِي سَيْرِها.
ضَبْحًا: أي أَنَّهَا تَضْبَحُ ضَبْحًا، بحيث يخرج الصَّوْتُ من أجوافِها عندَ جَرْيِها.
والمُورِيات: هي الخيلُ حين تُسرع فتضرب الحجارةَ بحوافرها فتقدَحُ النارُ منها. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٩/ ٦١.

وكان صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يُحبُّ الخروج في جهاده يوم الخميس، ومن الشواهد على ذلك ما رواه البخاري رحمه الله تعالى عن كعب ابن مالك رضي الله عنه أنّ النبيّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ خرجَ يومَ الخميسِ في غزوةِ تبوك وكانَ يُحبُّ أنْ يخرجَ يومَ الخميسِ(١).

قال العزُّ بنُ عبد السلام رحمه الله تعالى: ينبغي للمجاهد أن يخرج يوم الخميس اقتداءً برسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في أسفاره، لأن الأعمال تُعرَض على الله تعالى يوم الخميس، فيُعرَض عليه أن فلاناً خرج مجاهداً في سبيلك وابتغاء مرضاتك(٢).

❊ ❊ ❊

(١) صحيح البخاري رقم ٢٧٩٠.
(٢) أحكام الجهاد للعزّ بن عبد السلام ص٧٩.

القاعدة التاسعة والثمانون
اختيار المواقع الاستراتيجية

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٢١].

فكان صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يدرس ميدان القتال، ويختار أفضل الأمكنة المناسبة، بحيث تكون في صالحه عند قتال عدوّه، كأَنْ يختار جبلاً لتأمين عنصر الحماية، أو تلاًّ للمراقبة، كاختياره صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ ميدان القتال في بدر، وميدان القتال في أُحُد، وميدان المرابطة في غزوة حمراء الأسد[١] وتبوك، واختيار مكان الخندق يوم غزوة الخندق، وإليك الشاهد من غزوة بدر[٢]:

انْطَلَقَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ وَأَصْحابُهُ وَمَضَتْ قُرَيْشٌ حَتَّى نَزَلوا بِالعُدْوةِ القُصْوى مِنَ الوادي، وَالقُلُبُ[٣] بِبَدْرٍ في العُدْوَةِ الدُّنْيَا مِنْ بَطْنِ التَّلِّ إلى المَدِينةِ، وَأَرْسَلَ اللهُ السَّماءَ، وَكانَ الوادي دَهِسًا[٤] فَأَصابَ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ وَأَصْحابَهُ مِنْها ما لَبَّدَ لَهُمُ الأَرْضَ وَلَمْ يَمْنَعْهُمْ مِنَ

---

(١) حمراء الأسد: جبل أحمر جنوب غرب المدينة المنورة على طريق بدر على مسافة ٢٠كم، ويقع على الجانب الأيمن للطريق السريع، بعد أن تترك طريق الهجرة (مكة- المدينة) وتتّجه باتجاه طريق بدر وينبع، يأتيك الجبل على يمينك بعد المفرق بنحو ٤كم.

الإحداثيات: "٣٩°٣٠'٢٦,٤١ ٢٤°٢٢'١٤,١٠"

(٢) تقدّم بيان إحداثيات هذه المواقع.

(٣) الآبار.

(٤) تغيب الأقدام في رماله.

المَسِيرِ، وَأَصابَ قُرَيْشًا مِنْها ما لَمْ يَقْدِروا أَنْ يَرْتَحِلوا مَعَهُ.

فَسَارَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يُبَادِرُهُمْ إلى المَاءِ حَتَّى نَزَلَ بَدْرًا فَسَبَقَ قُرَيْشًا إِلَيْهِ.

فَلَمّا جاءَ أَدْنَى ماءٍ مِنْ بَدْرٍ نَزَلَ عَلَيْهِ، فقالَ لَهُ الحُبَابُ بنُ المُنْذِرِ: يا رسولَ الله، مَنْزِلٌ أَنْزَلَكَهُ اللهُ لَيْسَ لَنا أَنْ نَتَعَدَّاهُ وَلَا نُقَصِّرُ عَنْهُ، أَمْ هُوَ الرَّأْيُ وَالحَرْبُ وَالمَكِيدةُ؟

فقالَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: «بَلْ هُوَ الرَّأْيُ وَالحَرْبُ وَالمَكِيدةُ».

فقالَ الحُبَابُ: يا رسولَ الله، فَإِنَّ هذا لَيْسَ بِمَنْزِلٍ، وَلَكِنِ انْهَضْ حَتَّى تَجْعَلَ القُلُبَ كُلَّها مِنْ وَراءِ ظَهْرِكَ، ثُمَّ غوِّرْ كُلَّ قَلِيبٍ بِها إِلَّا قَلِيبًا وَاحِدًا، ثُمَّ احْفِرْ عليهِ حَوْضًا، فَنُقاتِلُ القَوْمَ فَنَشْرَبُ وَلَا يَشْرَبونَ، حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنا وَبَيْنَهُمْ.

فقالَ: «قد أَشَرْتَ بِالرَّأْيِ»، فَفَعَلَ ذَلِكَ، فَغُوِّرَتِ القُلُبُ، وَبَنى حَوْضًا على القَلِيبِ الَّذِي نَزَلَ عليهِ فَمُلِئَ ماءً، ثُمَّ قَذَفوا فِيهِ الآنِيَةَ[1].

وقد ذكر الله بعض ميادين المعركة فقال: ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٢].

ويمكن مراجعة بعض الصور الواقعية لغزوة بدر من كتابي «مصوّر غزوات النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وطريق الهجرة».

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/ ١٦٨، والجامع الصحيح للسنن والمسانيد لصهيب عبد الجبار ٩/ ٣٨٥.

القاعدة التسعون
استخدام عنصري المفاجأة والمداهمة في الحرب

قال الله تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُ..﴾ [الأنفال: ٦٢].

وقال تعالى: ﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ... فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعٗا﴾ [العاديات: ١، ٥].

وقال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ..﴾ [الأنفال: ٦٠].

تنوّعت أساليب الخطط الهجومية عند النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ؛ ومنها استخدام عنصر المباغتة، بأنْ يأتيه في وقت لا يتوقّع العدوُّ وصولَ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فلا يكون للعدوّ قدرة على التجهُّز للملاقاة، وخاصّة لمن أضمر حربه، فهذا الأسلوب وفَّر جهد المواجهة المباشرة مع أعدائه، وهذا من تأييد الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم؛ فهو حسيبُه وكفيلُه في ردِّ خِداع الأعداء ومكرهم.

وقد أشارت الآية الثانية إلى قدرة الخيل بفوارسها في توسُّط جمع العدوّ ومداهمتهم، وهو نوع من الإعداد المأمور به كما في الآية الثالثة.

ومن الأمثلة على استخدام عنصر المفاجأة؛ ما فعله النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ مع أهل مكة حين فتحها مع أن المسافة نحو ٤٥٠كم، فما وجدوا أنفسهم إلا وهم محاصرون.

وفي ذلك قال النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: «اللهمَّ خُذِ العيونَ والأخبارَ عن قريشٍ حتى نَبْغَتَهَا في بلادِها..»[١].

ومثله فتح خيبر، وهي تبعد عن المدينة المنورة ١٥٠ كم، ولم يعلموا بمجيء النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، إلا عندما وصلهم صباحاً، عندما خرجوا إلى حقولهم للعمل فيها.

روى الشيخان عن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ كانَ إذا غَزا بِنا قَوْمًا، لَمْ يَكُنْ يَغْزُو بِنا حَتَّى يُصْبِحَ وَيَنْظُرَ، فَإِنْ سَمِعَ أَذانًا كَفَّ عَنْهُمْ، وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ أَذانًا أَغارَ عَلَيْهِمْ.

قالَ: فَخَرَجْنا إلى خَيْبَرَ، فَانْتَهَيْنَا إِلَيْهِمْ لَيْلًا، فَلَمّا أَصْبَحَ وَلَمْ يَسْمَعْ أَذانًا رَكِبَ، وَرَكِبْتُ خَلْفَ أَبِي طَلْحَةَ، وَإِنَّ قَدَمِي لَتَمَسُّ قَدَمَ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ.

قالَ: فَخَرَجوا إِلَيْنا بِمَكاتِلِهِمْ وَمَساحِيهِمْ، فَلَمّا رَأَوُا النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، قالوا: مُحَمَّدٌ[٢] وَاللهِ، مُحَمَّدٌ[٣] وَالخَمِيسُ.

قالَ: فَلَمّا رَآهُمْ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ قالَ: «اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إذا نَزَلْنا بِساحةِ قَوْمٍ ﴿فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ [الصافات: ١٧٧]»[٤].

---

(١) السيرة النبوية ٥/ ٥٢، وتاريخ الطبري ٢/ ١٥٥.

(٢) صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

(٣) صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

(٤) صحيح البخاري رقم ٥٨٥، وصحيح مسلم رقم ١٣٦٥.

قوله: «مكاتلهم ومساحيهم» الزنبيل والمجارف من حديد، وقوله: «الخميسُ»: الجيش،=

وبعض ما سبق بيانه هو من عظيم رحمة النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ مع جنده وعظيم رحمته بالمغلوب أيضاً، لما في ذلك من تقليل سفك الدماء، وحبّاً منه صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في أن يُسلموا عند أَسْرهم، بدل قتلهم على الكفر، كما روى البخاري عن أَبِي هُرَيْرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، أنه قالَ: «عَجِبَ اللهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ في السَّلاسِلِ»[1].

يعني: الأُسارى الذين يأتي بهم أهل الإسلام في الأغلال والقيود ثم بعدَ ذلك يُسلِمون، وتصلح سرائرهم وأعمالهم فيكونون من أهل الجنة[2].

* * *

= سُمّي به لأنه مَقْسوم بخَمْسة أقسام: المُقَدّمة، والسَّاقة، والميْمنَة، والمَيْسرة، والقَلْب.

(١) صحيح البخاري رقم٣٠١٠.

(٢) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٧/ ٦٢.

القاعدة الحادية والتسعون
قطع الإمداد عن الأعداء

قال الله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأنفال: ٥٧].

قال الله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الحشر: ٥].

قطع المدد عن الأعداء، يعني منعَ وصول المعونة لهم؛ سواء أكانت مادية كمنع وصول قريش إلى الماء في غزوة بدر، أم كانت بشرية مثلما فعل النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ في التفريق بين يهود خيبر ومدّ غطفان لهم بالمعونة والمناصرة، وهذا من أنواع التنكيل والتشريد المأمور به في الآية السابقة.

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ حين خرج من المدينة إلى خيبر.. أقبل بجيشه حتى نزل بواد يقال له: الرَّجيع[١]، فنزلَ بينهمْ وبين غطفانَ[٢]، ليحولَ بينهم وبين أن يَمُدّوا أهل خيبرَ، وكانوا لهم

---

(١) وادي الرَّجيع: يقع في شمال خيبر، ويمرّ منه الطريق السريع المتّجه لتبوك، وهو قبل خيبر للقادم من تبوك بـ ١٠كم.
وفيه عَسْكَرَ النبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ومنه يذهب جيش المسلمين للقتال ويرجع، وفيه بقي عتاد الجيش والنساء والجرحى. وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ٤/ ٧٩.

الإحداثيات: "٣٩°١٧'٣,٧٥ "٢٥°٤٦'٧,٩١

(٢) غطفان: قبيلة كبيرة، ولها امتداد واسع في نجد، وقد حاربوا النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم=

مُظاهِرين[١] على رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، فلما سمعت غطفانُ بمنزل رسول الله من خيبر جمعوا له، ثم خرجوا ليظاهِروا يهودَ عليه، حتى إذا ساروا مَنْقَلةً [٢] سمعوا خلفهم في أموالهم وأهليهم حِسَّاً، ظنُّوا أن القوم قد خالفوا إليهم، فرجعوا على أعقابهم فأقاموا في أهاليهم وأموالهم، وخلوا بين رسول الله وبين خيبر.. يفتحها حِصناً حِصناً[٣].

وهذا الحديث له جانب التقاء مع الحديث الوارد في صحيح مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عن رسولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أَنَّهُ قالَ: «نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ على العَدُوِّ»[٤].

فالنصر بالرعب جندٌ من جنود الله؛ كان معجزة للنبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، وهو الآن كرامة للمجاهدين الصادقين من أُمّتِه، فمَن خاف الله تعالى خافه كلّ شيء.

* * *

= كثيراً، فغزاهم في الثاني عشر من ربيع الأول من السنة ٣هـ، وكان مكانهم عند بلدة النُّخيل، وهي بلدة وواد شمال الحناكية تبعد عنها نحو (١٥) كم، وتبعد النُّخيل عن المدينة المنورة ١٣٠كم، على طريق المدينة المنورة الرياض القديم.

الإحداثيات: "١٩,٨'٢٦°٤٠"١٣,١٤'٤°٢٥

(١) مؤيدين.

(٢) أي مرحلة نحو ٤٠كم.

(٣) سيرة ابن هشام٣/ ٣٤٥.

(٤) صحيح مسلم رقم ٨١٤.

القاعدة الثانية والتسعون
حرب العصابات في أرض الأعداء

قال الله تعالى: ﴿..قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

حرب العصابات أقل الحروب تكلفة، وأقدرها على الفتك بالدول المعادية، وهذه الحرب جائزة في الشرع ولها ـ في كثير من أحوالها ـ حُكم الحربِ المعروفة في الإسلام، إذ لا يجوز شَنُّها على من أسلمَ أو سالم.

والعصابة الحربية على قسمين: فإمّا أن تكون موجَّهة من القائد، أو بتكوين من شباب مُسلم في بلد غير مسلم، وحربهم هنا لا تجوز إنْ كان بينهم وبين البلد الذي يسكنونه عهد ودخلوا إليه بتأشيرة(١).

ومثال القسم الأول: ما رواه أبو داود عَنْ عبد الله بنِ أُنَيْسٍ أنه قالَ: بَعَثَنِي رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، إلى خالِدِ بنِ سُفْيانَ الهُذَلِيِّ، وَكانَ نَحْوَ عُرَنةَ وَعَرَفاتٍ، فقالَ: «اذْهَبْ فَاقْتُلْهُ».

قالَ: فَرَأَيْتُهُ وَحَضَرَتْ صَلَاةُ العَصْرِ، فَقُلْتُ: إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَكُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ما إِنْ أُؤخرِ الصَّلَاةَ، فَانْطَلَقْتُ أَمْشِي وَأَنَا أُصَلِّي أُومِئُ إِيماءً، نَحْوَهُ، فَلَمّا دَنَوْتُ مِنْهُ، قالَ لِي: مَنْ أَنْتَ؟

قُلْتُ: رَجُلٌ مِنَ العَرَبِ بَلَغَنِي أَنَّكَ تَجْمَعُ لِهَذا الرَّجُلِ، فَجِئْتُكَ في ذاكَ.

---

(١) والمسألة هنا تحتاج إلى مزيد بحث وقرارات من مجامع فقهية.

قالَ: إِنِّي لَفِي ذاكَ، فَمَشَيْتُ مَعَهُ سَاعَةً حَتَّى إذا أَمْكَنَنِي عَلَوْتُهُ بِسَيْفِي حَتَّى بَرَدَ[١].

ومثال ذلك أيضاً قتل كعب بن الأَشْرف فقد كانَ يَهْجو النَّبِيّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ وَالمُسْلِمِينَ وَيُحَرِّض قُرَيْشًا عَلَيْهِمْ.

فقد روى الشيخان عن جَابِر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُما، أنه قال: قالَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: «مَنْ لِكَعْبِ بنِ الأَشْرَفِ، فَإِنَّهُ قد آذَى اللهَ وَرَسُولَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ؟»

فقالَ مُحَمَّدُ بنُ مَسْلَمَةَ: أَنَا، فأَتاهُ، فقالَ: أَرَدْنا أَنْ تُسْلِفَنا وَسْقًا أو وَسْقَيْنِ، فقالَ: ارْهَنُونِي نِساءَكُمْ، قالوا: كَيْفَ نَرْهَنُكَ نِساءَنا وَأَنْتَ أَجْمَلُ العَرَبِ؟

قالَ: فارْهَنونِي أَبْناءكُمْ.

قالوا: كَيْفَ نَرْهَنُ أَبْناءَنا، فَيُسَبُّ أَحَدُهُمْ، فَيُقالُ: رُهِنَ بِوَسْقٍ، أو وَسْقَيْنِ؟ هذا عَارٌ عَلَيْنا، وَلَكِنَّا نَرْهَنُكَ اللَّأْمَةَ ـ يَعْنِي السِّلاَحَ ـ فَوَعَدَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ، فَقَتَلوهُ، ثُمَّ أَتَوُا النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ فَأَخْبَروهُ[٢].

ومثال القسم الثاني: ما رواه البخاريُّ من قصّة أبي بَصِير بعدما تمَّ صُلح الحُديبية، (حيثُ ردَّه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم مع مَبعُوثَي قريش فرجع معهما، فقتلَ أحدَهما أثناء رجوعه، ثم عاد للنبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم): فَجاءَ أَبو بَصيرٍ فقالَ: يا نَبِيَّ الله، قد والله أَوْفَى اللهُ ذِمَّتَكَ، قد رَدَدْتَني إِلَيْهِمْ، ثُمَّ أَنْجاني اللهُ مِنْهُمْ.

---

(١) سنن أبي داود رقم ١٢٤٩.

(٢) صحيح البخاري ٢٥١٠، وصحيح مسلم رقم ١١٩.

قالَ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: «وَيْلُ أُمِّهِ، مِسْعَرَ حَرْبٍ، لَوْ كانَ لَهُ أَحَدٌ»، فَلَمَّا سَمِعَ ذلك عَرَفَ أَنَّهُ سَيَرُدُّهُ إِلَيْهِمْ، فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى سِيفَ البَحْرِ(١).

قَالَ: وَيَنْفَلِتُ مِنْهُمْ أَبو جَنْدَلِ بنُ سُهَيْلٍ، فَلَحِقَ بِأَبِي بَصيرٍ، فَجَعَلَ لا يَخْرُجُ مِنْ قُرَيْشٍ رَجُلٌ قد أَسْلَمَ إِلَّا لَحِقَ بِأَبِي بَصيرٍ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ مِنْهُمْ عِصابةٌ..(٢).

وكانوا لا يظفرون برجل من قريش إلا قتلوه، ولا يمرُّ بهمْ عيرٌ إلا اقتطعوها، حَتَّى كتبتْ فيهم قريشٌ إلى رسولِ الله صَلَّى اللهُ علَيهِ وَعلى آله وسَلَّمَ يسألونَه بأرحامهم لَمَّا آواهم، فلا حاجةَ لنا بهم، ففعلَ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقَدِموا علَيهِ المدينة(٣).

❊ ❊ ❊

(١) أي جانب ساحل البحر الأحمر؛ وهو طريق قريش إلى الشام.
والمكان الذي نزلوه هو العِيْص، وَكانَ عددهم قريباً من ستين أو سبعين. أسد الغابة ٦/ ٣٢.
والعِيص: بلدة تبعد عن المدينة نحو ٢٥٠ كم باتجاه الشمال الغربي للمتّجه إلى ينبع.
الإحداثيات: "٣٤,٧٤ ٦'٣٨ °٣٢,٢٤ "٣'٢٥ °

(٢) صحيح البخاري رقم ٢٧٣١.
(٣) أسد الغابة ٦/ ٣٢.

القاعدة الثالثة والتسعون
الترشيد في استخدام الأسلحة

قال الله تعالى: ﴿..وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

الإسراف والتبذير في الشرع حرام، وأشدّ ما يكون في وقت الحاجة، لكن قد يأتي وقت على بعض الجند يسيطر عليه الخوف أو ما شابه ذلك، فيعمد إلى تفريغ أسلحتِه من غير تركيز على الهدف، وهذا ممنوع شرعاً.

لهذا كان النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ يعتمد سياسة الاقتصاد في حروبه، مع وضع السلاح المناسب في المكان المناسب والوقت المناسب، فلا يستخدم سلاحاً إلا في مكانه، وفي وقته المناسب، ولا يبدأ برمي عدوّه إلا إذا علم تحقّق هدفه.

ومن الأمثلة على ذلك ما رواه البخاري رحمه الله عن أَبِي أُسَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قالَ: قالَ لَنا رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ يَوْمَ بَدْرٍ: «إذا أَكْثَبوكُمْ[1] فَارْمُوهُمْ، وَاسْتَبْقُوا نَبْلَكُمْ»[2].

فالرسول صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ يقول لهم: لا تُطلِقوا هذه السهام إلا عندما يقتربون ويُصبحون في مَرمى السهام، وبعد ذلك ابدؤوا في ضربهم، وقوله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ: «واستبقوا نبلكم» أي: حافظوا على

(١) يَعْنِي كَثَروكُمْ.
(٢) صحيح البخاري رقم ٣٩٨٥.

الذخيرة، ولا تقوموا بإهدار هذه السهام، ثم يقول صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في حديث آخر عند أبي داود: «وَلَا تَسُلُّوا السُّيُوفَ حَتَّى يَغْشَوْكُمْ»[1].

أي: لا ترفعوا السيوف من أغمادها إلا بعد أن يقترب الجيش تماماً.

❊ ❊ ❊

(١) سنن أبي داود رقم٢٦٦٤.

القاعدة الرابعة والتسعون
السياسة الحربية في إدخال الرهبة والخوف في قلب العدوّ

قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ..﴾ [الأنفال: ٦٠].

قال الله تعالى: ﴿..سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢].

اشتملت الآيتان الكريمتان على معيارَين في الاستعداد الحربي:

الأول: الاستعداد الماديّ الكامل بكلّ عدَّة وسلاح؛ بحيث لا ينقص ميدانَ المعركة أيُّ مُتَطَلَّب.

والثاني: الاستعداد المعنويّ بإدخال الخوف والرعب في قلوب الأعداء بواسطة الاستعداد الأول، وهذا له شكل حقيقي؛ كأنْ يكونَ السلاحُ فتَّاكاً، وشكل ظاهريّ؛ كأن يكون بلون معيَّن، أو رسومات محدّدة، بحيث يخاف منها العدوّ.

ومن الأمثلة على السياسة الحربية في إدخال الرهبة والخوف في قلب العدوّ مع ترغيبه في الدخول في الإسلام؛ ما حدث مع أبي سفيان في فتح مكة.

فقد روى الطبرانيّ وأهلُ السِّيَر عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، قالَ: مَضَى رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ حَتَّى نَزَلَ مَرَّ الظَّهْرانِ[1] في عَشَرةِ آلافٍ مِنَ المُسلِمِين مِنْ

(١) واد فحل: من أودية الحجاز، ويمرّ شمال مكة على مسافة ٢٢كم، ويصبّ في البحر الأحمر =

مُزَيْنةَ وَسُلَيْم، وفي كُلِّ القَبائِلِ عَدَدٌ وَإِسْلامٌ، وَأَوْعَبَ مَعَ رسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ المُهاجِرونَ وَالأَنْصارُ، فَلَمْ يَتَخَلَّفْ مِنْهُمْ أَحَدٌ.

فَلَمّا نَزَلَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ بِمَرِّ الظَّهْرانِ، وقد عَمِيَتِ الأَخْبارُ عن قُرَيْشٍ، فَلَمْ يَأْتِهِمْ عن رسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ خَبَرٌ، وَلا يَدْرونَ ما هُوَ فاعِلٌ، خَرَجَ في تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَبو سُفْيانَ بن حَرْبٍ، وَحَكِيمُ بن حِزامٍ، وَبُدَيْلُ بن وَرْقاءَ يَتَحَسَّسونَ وَيَنْتَظِرونَ هَلْ يَجِدونَ خَبَرًا، أو يَسْمَعونَ بِهِ..

قالَ العَبَّاسُ: وَاصَباحَ قُرَيْشٍ، والله لَئِنْ دَخَلَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ مَكَّةَ عَنْوةً قَبْلَ أَنْ يَسْتَأْمِنُوهُ، إِنَّهُ لَهَلاكُ قُرَيْشٍ إلى آخِرِ الدَّهْرِ.

قالَ: فَجَلَسْتُ على بَغْلَةِ رسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ البَيْضاءِ، فَخَرَجْتُ عَلَيْها حَتَّى جِئْتُ الأَراكَ[1]، فَقُلْتُ: لَعَلِّي أَلْقَى بَعْضَ الحَطَّابَةِ، أو

= جنوب جدّة، ومن قراه: الجموم، وبحرة. ومن أقسامه: وادي فاطمة نسبة إلى فاطمة زوجة بركات بن أبي نميّ، أحد الأشراف الذين حكموا مكة. المعالم الأثيرة في السنة والسيرة ص ٢٥٠.

والمكان الذي عسكر فيه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان في الجموم، وعنده بُني مسجد سُمي بمسجد الفتح، وهو من المساجد التي صلى فيها النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم. يراجع وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ٣/ ١٧٢.

الإحداثيات: "٢١°٣٧'٣٧,٤٤ "٣٩°٤٢'٠,٦٣

(١) الأراك: موضع من وادي مرِّ الظهران بينه وبين مكة، فيه شجر الأراك، لقول أهل السيرة: فَخَرَجَ أَبُو سُفْيانَ وَحَكِيمُ بنُ حِزام، فَلَقِيا بُدَيْلَ بْنَ وَرْقَاءَ؛ فَاسْتَتْبَعَاهُ فَخَرَجَ مَعَهُما، فَلَمّا بَلَغوا الأَراكَ مِنْ مَرّ الظّهْرَانِ رَأَوْا الأَبْنِيَةَ وَالعَسْكَرَ وَالنّيرَانَ. مغازي الواقدي ٢/ ٨١٤، ودليل=

صاحِبَ لَبنٍ، أو ذا حاجةٍ يَأْتِي مَكَّةَ، فَيُخْبِرُهُمْ بِمَكانِ رسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ لِيَخْرُجوا إِلَيْهِ، فَيَسْتَأْمِنُوهُ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَها عَلَيْهِمْ عَنْوةً، قالَ: فَوَالله، إِنِّي لأَسِيرُ عَلَيْها، وأَلْتَمِسُ ما خَرَجْتُ لَهُ إِذْ سَمِعْتُ كَلامَ أَبِي سُفْيانَ..

قالَ: فَعَرَفْتُ صَوْتَهُ.

فَقُلْتُ: يا أَبا حَنْظَلَةَ، فَعَرَفَ صَوْتِي.

فقالَ: أَبو الفَضْلِ؟

فَقُلْتُ: نَعَمْ.

قالَ: ما لَكَ فِداكَ أَبِي وَأُمِّي؟!

فَقُلْتُ: وَيْحَكَ يا أَبا سُفْيانَ! هذا رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ في النَّاسِ وَاصَباحَ قُرَيْشٍ وَالله.

قالَ: فَما الحِيلةُ، فِداكَ أَبِي وَأُمِّي؟

قالَ: قُلْتُ: والله لَئِنْ ظَفَرَ بِكَ لَيَضْرِبَنَّ عُنُقَكَ، فَارْكَبْ مَعي هَذِهِ البَغْلَةَ حَتَّى آتِيَ بِكَ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ أَسْتَأْمِنُهُ لَكَ.

قالَ: فَرَكِبَ خَلْفِي وَرَجَعَ صاحِباهُ، فَحَرَّكْتُ بِهِ، كُلَّما مَرَرْتُ بنارٍ مِنْ نِيرانِ المُسْلِمِينَ.

= هذا أن العباس طلب الموضع الذي يكثر فيه شجر الأراك لعلّه يجد بعض الحطابة، أو بعض الرعاة، فيكون هذا الموضع في وادي مرّ الظهران أو قريباً منه.
وليس المقصود به الوادي الذي بقرب عرفة من ناحية الشام. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ١/ ١٣٤.

قالوا: مَنْ هَذا؟ فإذا رَأَوْا بَغْلَةَ رسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ، قَالُوا: عَمُّ رسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ على بَغْلَتِهِ، حَتَّى مَرَرْتُ بنارِ عُمَرَ بن الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فقالَ: مَنْ هَذَا؟ وَقامَ إِلَيَّ، فَلَمّا رَأَى أَبا سُفْيانَ على عَجُزِ البَغْلَةِ، قالَ: أَبو سُفْيانَ، عَدُوُّ الله؟! الحَمْدُ لله الَّذِي أَمْكَنَ مِنْكَ بِغَيْرِ عَقْدٍ وَلا عَهْدٍ، ثُمَّ خَرَجَ يَشْتَدُّ نَحْوَ رسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ، وَرَكَضَتِ البَغْلَةُ، فَسَبَقَتْهُ بِمَا تَسْبِقُ الدَّابَّةُ البَطِيئَةُ الرَّجُلَ الْبَطِيءَ، فَاقْتَحَمْتُ عَنِ البَغْلَةِ، فَدَخَلْتُ على رسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ، وَدَخَلَ عُمَرُ، فقالَ: يا رسولَ الله، هذا أَبو سُفْيانَ قد أَمْكَنَ اللهُ مِنْهُ بِغَيْرِ عَقْدٍ وَلا عَهْدٍ، فَدَعْنِي فَلأَضْرِبَ عُنُقَهُ.

قالَ: قُلْتُ: يَا رسولَ الله، إِنِّي أَجَرْتُهُ، ثُمَّ جَلَسْتُ إلى رسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ فَأَخَذْتُ بِرَأْسِهِ، فَقُلْتُ: لا وَالله، لا يُناجيهِ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ دُوني، فَلَمّا أَكْثَرَ عُمَرُ في شَأْنِهِ، قُلْتُ: مَهْلاً يا عُمَرُ، أَمَا والله لَوْ كانَ مِنْ رِجَالِ بني عَدِيٍّ ابن كَعْبٍ ما قُلْتَ هَذَا، وَلَكِنَّكَ عَرَفْتَ أَنَّهُ رَجُلٌ مِنْ رِجالِ بني عبد مَنافٍ.

قالَ: مَهْلاً يا عَبَّاسُ! فَوالله لَإِسلامُكَ يَوْمَ أَسْلَمْتَ كانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلامِ الخَطَّابِ لَوْ أَسْلَمَ، وَما بِي إِلا أَنِّي قد عَرَفْتُ أَنَّ إِسْلامَكَ كانَ أَحَبَّ إلى رسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ مِنْ إِسْلامِ الخَطَّابِ.

فقالَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ: «اذْهَبْ بِهِ إلى رَحْلِكَ يا عَبَّاسُ، فإذا أَصْبَحَ فَأْتِنِي بِهِ».

فَذَهَبْتُ بِهِ إلى رَحْلِي فَباتَ عِنْدِي، فَلَمّا أَصْبَحَ غَدَوْتُ بِهِ إلى رسولِ الله

صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، فَلَمّا رَآهُ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، قالَ: وَيْحَكَ يا أَبا سُفْيانَ، أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ؟

قالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، ما أَكْرَمَكَ وَأَوْصَلَكَ، والله لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنْ لَوْ كانَ مَعَ الله غَيْرُهُ لَقَدْ أَغْنَى عَنِّي شَيْئًا.

قَالَ: وَيْحَكَ يا أَبا سُفْيانَ، أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنِّي رسولُ الله؟

قالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، ما أَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَكَ وَأَوْصَلَكَ، هَذِهِ والله كانَ في نَفْسِي مِنْها شَيْءٌ حَتَّى الآنَ.

قالَ العَبَّاسُ: وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ، أَسْلِمْ، وَاشْهَدْ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رسولُ الله قَبْلَ أَنْ تُضْرَبَ عُنُقُكَ.

قالَ: فَشَهِدَ بِشَهادةِ الحَقِّ وَأَسْلَمَ.

قُلْتُ: يا رسولَ الله، إِنَّ أَبا سُفْيانَ رَجُلٌ يُحِبُّ هذا الفَخْرَ، فَاجْعَلْ لَهُ شَيْئًا.

قالَ: نَعَمْ؛ مَنْ دَخَلَ دارَ أَبِي سُفْيانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ بابَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ المَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ، فَلَمّا ذَهَبَ لِيَنْصَرِفَ، قالَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: يا عَبَّاسُ، احْبِسْهُ بِمَضِيقِ الوادي عِنْدَ خَطْمِ الجبَلِ[1]، حَتَّى تَمُرَّ بِهِ جُنُودُ الله فَيَراها.

---

(١) الموضع الذي حَبَسَ فيه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أبا سفيان ليرى جند الله يسمى المأزمَين؛ لأنه بين جبلَين، ويَبعُد عن مسجد الفتح نحو٣كم.

الإحداثيات: "٦٤,٨'٤٣°٣٩"٦٣,٣٤'٣٦°٢١ .

قَالَ: فَخَرَجْتُ بِهِ حَتَّى حَبَسْتُهُ حَيْثُ أَمَرَنِي رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ أَنْ أَحْبِسَهُ.

قالَ: وَمَرَّتْ بِهِ القَبائِلُ على راياتِها، كُلَّما مَرَّتْ قَبِيلةٌ، قالَ: مَنْ هَؤُلاءِ؟ فَأَقُولُ: سُلَيْمٌ، فَيَقولُ: مالِي وَلِسُلَيْمٍ؟

قالَ: ثُمَّ تَمُرُّ القَبِيلةُ، قالَ: مَنْ هَؤُلاءِ؟ فَأَقُولُ: مُزَيْنةُ، فَيَقولُ: مالِي وَلِمُزَيْنةَ؟

حَتَّى تَعَدَّتِ القَبائِلُ لا تَمُرُّ قَبِيلةٌ إلا، قال: مَنْ هَؤُلاءِ؟ فَأَقُولُ: بنو فُلانٍ، فَيَقولُ: مالِي وَلِبَنِي فُلانٍ، حَتَّى مَرَّ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في الخَضْراءِ؛ كَتِيبةٌ فيها المُهاجِرونَ وَالأَنْصارُ لا يرى مِنْهُمْ إلا الحَدَق، قالَ: سُبْحانَ الله، مَنْ هَؤُلاءِ يا عَبَّاسُ؟ قُلْتُ: هذا رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في المُهاجِرينَ وَالأَنْصارِ، قالَ: ما لأَحَدٍ بِهَؤُلاءِ قِبَلٌ وَلا طاقةٌ، والله يا أَبا الفَضْلِ، لَقَدْ أَصْبَحَ مُلْكُ ابنِ أَخيكَ الغَداةَ عَظيمًا، قُلْتُ: يا أَبا سُفْيانَ، إِنَّها النُّبُوَّةُ، قالَ: فَنَعَمْ إِذَنْ.

قُلْتُ: النَّجاءُ إلى قَوْمِكَ، قالَ: فَخَرَجَ حَتَّى إذا جاءَهُمْ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، هذا مُحَمَّدٌ قد جاءَكُمْ بِما لا قِبَلَ لَكُمْ بِهِ، فَمَنْ دَخَلَ دارَ أَبِي سُفْيانَ فَهُوَ آمِنٌ.

فَقامَتْ إِلَيْهِ امْرَأَتُهُ هِنْدُ بنتُ عُتْبةَ، فَأَخَذَتْ بِشارِبِهِ، فَقالَتْ: اقْتُلُوا الدَّسِمَ الأَحْمَسَ[1]، فَبِئْسَ مِنْ طَلِيعةِ قَوْمٍ.

قالَ: وَيْحَكُمْ، لا تَغُرَّنَّكُمْ هَذِهِ مِنْ أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّهُ قد جاءَ ما لا قِبَلَ لَكُمْ بِهِ، مَنْ دَخَلَ دارَ أَبِي سُفْيانَ، فَهُوَ آمِنٌ.

---

(١) نَسَبَتْهُ إلىَ الضّخْمِ وَالسّمَنِ، وَالأَحْمَسُ أَيْضًا الّذِي لاخير عِنْدَهُ. الروض الأنف ٧/ ٩٤. تريد: الأسود الدنيء.

قالوا: وَيْلَكَ وَما تُغْنِي عَنّا دارُكَ؟.

قالَ: وَمَنْ أَغْلَقَ بابَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ المَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ، فَتَفَرَّقَ النَّاسُ إلى دُورِهِمْ، وإلى المَسْجِدِ[1].

❊ ❊ ❊

(١) المعجم الكبير للطبراني رقم ٧١١٥.

القاعدة الخامسة والتسعون
تجنب المواجهة القتالية

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٧٧].

نزلت هذه الآية في جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً، كانوا يَلْقَون من المُشْرِكين أذًى شَديداً، قَبْل أن يُهاجروا إلى المَدِينةِ، فَيَشْكُون ذلك إلى الرَّسُول صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ويقولون: ائْذَن لَنا في قِتالِهِم، ويقول لَهُم الرَّسُول صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «كُفُّوا أيْدِيَكُم، فإني لَمْ أُومَر بقتالِهِمْ، واشْتَغِلُوا بإقامة دينكُم من الصَّلاة والزَّكاة»، فلمَّا هاجَر رسُول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلمَ إلى المدينةِ، وأُمِرَ بقتالهم في وَقْعة بَدْرٍ، كرهه بَعْضُهم وشقَّ عَلَيْه[1].

للقتال وقته ومكانه المحدّد شرعاً، وما خرج عن نطاق الشّرع كان محرَّماً، وبهذا التزم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم؛ فلم يُقاتِل إلا بعد أن أُمِرَ به.

وكان للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم سياسة الكفّ عن الاقتتال حيث لا داعي له، فهو كما وصفه الله تعالى أنه الرحمة للعالمين: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، رحمة بالمسلم وغير المسلم، فكان في

(١) اللباب في علوم الكتاب ٦/ ٥٠٠.

أحد أساليبه العسكرية يتجنّب المواجهة المباشرة لا خوفاً منه صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، بل اتّقاءً لسفكِ دماء المسلمين وغير المسلمين، وكان تجنّب المواجهة بأحد أمرَين:

إما عن طريق الغارات المفاجئة؛ كما فعلَ في غزوة بني المصطلق.

أو عن طريق تغيير الطريق، كما فعل في غزوة الحديبية.

فالأصل في غزوة الحديبية أنها كانت للعمرة، لكن تعاهدَت قريش على صدِّ النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ عن البيت الحرام، فَتَجَنَّب النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ قتالهم.

وشاهِدُ ذلك ما أخرجه أحمد رحمه الله عَنِ المِسْوَرِ بنِ مَخْرَمَةَ، وَمَرْوانَ بنِ الحَكَمِ، يُصَدِّقُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُما حَديثَ صاحِبِهِ قالَا: خَرَجَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ زَمانَ الحُدَيْبِيةِ في بِضْع عَشْرةَ مِائةٍ مِنْ أَصْحابِهِ، حَتَّى إذا كانُوا بِذِي الحُلَيْفةِ[1]، قَلَّدَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ الهَدْيَ وَأَشْعَرَهُ، وَأَحْرَمَ بِالعُمْرةِ، وَبَعَثَ بين يَدَيْهِ عَيْنًا لَهُ مِنْ خُزاعةَ يُخْبِرُهُ عن قُرَيْشٍ.

وَسارَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ حَتَّى إذا كانَ بِغَدِيرِ

(١) ذو الحليفة: ذو الحُلَيْفَة: موضع قريب من المدينة المنورة، يُحْرِمُ منه أهل المدينة ومن أتى عن طريقهم كأهل الشام.
وتُعرف هذه المنطقة الآن باسم «أبيار علي»، وهي أبعد المواقيت عن مكة، على طريق مكة، وتبلغ المسافة بينها وبين مكة ٤٢٠كم تقريباً، وتبلغ المسافة من ضفة وادي ذي الحليفة إلى المسجد النبوي ١٣كم.

الإحداثيات: "٠٩ ,٣٥'٣٢°٣٩ "٤٥ ,٤٩'٢٤°٢٤

الأَشْطاطِ قَرِيبٌ مِنْ عُسْفانَ[١]، أَتاهُ عَيْنُهُ الخُزاعِيُّ، فقالَ: إِنِّي قد تَرَكْتُ كَعْبَ ابنَ لُؤَيٍّ وَعامِرَ بنَ لُؤَيٍّ قد جَمَعوا لَكَ.. الأَحابِيشَ، وَجَمَعوا لَكَ جُموعًا، وَهُمْ مُقاتِلوكَ وَصادُّوكَ عَنِ البَيْتِ.

فقالَ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ: «أَشيروا عَلَيَّ، أَتَرَوْنَ أَنْ نَمِيلَ إلى ذَرارِيِّ هؤلاءِ الَّذِينَ أَعانوهُمْ فَنُصِيبَهُمْ، فَإِنْ قَعَدوا قَعَدوا مَوْتُورِينَ مَحْرُوبِينَ.. أو تَرَوْنَ أَنْ نَؤُمَّ البَيْتَ، فَمَنْ صَدَّنا عَنْهُ قاتَلْناهُ؟»

فقالَ أَبو بَكْرٍ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، يا نَبِيَّ الله! إِنَّما جِئْنا مُعْتَمِرِينَ، وَلَمْ نَجِئْ نُقاتِلُ أَحَدًا، وَلَكِنْ مَنْ حَالَ بَيْنَنا وبينَ البَيْتِ قاتَلْناهُ.

فقالَ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ: «فَرُوحُوا إِذًا».

فَرَاحُوا حَتَّى إذا كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، قالَ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ: «إِنَّ خالِدَ بنَ الوَلِيدِ بِالغَمِيمِ[٢] في خَيْلٍ لِقُرَيْشٍ طَلِيعةً، فَخُذوا ذاتَ اليَمِينِ»، فَوَاللهِ ما شَعَرَ بِهِمْ خَالِدٌ حَتَّى إذا هُوَ بِقَتَرَةِ الجَيْشِ[٣]، فانْطَلَقَ يَرْكُضُ نَذِيرًا لِقُرَيْشٍ..

ثُمَّ قالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَسْأَلوني خُطَّةً يُعَظِّمونَ فِيها حُرُماتِ اللهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاها، وَإِنْ هُمْ أَبَوْا، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأُقاتِلَنَّهُمْ على أَمْرِي هذا حَتَّى تَنْفَرِدَ سالِفَتِي[٤] أو لَيُنْفِذَنَّ اللهُ أَمْرَهُ»[٥].

---

(١) تقدم الحديث عن هذا المكان تحت عنوان القاعدة الحادية والعشرون الشورى.

(٢) تقدّم الحديث عن هذا المكان تحت عنوان: دعم المؤسسة العَسْكَرِيَّة بالعلوم النفسية.

(٣) الغبار الأسود الذي تثيره حوافر الدواب.

(٤) مُقَدَّم العنق.

(٥) مسند الإمام أحمد رقم ١٨٩٢٨.

القاعدة السادسة والتسعون
مواجهة المواقف الصعبة بالتدابير المناسبة لها

وصف الله تعالى أحد المواقف الصعبة على المسلمين في غزوة الخندق أو الأحزاب؛ حيث بلغ بهم الخوف مبلغاً زاغت منه الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر فزعاً مما حلَّ بهم من أهل الكفر؛ قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ۞ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۞ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا﴾ [الأحزاب: ٩-١١].

فلم تَخْلُ مواجهة قتالية للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم مع صحابته من مواقف صعبة، وكاد بعضها أن يوديَ بحياة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم، كما في معركة أُحُد، بل كانت المهالك تحيط به وبجيشه من كلّ جانب، فكانَ قَبلاً يتوقّع هذه المصاعب ويحسب لها، ويضع الحلول المناسبة لها، ويعمل على سرعة إيجادِ الحلِّ المناسب لها إن تفاجأ بها.

ومن المواقف الصعبة التي واجهها النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم الغدر، والخيانة من اليهود؛ كما حدث مع اليهود في غزوة الأحزاب، ومباغتة الكفار له وتفرّق الصحابة عنه؛ كما حدث في غزوة حنين، وترك الأوامر، كما فعل الرّماة في غزوة أُحُد، ونقل الأخبار للمشركين قبيل فتح مكة كما حدث لحاطب ابن أبي بَلْتَعة رضي الله تعالى عنه، ومنها قلّة الأكل واشتداد الجوع؛ كما صار في غزوة الأحزاب..

فكان من عظيم قدرة النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ العسكرية عدم الوقوف على الخطأ، بل القيامُ بتداركه بالإجراء اللازم له بما يتوافق مع مجريات الحرب..

ومن الشواهد على ذلك؛ أنه رغم ما حلّ به ـ صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وسلم ـ وبالصحابة الكرام من جراح يوم أُحُدٍ فقد بلغه أنَّ أبا سفيان نوى الرجوع إلى المدينة المنورة، لقتل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فخرج النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في اليوم التالي إلى حمراءِ الأسدِ[1] لصدِّ هُجُومِه إنْ حصلَ رجوعه فعلاً.

قالَ ابن إسحاق: فَلَمّا كانَ الغَدُ أَذّنَ مُؤَذّنُ رسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في النّاسِ بِطَلَبِ العَدُوّ، فَأَذّنَ مُؤَذّنُهُ أَنْ لَا يَخْرُجَنَّ مَعَنا أَحَدٌ إلّا أَحَدٌ حَضَرَ يَوْمَنا بِالأَمْسِ.

وَإِنّما خَرَجَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ مُرْهِبًا لِلعَدُوّ، وَلِيُبَلّغهُمْ أَنَّهُ خَرَجَ في طَلَبِهِمْ لِيَظُنّوا بِهِ قُوّةً، وَأَنّ الّذِي أَصابَهُمْ لَمْ يُوهِنْهُمْ عن عَدُوّهِمْ.

وقد مَرّ بِالنبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ مَعْبَدُ بنُ أَبِي مَعْبَدٍ الخُزاعِيّ، وَكانَت خُزاعةُ مُسْلِمُهُمْ وَمُشْرِكُهُمْ عَيْبَةَ نُصْحٍ لِرسولِ الله[2] بِتِهامةَ صَفْقَتُهُمْ مَعَهُ، لَا يُخْفُونَ عَنْهُ شَيْئًا كانَ بِها، وَمَعْبَدٌ يَوْمئِذٍ مُشْرِكٌ، فقالَ: يا مُحَمّدُ! أَمَا والله لَقَدْ

(١) تقدّم بيان مكان غزوة حمراء الأسد تحت عنوان: اختيار المواقع الاستراتيجية.
(٢) أي محلّ سرِّه وأمانته.

عَزَّ علَينا ما أَصابَك، وَلَوَدِدْنا أَنّ اللهَ عافاك فِيهِمْ.

ثُمّ خَرَجَ مَعْبَدُ حَتّى لَقِيَ أَبا سُفْيانَ بنَ حَرْبٍ وَمَنْ مَعَهُ بِالرّوْحاءِ[1]، وقد أَجمَعوا الرّجْعةَ إلى رسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ، وَقالوا: أَصَبْنا حَدَّ أصحابِهِ وَأَشْرافَهُمْ وَقادَتَهُمْ، ثُمّ نَرْجِعُ قَبْلَ أَنْ نَسْتَأْصِلَهُمْ، لَنَكُرّنَّ على بَقِيّتِهِمْ فَلْنَفْرُغَنّ مَعَهُمْ، فَلَمّا رَأَى أَبو سُفْيانَ مَعْبَدًا، قالَ: ما وَراءك يا مَعْبَدُ؟

قالَ: مُحَمّدٌ قد خَرَجَ في أصحابِهِ يَطْلُبُكُمْ في جَمْعٍ لَمْ أَرَ مِثْلَهُ قَطّ، يَتَحَرّقونَ عَلَيْكُمْ تَحَرّقًا، قد اجْتَمَعَ مَعَهُ مَنْ كانَ تَخَلّفَ عَنْهُ في يَوْمِكُمْ، وَنَدِمُوا على ما صَنَعوا، فِيهِمْ مِن الحَنَقِ عَلَيْكُمْ شَيْءٌ لَمْ أَرَ مِثْلَهُ قَطّ.

قالَ: وَيْحَك ما تَقُولُ؟

قالَ: والله ما أَرى أَنْ تَرْتَحِلَ حَتّى أَرَى نَواصِيَ الخَيْلِ.

قَالَ: فَوالله لَقَدْ أَجمَعْنَا الكَرّةَ عَلَيْهِمْ لِنَسْتَأْصِلَ بَقِيّتَهُمْ.

قالَ: فَإِنّي أَنهاك عن ذَلِكَ.

قالَ: والله لَقَدْ حَمَلَني ما رَأَيْت على أَنْ قُلْت فِيهِمْ أَبْيَاتًا مِنْ شِعْرٍ، قالَ: وَمَا قُلْت؟

---

(١) تقع الروحاء على بعد ٨٠ كيلو من المدينة المنورة على طريق مدينة بدر، كانت محطة للقوافل وهي على الطريق السريع، وعندها بئر يشرب منه المسافر، وهي من الآبار النبوية، وبجانبها مسجد صلى فيه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

الإحداثيات: "٢٤° ٤'٤١,٩٨"٣٩° ٩'٤١,٥١ .

قالَ: قُلْت:

كَادَتْ تُهَدّ مِن الأَصْواتِ راحِلَتي ... إذْ سالَت الأَرْضُ بِالجُرْدِ الأَبابيلِ

تَــرْدِي بِأُسْــد كِــرامٍ لَا تَنابِلةٍ ... عِنْــدَ اللّقَاءِ وَلَا مِيــلٍ مَعازِيلِ

فَظَلْتُ عَدْوًا أَظُنّ الأَرْضَ مائِلةً ... لَـمّا سَمَوْا بِرَئِيسٍ غَيْرِ مَخْذُولِ

فَقُلْت: وَيْلُ ابنِ حَرْبٍ مِنْ لِقائِكُم ... إذَا تَغَطْمَطَتِ البَطْحاءُ بِالخَيْلِ

إنّي نَذِيرٌ لِأَهْلِ البَسْــلِ ضَاحِيةً ... لِكُلّ ذِي إرْبَةٍ مِنْهُــمْ وَمَعْقُولِ

مِنْ جَيْشِ أَحْمَدَ لَا وَخْشٍ تَنابِلةٍ ... وَلَيْسَ يُوصَفُ ما أَنْذَرْت بِالقِيلِ

فَثَنَى ذلك أَبا سُفْيانَ وَمَنْ مَعَهُ[1].

هذا ومن عظيم قيادة النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ العسكرية في تدارك المواقف الصعبة؛ ما مرَّ معنا من أن زعيم المنافقين عبد الله بن أُبيٍّ ابن سَلُول انسحب يوم أُحُدٍ بثلُث جيش المسلمين، فلم يكن هذا الانسحاب هو السبب في خسارة المسلمين في الغزوة، بل لِتَرْك الرّماة أمر النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في الثبات على الجبل.

❊ ❊ ❊

(١) الروض الأنف ٣/ ٢٤٣.

القاعدة السابعة والتسعون
نقل الحرب إلى أرض العدوّ

قال الله تعالى: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ * قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ * قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢١- ٢٣].

قال الله عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ١٢٣].

لقد فرض الله تعالى على المسلمين جهاد المشركين، وبيَّن أنَّ أولى الجهات وأهمّها في الجهاد هو قتال المشركين الأقربين إلى ديار المسلمين، وبهذا تكون أرض المشركين محلًّا للقتال.

والدخول على أرض المشركين في أرضهم وهي أرض القدس، هو ما أشار به الرجلان الصالحان على بني إسرائيل؛ كما في الآية الأولى بأن يدخلوا على الجبابرة من باب المدينة مباغتة، لأنه بهذا يدخل الخوف والجبن إلى قلوب الجبابرة، فيقدرون على الانتصار عليهم.

فكان من عظيم سياسة النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم نقل الحرب إلى أرض العدوّ؛ ولا ينتظر قدوم العدوّ إليه، وهذا هو الأكثر في سياستِه

الحربية، إلا إنْ وَجَدَ أنَّ قُوَّة المسلمين وقوة المشركين غير متكافئة؛ فقد يجعل الحرب على أرضه، وحتى في هذه هو مَن يختار تحديد المكان لتأمين الحماية للمسلمين، وزيادة النكاية بالمشركين، كما حدَث في غزوة الخندق، فقد عرف صلى الله عليه وعلى آله وسلم مكان مجيئ المشركين، ثم حفره في وجههم، بالرغم من أنَّ الخندق لا يحيط بالمدينة إلا بطرف من الجهة الشمالية الغربية، واستطاع صدَّ هجومهم، ورجعوا خائبينَ خاسرين.

ونقل الحرب لأرض العدوّ فيه فوائد كبيرة، ومن أعظمها الخلاص من الدمار البيئيّ والقتل البشريّ إنْ حصلت الحرب في أرض الإسلام، بل يبقى الدمار في أرض العدوّ.

ومن الفوائد أنَّ جيش المسلمين لو فرَّ ـ لا سمح الله ـ لفرَّ إلى أرض أمان، فلا يقدر العدوّ على ملاحقتِه في أرضٍ ليست أرضه في أغلب الأحيان، وفي الوقت نفسه سيحصل المسلمون على مسافة زمنية لتأمين مدَدٍ يمنع وصول الكفار إليهم.

ومن شواهد ذلك ما ذكرناه سابقاً عن ابن سعد رحمه الله في بداية حديثِه عن غزوة تبوك: أنه بلغ رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ أنَّ الروم قدْ جمعتْ جموعاً كثيرة بالشام، وأنَّ هرقل قد رَزق أصحابَه لسنةٍ، وَأَجْلَبَتْ مَعَهُ قبائل (لَخْمٌ، وَجُذامُ، وَغَسّانُ، وَعامِلةُ)، وقدّموا مقدّماتهم إلى البَلْقاءِ، فندب رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ الناس إلى الخروج، وأعلمهم المكان الذي يريده (وهو تبوك) ليتأهّبوا لذلك[1].

(١) الطبقات ٢/ ١٦٥.

ومثل ذلك ما حصل أيضاً في غزوة مؤتة، فقد بعث النبيّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ إلى حدود أرض الروم مَنْ يُقاتلهم، فقاتلوهم لأيام، ثم لما انسحب جيش المسلمين، لم يَجرُؤ الروم على اللحاق بالمسلمين، ولربما كان هَمُّ الروم في بادئ الأمر غزوَ المدينة المنورة، ففي تحويل المعركة إلى أرضهم إدخال الرّعب إلى قلوبهم، وكفّهم عن مرادهم، لما يتوقّعه من تضاعف القدرات العسكرية والحربية في أرض الإسلام.

❊ ❊ ❊

القاعدة الثامنة والتسعون
تبييت الغارات

قال الله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ * فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ﴾ [هود: ٨١-٨٢].

مرَّ معنا تحت عنوان: «اختيار المواقيت الزمانية» أنَّ رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ كان يُعِدُّ العُدّة في سبيل الله تعالى ويختار زمن الخروج ووقت الوصول، فالأصل أنَّ القتال صالح لجميع الأوقات من ليل أو نهار.

لكن كان للنبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم أساليب متعدّدة في إحكام السيطرة على عدوّه، ومن ذلك الهجوم ليلاً على المشركين، بشرط أن يكون قد وصلتهم دعوة الإسلام، وهؤلاء كانوا قد أضمروا العداء للإسلام والمسلمين، واستعدّوا لحربهم، وهذا الأسلوب يتوافق مع ظاهر الآية السابقة مِنْ أنَّ قوم لوط كان بدء مسيرهم في بعض الليل؛ ليتمكّنوا من البعد عن قريتهم كي لا يُصيبهم ما سيصيب قومهم من العذاب، وكان موعد بدء هلاك قوم لوط مع الفجر، وينتهي مع شروق الشمس؛ قال الله تعالى عنهم في سورة الحجر: ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُشۡرِقِينَ * فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الحجر: ٧٣- ٧٤].

هذا والهجوم ليلاً أوفر جهداً، وأقلُّ تَكْلُفَة منَ الحرب المُعْلَنة.

فلقد اتّخذت المباغتة منه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أسلوباً جمع بين عظمة الرحمة، وذكاء العسكريّين، دلَّت على عظيم شفقته بالناس المُحَارَبين؛ لما في ذلك من أَسْرِهم دون قتلِهم، والأَسْرُ بحدِّ ذاته هو فرصة أخرى للكافر لعرض الإسلام عليه، ومَن بقي من ذرية المشركين عاش في بيوت المسلمين معزّزاً مُكرّماً؛ كما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الأنفال: ٧٠].

وقد مرَّ معنا ما رواه البخاري وغيره عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: «عَجِبَ الله من قَوْمٍ يَدْخُلونَ الجنَّةَ في السَّلَاسِلِ»(١).

وأما مَنْ قُتلَ من أهل الكفر في حال اللقاء؛ فقد فاتت الفرصة عليه، وهو إلى جهنّم وبئس المصير.

ومن الشواهد على تبييت الغارات ليلاً فتحُ مكَّة، فقد عسكر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ليلاً قُبيل دخولِه مكة في مرِّ الظّهران(٢)(٣) ، وأشعل بها عشرة آلاف نار، ففزعت قريش وما عادت تفكِّر في الحرب، بل طلبوا الأمان، وقُبيل هذا لم تعلم قريش بتوجّه الجيش الإسلامي إليها، رغم المسافة الكبيرة بين مكة والمدينة، بسبب التكتيك السِّرّيّ الذي عمد إليه النبيّ صلى الله عليه

(١) صحيح البخاري رقم٣٠١٠.
(٢) تقدّم التعريف به تحت عنوان: السياسة الحربية في إدخال الرهبة والخوف في قلب العدوّ.
(٣) في الجموم.

وعلى آله وسلم في كتم الأخبار.

ومن الشواهد أيضاً ما رواه أبو داود وغيره عن جُنْدُبِ بنِ مَكِيثٍ رضي الله عنه أنه قال: بَعَثَ رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عَبْدَ الله بنَ غالِبٍ اللَّيْثِيَّ في سَرِيَّةٍ وكنتُ فِيهِمْ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَشُنُّوا الغارةَ على بَنِي المُلَوِّحِ بِالكَدِيدِ[1].

❊ ❊ ❊

(١) سنن أبي داود رقم٢٦٧٨.

وسريّة غالب بن عبد الله الليثي إلى بني المُلَوِّح، وكانت في صفر سنة ٨هـ.

ومكانها في الكَدِيد؛ وهو واد يقع بين عُسْفَان وخليص، ويسمى وادي الحمض، ويَبعد عن مكة نحو ٦٠كم.

كان بنو المَلَوِّح من المشركين الذين ناصبوا العداء لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالكيد للمسلمين، فبعث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم غالب بن عبد الله الليثي في مئة وثلاثين رجلاً، وقيل: بضعة عشر رجلاً، وأمرهم أن يَشنّوا الغارة على بني المُلَوِّحِ بِالكَدِيدِ؛ فشنّوا عليهم الغارة وقتلوا مَن قاتلهم، واستاقوا النَّعَم، فتنادى المشركون لقتالهم، فجاء من المشركين بما لا قِبَلَ لهذه السريّة بقتالهم، فخرجوا من ديارهم، فأدركهم المشركون وليس بينهم إلا الوادي، فبعث الله تعالى سيلاً يملأ جنبتيه ماء، وما كان في ذلك اليوم سحاب ولا مطر، فلم يستطع أحد من المشركين أن يجتاز الوادي لكثرةِ مائه، فوقفوا ينظرون إليهم وتملأ قلبهم الحسرةُ، ثم وصلت السرية سالمة غانمة إلى المدينة المنورة.

الإحداثيات: "٣٤,٥٧'١٩°٣٩ "٣٠,١٨'٤°٢٢.

القاعدة التاسعة والتسعون
المراسلات في المهمات العسكرية

قال الله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ * فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٢٠-٢١].

هذا الرجل كان يكتم إيمانه وهو من آل فرعون، كانت له المهمّة البريديّة بين القصر الفرعوني وموسى عليه السلام، فاستطاع أن يصل إلى معرفة الأخبار السِّرَّية لمجلس الشورى الفرعونيّ، وما صدر عنه من قرار في قتل موسى عليه السلام، واستطاع أيضاً أنْ يَصِلَ لموسى بالخبر قبل أن يَصلوا إليه، واستطاع موسى أنْ يهربَ منهم السِّرِّية، ويفلت من القتل الذي تقرَّر عليه.

فلا بدَّ للمهمّات الحربية من المراسلات، وأن تكون سِرِّية وسريعة في الوقت المناسب والمكان المناسب، فلقد مرَّ معنا أنّ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يُخفي في كثير من أحيانه مكان توجّهاته الحربية، ومن شواهد ذلك عندما دخل أبو بكر رضي الله عنه على ابنتِه عائشة رضي الله عنها، وهي تحرّك بعض جهاز رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فسألها عن مكان توجُّهه صلى الله عليه وعلى آله وسلم فأجابت بأنها لا تعرف[1].

بل عمد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى أبعد من ذلك في

(١) السيرة النبوية ٥/ ٥٢ ، وتاريخ الطبري ٢/ ١٥٥.

الكتمان، وهو إخفاء المراسلات في الخطَّة الحربية نفسها أول البدء بالقيام بها، حتى يُحقِّق أقصى نجاح للعملية العسكرية.

والشاهد لهذه الأمور ما رواه أهل السِّيَر عن عبد الله بنِ جَحْشٍ رضي الله عنه: دَعاني رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حِينَ صَلّى العِشاءَ، فقالَ: «وافِ مَعَ الصُّبْحِ مَعَك سِلَاحُك؛ أَبْعَثُك وَجْهًا»(١).

قالَ: فَوافَيْت الصّبْحَ وَعَلَيّ سَيْفِي وَقَوْسِي وَجَعْبَتِي(٢) وَمَعِي دَرَقَتِي(٣)، فَصَلّى النّبِيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم بِالنّاسِ الصّبْحَ ثُمّ انْصَرَفَ، فَيَجِدُنِي قد سَبَقْته واقِفًا عِنْدَ بابِهِ، وَأَجِدُ نَفَرًا مَعِي مِنْ قُرَيْشٍ.

---

(١) اسم هذه السريّة: سرية عبد الله بن جحش إلى نخلة، وكانت في رجب ٢هـ، ونَخْلة هي النخلة اليمانية، وتقع قبل ميقات قرن المنازل (السيل الكبير) بنحو ٩كم، على طريق مكة الطائف، قبيل الطائف بنحو ٣٥كم.

حيث سار إليها، ونزلت السريّة تترصّد قريشًا، فمرّت بهم قافلة لقريش تحمل أصنافاً من التجارة، وكانوا في آخر يوم من رجب من الأشهر الحرم، فأخذوا القافلة، ورجعوا المدينة بعدما قتلوا واحداً وأسروا اثنين، فقالت قريش: قد أحلَّ محمد وأصحابه الشهر الحرام..، فلمّا قدموا على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم المدينة قال: «ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام»، ثم نزل قول الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۚ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ..﴾ [البقرة: ٢١٧].

ثم إن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أطلقَ سراح الأسيرَين، فأسلمَ أحدهما وهو الحكم ابن كَيْسان رضي الله عنه، ورجع الآخر إلى مكة ومات بها كافراً.

الإحداثيات: "٥٤,٥٦'٢٠°٤٠"٤٢,٣١'٣٨°٢١.

(٢) الجعبة ما يوضع فيه السهام.

(٣) الدرقة: ترس من جلد.

فَدَعَا رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أُبَيّ بنَ كَعْبٍ فَدَخَلَ عَلَيْهِ، فَأَمَرَهُ رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وَكَتَبَ كِتابًا، ثُمّ دَعانِي فَأَعْطاني صَحيفةً مِنْ أَدِيمٍ خَوْلَانِيّ[١] فقالَ: «قد اسْتَعْمَلْتُك على هؤلاءِ النّفَرِ، فَامْضِ حَتّى إذا سِرْتَ لَيْلَتَينِ فَانْشُرْ كِتابي، ثُمّ امْضِ لِمَا فِيهِ».

قالَ: فَانْطَلَقَ.. فَقَرَأَهُ فإذا فِيهِ: «سِرْ حَتّى تَأْتِيَ بَطْنَ نَخْلة على اسْمِ الله وَبَرَكاتِهِ، وَلَا تُكْرِهَنَّ أَحَدًا مِنْ أَصْحابِك على المَسِيرِ مَعَك، وَامْضِ لِأَمْرِي فِيمَنْ تَبِعَك حَتّى تَأْتِيَ بَطْنَ نَخْلَةَ؛ فَتَرَصّدْ بِها عِيرَ قُرَيْشٍ».

فَلَمّا قَرَأَ عَلَيْهِمُ الكِتابَ قالَ: لَسْت مُسْتَكْرِهًا مِنْكُمْ أَحَدًا، فَمَنْ كانَ يُرِيدُ الشّهادةَ فَلْيَمْضِ لِأَمْرِ رسولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وَمَنْ أَرادَ الرّجْعةَ فَمِن الآنَ، فَقالُوا أَجْمَعونَ: نَحْنُ سامِعونَ وَمُطِيعونَ لله وَلِرَسُولِهِ وَلَك، فَسِرْ على بَرَكَةِ الله حَيْثُ شِئْت[٢].

* * *

(١) رسالة مكتوبة على جلد مصنوع في نواحي اليمن.
(٢) مغازي الواقدي ١/ ١٤.

القاعدة المئة
توحيد صفوف المسلمين

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٢١].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

إنَّ من أعظم الصفات المحبَّبة لله تعالى، والتي وصفها الله تعالى؛ للمسلمين حالة القتال، هو انتظام الصفوف وتكاملها مع بعضها، وأساسه انتظام الأبدان وصفاء الجَنَان[١] للملك الدَّيَّان.

وأساس هذا الاتحاد ناتج عن المحبّة بين الصحابة وبين النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وبين الصحابة أنفسهم، قال الله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ..﴾ [الفتح: ٢٩].

وكان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يُسوِّي صفوف القتال كما يسوّي الصفوف للصلاة؛ لأن في استواء الأبدان استواء القلوب، كما مرَّ في قصة سَوَّاد رضي الله عنه[٢].

---

(١) القلوب.

(٢) كما مرَّ تحت قاعدة: العدل بين جند المسلمين.

الفصل السادس
التخطيط العسكري المستقبلي.

وفيه محوران:

المحور الأول: وضع تصور عن آلية تحقيق المنظور العسكري في التخطيط المستقبلي.

أولاً: آلية تحقيق التخطيط المستقبلي العسكري.

ثانياً: الهيكلة التنظيمية للمؤسسات العسكرية.

ثالثاً: آلية استمرار التخطيط العسكري.

المحور الثاني: بيان سمات التخطيط العسكري المستقبلي.

مقدمة

إنَّ مِنَ المستلزمات الأساسية المتّصلة بفريضة الجهاد الاعتناء بالتخطيط المستقبليّ لها، وكذا الاعتناء بتطبيقاته على واقع الدعوة الإسلامية ومستقبلها، فكما جاء الأمر بالجهاد، جاء الأمر بالتخطيط له، ففي القرآن الكريم والسّنّة المطهّرة كثير من الإضاءات التي توضح أهمية الجانب العسكري في الدولة (الجهاد)، كما تنوّه إلى أهمية ترتيبه وتنظيمه قبل البدء به.

وتزداد أهمية البحث في التخطيط المستقبليّ للجهاد بالنظر لما تواجهه الأُمّة الإسلامية من أعدائها من كيد عظيم، فقد امتدَّت بعضُ خططهم وأهدافهم إلى عشرات السنين من أجل القضاء على هذه الفريضة، ويأبى الله إلا أن يُتِمَّ نوره بهذه الفريضة، قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

وإذا كان الأعداء يقومون بهذه الجهود صدًّا عن سبيل الله تعالى، وإمعانًا في المكر والكيد لدِينِ الله، فالأَوْلى بالمسلمين أن يقوموا بالتصدّي لهذه المخطَّطات، والعمل على وضع ما بِوُسْعِهم من دراسات وبحوث، لِتُحوَّلَ بعدها إلى أعمال وواقع؛ تطبيقًا لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

فهذه المبايعة من الله تعالى تحتاج إلى تخطيط حتى تتمّ على الوجه

المطلوب كما أمر الله تعالى، ولها سِمات تدلّ عليها، وإليك بيانها.

فإذا اكتمل تصور المعنى الحقيقي للجهاد لدى المجاهد؛ كمعرفته بسنن الجهاد وآدابه وواجباته ومحذوراته، فلا بدَّ له من آلية للتخطيط فيه، يسير عليها لإحكام طريقه، وتتمثل هذه الآلية بعدّة أمور، ومن أهمها:

أولاً: آلية تحقيق التخطيط المستقبلي العسكري.

ثانيًا: الهيكلة التنظيمية للمؤسسات العسكرية.

ثالثًا: آلية استمرار التخطيط العسكري.

وتحقيق هذه الآليات فيه فوائد هامة ومنها:

الأولى: تضيء الطريق أمام المُخَطِّطِ ومتّخِذ القرار، ليكون تخطيطه أحكم، وقراره أصوب، ولهذا تأثير إيجابي على المستقبل المتوقّع.

الثانية: يعدُّ التخطيط للجهاد وسيلة تطوير ووقاية، فهو من أهم الوسائل لترقية الدعوة وللحفاظ على واقع الدعوة من الضعف، وهو من أهم الوسائل للحفاظ على الموارد الاقتصادية والصناعية والتجارية والاجتماعية.

الثالثة: بالتخطيط المستقبلي للجهاد نكتشف الأخطاء التي مرَّت معنا في ماضي الجهاد وحاضره، بمقارنة الأحداث مع بعضها البعض، وبه يُمكِننا تجنّب كثير من الأخطاء والعقبات في مستقبل الجهاد.

الرابعة: للتخطيط المستقبليّ العسكري دور كبير في اكتشاف الطّرق والأساليب الحديثة، التي تُساهم في رفع مستوى الجهاد الماديّ (الوسائل والمعدّات)، والمعنويّ (الروح المعنوية في الجهاد).

المحور الأول
وضع تصوّر عن آلية تحقيق المنظور العسكري في التخطيط المستقبليّ

أولاً: آلية تحقيق التخطيط المستقبلي العسكري[١]:

إنَّ تحقيق النقلة النوعية في التخطيط المستقبلي العسكري، وترجمة هذا التخطيط إلى نشاطات بحثية هادفة، لا بدَّ من آلية يسير عليها، وأهم الأمور التي تتحقّق بها آلية التخطيط في الجهاد هي:

١- العمل على توضيح أهداف الجهاد:

إنّ وضوح المقصود بالتخطيط المستقبلي في الجهاد، ومعرفة الهدف من القيام به في أذهان القادة السياسيين، ورجال الفكر والدعوة وغيرهم، يُعدّ أهم حافز للبدء فيه، وتحويله من أماني إلى مشاريع بحثية هادفة، تساهم نتائجها في توفير المعطيات الضرورية للقرارات التي تصدر عن السياسيين، والنشاطات الفكرية التي يقرّرها رجال الفكر والدعوة.

٢- عمل الكفاءات العلمية المتخصّصة:

وللقيام بالدراسات التخطيطية لمستقبل الجهاد لا بدَّ من تهيئة العدد المناسب من الدُّعاة المتخصّصين في مجال الدراسات المستقبلية، وتوفير الفرص

(١) يراجع «أثر التخطيط المستقبلي في دعوة غير المسلمين للإسلام في ضوء السنة النبوية» للدكتور نزار الشيخ.

المناسبة لهم للتدريب على هذا النوع من الدراسات، وتأمين الإمكانات للاحتكاك بالقادة والعلماء والمتخصّصين في هذا المجال، وأخذ خبراتهم وتجاربهم.

والهدف هو بناء قاعدة عريضة من المتخصصين الأَكْفَاء في جميع اختصاصات الدراسات المستقبلية في الجهاد، فبعضهم يتخصّص بالدراسات المستقبلية في جهاد وقتال غير المسلمين، أو يتخصّص في الجهاد الهجوميّ، أو يتخصّص في الجهاد الدفاعيّ، أو يتخصّص في جهاد العصابات، أو يتخصّص في الجهاد الإلكتروني، أو يتخصّص في الجهاد الإعلامي.

٣- تضامن الأبحاث العلمية الجماعية المتنوعة:

التخطيط المستقبليّ للجهاد العسكري لا يقتصر على علماء الشريعة، فهو يحتاج إلى انضمام جهود مسلمين من علماء مسلمين في مقارنة الأديان، وعلماء مسلمين مستشرقين ومستغربين، وعلماء في الاجتماع والإحصاء والسياسة والاقتصاد والعلوم الطبيعية، والعلوم الحربية، والعسكرية وغيرهم، فكلّ واحد منهم يستطيع أن يُدلي بِدَلوِه في صياغة البحث والدراسة، واقتراح الأساليب المستقبلية للجهاد، ووضع الخطط العسكرية.. ومن ثَمَّ تجتمع هذه الأفكار لتتكامل مع بعضها.

ونتيجة هذا الانضمام فإننا سنخرج بدراسة مستقبلية وخطط استراتيجية عسكرية؛ نستطيع بها مواجهة جميع الأصناف من غير المسلمين على اختلاف أقاليمهم وعقائدهم وقدراتهم العقلية والعسكرية، ويكون هذا العمل بمثابة الجهاد العقليّ المنظّم، لفتح قلوب وعقول غير المسلمين، وتطهيرها من دنس

الشرك بالله تعالى.

٤-العمل المؤسّسي في مجال الدراسات المستقبلية للجهاد:

تحتاج الدراسات المستقبلية إلى العمل المؤسّسي المنظّم والمتخصّص، فالمؤسّسات هنا تحتاج إلى عدد من أمور، ومن أهمها:

- التنظيم الإداري المتقَن.
- الدّعم المالي للنشاطات البحثية.
- توفير البيانات والمعلومات الضرورية لتلك الدراسة.
- الأدوات المناسبة لمعالجة تلك البيانات، كأجهزة الحاسب الآلي وتوابعها، ووسائل الاتصال الحديثة ومتطلباتها.

ثانيًا: الهيكلة التنظيمية للمؤسّسات العسكرية

قال الله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

هذه الآية الكريمة من أعظم الآيات في تدبير سياسة الحكم، وسياسة الحرب، فالمدير والحاكم وكلّ مسؤول في تنظيم الجهاد هو مَن يمتلئ قلبه بالرحمة للمؤمنين، ولا يُعامَل المتبوعين بسوء الخُلق، بل يُشاورهم فيما يتعلّق بمجموعهم، ويستفيد من خبرتهم، ثم يُتوِّج عمله هذا بحُسن التوكّل على الله تعالى في إمضاء ما أراد، وهذه هي أهم مواصفات القائد العسكري النَّاجح.

وبعد أن يتوفّر في المؤسّسة العسكرية المتخصّصة في مجال الدراسات المستقبلية في الجهاد التيارُ الفكريّ المعتدل للتوعية بطبيعة تلك الدراسات، وتتوفّر متطلّبات القيام بها، ويتوفّر لهم الباع الكبير في الجهاد، بعد ذلك كله يمكن للمؤسسة العسكرية أن تبدأ بتنظيم وهيكلة قسم خاص فيها يشرف على هذه الدراسات، ويكون ذلك على النحو التالي:

١ - تُشرِفُ على هذا القسم هيئة تأسيسية عُليا، تتكوَّن من مجموعة متميّزة من العلماء في التخصّصات المختلفة، المشهود لهم بالرِّيادة والإسهام الأصيل في مجال الدراسات المستقبلية في الجهاد، بحيث تتوفر فيهم مواصفات القائد الموصوف في الآية السابقة.

٢ - تتولّى الهيئة العليا للقسم القيام بما يلي:

* الإشراف على إعداد الأُطُر التنظيمية والإدارية لهذا القسم.
* وضع الاستراتيجية العامة لتحقيق أهداف هذا القسم.
* رسم السياسات التي تحكم خططه وبرامجه.
* وضع استراتيجية تمويل نشاطات هذا القسم والسياسات المالية لها.
* تحديد المشاريع البحثية المطلوبة في الدراسات المستقبلية مع أولوياتها ومراحلها.
* إقرار الدعم والتشجيع للمشاريع البحثية المقترحة من خارج هذا القسم.

* فتح باب الحوار عن طريق المؤتمرات والندوات، مع أصحاب الجهاد من مناطق بعيدة، بُغية معرفة الواقع الذي هُم عليه، ومعرفة أساليب أعدائهم القتالية، ومن ثمَّ الانطلاق من ذلك الواقع لرسم التخطيط المستقبليّ للجهاد لكلّ مَن يَنشُدُه.

٣- **عمل الترتيبات اللازمة لضمان استقلالية هذا القسم**، والعمل على تحصينه من الوقوع تحت التأثيرات والضغوط والتدخلات المختلفة، وذلك عن طريق:

* التأكيد على الطابع العلمي والأكاديمي لهذا القسم والالتزام بذلك.
* محاولة التقليل إلى الحدّ الأدنى من الاعتماد على مصادر التمويل الخارجية.
* تشجيع أبناء الأُمّة أفرادًا ومؤسّسات في تمويل مشاريع هذا القسم ودعم نشاطاته المختلفة.
* فتح كافة المجالات أمام المفكّرين والمتخصّصين المسلمين القادرين على خدمة أهداف هذا القسم.

ثالثًا: آلية استمرار التخطيط العسكري

إنّ تحقيق الدراسات المستقبلية للجهاد، وتوفير متطلّبات القيام به، يُعَدّ الخطوة الأولى الرئيسة على طريق طويلة، يحتاج استمرار السَّير فيها إلى صبر وعزم ووضوح رؤية، بالإضافة إلى عوامل وشروط تعزّز هذا الصبر، وتؤكّد هذا العزم، وتساعد على استمرار ووضوح الرؤية.

ونذكُر هنا أهمّ النشاطات العملية التي ترسّخ الفكر المستقبليّ المعتدل للجهاد، وتدعم آلية استمرار البحث في هذا القسم:

١ - التعريف بالدراسات المستقبليّة للجهاد:

ويكون التعريف بالدراسات المستقبلية للجهاد عن طريق:

* إصدار دوريات متخصّصة بالدراسات المستقبليّة للجهاد.
* نشر الكتب المتخصّصة تأليفًا وترجمة.
* نشر المقالات التعريفية الموجَّهة لعموم القرّاء في الصحف والمجلات الواسعة الانتشار.
* استخدام وسائل الإعلام المرئية والمسموعة في التوعية بموضوع الدراسات المستقبلية في معنى الجهاد في الإسلام.
* إدخال التعريف بالدراسات المستقبلية للجهاد ضمن البرامج الدراسية في جميع المستويات.
* ترجمة كتب المستشرقين والمستغربين والمنصِّرين التي تحدَّثت عن الجهاد بلغات أخرى إلى اللغة العربية، وبيان ما فيها مِنْ مهالك.

٢ - تنفيذ الدراسات المستقبلية للجهاد:

وذلك عن طريق:

* تكوين فِرَق بحث للدراسات المستقبلية للجهاد في جوانبها المختلفة، وتكليفها بالقيام بدراسات محدّدة.

* دعوة بعض المجهادين العالميين المعتدلين للاشتراك في فِرَقِ البحث المكوّنة للتدرُّب واكتساب الخبرة العالمية.
* إتاحة الفرصة لأعضاء فِرَقِ البحث لحضور المؤتمرات المتعلقة بالجهاد لتبادُل الخبرة والمعرفة، والاطّلاع على المستجدّات.
* فتح فرع متخصّص بالجهاد في بعض الجامعات.
* تشجيع بعض الجهات والمؤسّسات المتخصّصة لإنشاء مراكز للدراسات المستقبلية للجهاد تابعة لها، مثل مراكز البحوث العلمية، وبعض الوزارات.

الاهتمام ببناء مراكز للمعلومات، وتجهيزها بكلِّ نُظُمِ المعلومات، وتتضمّن:

- شمول وعمق المعلومات والبيانات المتوفرة.
- دقّة المعلومات وحُسن تنظيمها وتخزينها.
- سهولة استرجاع هذه المعلومات والوصول إليها وملاءمتها للدراسات المستقبلية.

العناية بالمجهادين الجُدُد، وتتضمّن:

- الخطط المستقبلية في تثقيفهم.
- الدعم المادي وغيره المتتالي والمنظم.
- وضع برامج للتربية الروحية لمتابعة المستوى الإيماني والأخلاقيّ للجنود.

المحور الثاني
سمات التخطيط المستقبلي للجهاد

إنَّ من أكثر ما يُميّز التخطيط الاستراتيجيّ عند النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم؛ هو البُعد الزمانيّ والمكانيّ المستقبليّ، فقد تميَّز باشتراكهما بالأهدافِ الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، ولأجل هدف واحد هو صلاح الدِّين والدّنيا، والنجاة يوم القيامة.

لذا بشَّر النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ ببلوغ هذا الدِّين جميع أهل الأرض؛ بإحدى وسائل الدعوة وهي الجهاد، فقد روى الإمام أحمد ـ كما ذكرنا سابقاً ـ عن تَمِيمٍ الداريّ رضي الله عنه أنه قال: سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يقول: «لَيَبْلُغَنَّ هذا الأَمْرُ ما بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهارُ، ولا يَتْرُكُ الله بَيْتَ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إلا أَدْخَلَهُ الله هذا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أو بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ الله بِهِ الإِسلامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ الله بِهِ الكُفْرَ».

وكان تَمِيمٌ الداري يقول: قد عَرَفْتُ ذلك في أَهْلِ بيتي؛ لقد أَصابَ من أَسْلَمَ مِنْهُمُ الخَيْرُ وَالشَّرَفُ وَالعِزُّ، وَلَقَدْ أَصابَ مَنْ كان منهم كافِراً الذُّلُّ والصَّغارُ وَالجِزْيَةُ[1].

وسيبلغ هذا الدِّين بالجهاد وبغيره من الوسائل الدعوية مشارق الأرض

(١) مسند أحمد بن حنبل رقم١٦٩٩٨، والمعجم الكبير رقم ١٢٨٠، ورجال أحمد رجال الصحيح. انظر مجمع الزوائد ٦/ ١٤.

ومغاربها، كما أشار في الحديث الشريف، ويأتي هذا مِن كون الجهاد واجباً على مجموع الأُمّة في جميع أطراف الأرض وفي جميع الأزمنة، بأن يخصّصوا من أشخاصهم، وأموالهم وقدراتهم، وخبراتهم، ووسائلهم المختلفة للقيام بواجب هذه الفريضة، لقوله تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١].

ودليل ذلك من السُّنّة ما رواه أحمد رحمه الله عنْ أَبِي هُرَيْرةَ رضي الله عنه أنه قالَ: وَعَدَنا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ غَزْوةَ الهِنْدِ، فَإِنْ أَدْرَكْتُها أُنْفِقْ فِيها نَفْسِي وَمالِي، فَإِنْ أُقْتَلْ كُنْتُ مِنْ أَفْضَلِ الشُّهَداءِ، وَإِنْ أَرْجِعْ فَأَنَا أَبو هُرَيْرةَ المُحَرَّرُ(١).

وروى أبو داود أيضاً عن أَنَسِ بنِ مالِكٍ رضي الله عنه أنه قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ: «ثَلَاثٌ مِنْ أَصْلِ الإِيمانِ: الكَفُّ عَمَّنْ قالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلَا نُكَفِّرُهُ بِذَنْبٍ، وَلَا نُخْرِجُهُ مِنَ الإسلامِ بِعَمَلٍ، وَالجِهادُ ماضٍ مُنْذُ بَعَثَنِي اللهُ إلى أَنْ يُقاتِلَ آخِرُ أُمَّتِي الدَّجَّالَ، لَا يُبْطِلُهُ جَوْرُ جائِرٍ، وَلَا عَدْلُ عادِلٍ، وَالإِيمانُ بِالأَقْدارِ»(٢).

هذا وإن لكلِّ تخطيطٍ مَظاهر تدلّ على نجاحه أو فشله، والله تعالى لم يُعطِنا علم الغيب في النتائج، لكن أرشدنا إلى التمسُّك بمظاهر التخطيط

---

(١) رواه أحمد في مسنده رقم ٧١٨٠، (٧١٢٨)، والنسائي رقم٤٣٨٢، قال المحقّق: «إسناده حسن لغيره».

(٢) سنن أبي داود رقم ٢٥٣٢، والحديث حسن لغيره. انظر كلام المحقّق: شعَيب الأرنؤوط – محَمَّد كامِل قره بللي.

المنهجيّ للجهاد للنجاح فيه، لذا تعدّدت السمات المستقبلية للجهاد، وإليك أهمها:

١ـ سمو الهدف:

الجهاد في الإسلام غاية ما فيه هداية الناس ودلالتهم على الله للظفر بدخول الجنة، لما رواه البخاري عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ، أنه قالَ: «عَجِبَ اللهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلونَ الجَنَّةَ في السَّلاسِلِ»[1].

٢ـ الشمولية الزمانية والمكانية:

لا يتحدّد الجهاد بزمان ولا بمكان، فهو قائم من لَدُن عصر النبوة إلى أنْ يَرِثَ الله الأرضَ ومَن عليها، لما رواه أحمد رحمه الله وغيره عن عَدِيّ بن حاتِمٍ رضي الله عنه أنه قال: ..دَخَلْتُ على رسول اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ فقال لي: «يا عديّ بن حاتِمٍ أَسْلِمْ تَسْلَمْ ثَلاثاً».

قال: قلتُ: إني على دِينٍ.

قال: «أنا أَعْلَمُ بِدِينِكَ مِنْكَ».

فقلت: أنت أَعْلَمُ بديني مني!؟

قال: «نعم، أَلَسْتَ مِنَ الرَّكُوسِيَّةِ، وَأَنْتَ تَأْكُلُ مِرْباعَ قَوْمِكَ؟»

قلت: بَلى.

---

(١) صحيح البخاري رقم ٣٠١٠.

قال: «فإنَّ هذا لاَ يَحِلُّ لك في دِينِكَ».

قال: فلم يَعْدُ أَنْ قَالَها فَتَواضَعْتُ لها.

قال: «أَمَا إني أَعْلَمُ ما الذي يَمْنَعُكَ مِنَ الإِسلامِ، تَقُولُ: إنما اتَّبَعَهُ ضَعَفَةُ الناس، وَمَنْ لاَ قُوَّةَ له، وقد رَمَتْهُمُ العَرَبُ! أَتَعْرِفُ الحِيرةَ؟»

قلتُ: لم أَرَها وقد سمعتُ بها.

قال: «فوالذي نفسي بيده لَيُتِمَّنَّ اللهُ هذا الأَمْرَ، حتى تَخْرُجَ الظَّعِينَةُ مِنَ الحِيرةِ حتى تَطُوفَ بِالبَيْتِ في غَيْرِ جِوارِ أَحَدٍ، وَلَيَفْتَحَنَّ كُنُوزَ كِسْرى بن هُرْمُزَ».

قال: قلت: كِسْرَى بن هُرْمُزَ!؟

قال: «نعم كِسْرَى بن هُرْمُزَ، وَلَيُبْذَلَنَّ المَالُ حتى لاَ يَقْبَلَهُ أَحَدٌ».

قال عديّ بن حاتِمٍ: فَهَذِهِ الظَّعِينَةُ تَخْرُجُ مِنَ الحِيرة[1]، فَتَطُوفُ بِالبَيْتِ في غَيْرِ جِوارٍ، وَلَقَدْ كنتُ فِيمَنْ فَتَحَ كُنوزَ كِسْرَى بن هُرْمُزَ، والذي نفسي بيده لَتَكُونَنَّ الثَّالِثَةُ؛ لأَنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ قد قالَها[2].

---

(١) الحيرة: هي مدينة تاريخية قديمة تقع في جنوب وسط العراق، وهي عاصمة المناذرة، تقع أنقاضها على مسافة ٧كم إلى الجنوب الشرقي من مدينتي النجف والكوفة..

الإحداثيات: ٣١°٥٣'٣٤,٣٩" ٤٤°٢٧'٣٣,٧٦.

(٢) أخرجه أحمد رحمه الله في مسنده رقم١٨٢٦٠، والحديث صحيح. انظر المستدرك على الصحيحين ٤/ ٥٦٤.

قوله: «من الرَّكوسية» وهم النصارى.

مِرْباع القوم: كان الرئيس في الجاهلية يأخذ ربع مال الرعية، ويسمي ذلك الربع: المِرْباع.

فلم يَعْدُ، مِن عدا يَعدُو، أي: فما تجاوز قولَ هذه المقالة حتى تواضعتُ لهذه المقالة.

٣ـ شمولية الأشخاص:

فالجهاد شاملٌ لكلِّ شخص مؤمناً كان أو غير مؤمن، فإمّا عليه فعل الجهاد أو واقع عليه، وذلك حسب مفهوم الجهاد العام الذي تقدّم في بيان أقسام الجهاد.

فالواجب على المؤمن أن يعمل بأحد أنواع الجهاد التي مرّت معنا وهي جهاد اللسان، وجهاد القلب والنفس، وجهاد اليد، وجهاد القتال، وجهاد الرباط.

وأما الكافر فالجهاد واقع عليه بأحد أقسام الجهاد حتى يُسلِم أو يُسالم، حتى يُؤمَن شرّه، وتصل دعوة الله تعالى إلى جميع غير المسلمين.

وقد قَصَرَ بعضُ جهلة المجاهدين الجهادَ على جهاد القتال لقصور فهمهم وقلّة فقههم، فغرَّروا بالكثير من شباب المسلمين وساقوهم إلى ساحات الموت، فهؤلاء جميعاً من القسيم الجاهلي الذي يُقاتل تحت راية عمّيّة، قال عنهم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «..مَنْ قاتَلَ تَحْتَ رايةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبةٍ أو يَدْعو إلى عَصَبةٍ أو يَنْصُرُ عَصَبةً فَقُتِلَ فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ على أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّها وَفاجِرَها ولا يتحاشى من مُؤْمِنِها، ولا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ منه»[1].

٤ـ استيعاب الجوانب الدينية والدنيوية معًا:

غاية الجهاد الرقي الحضاريّ بكافة جوانبه الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والمدنية..، فالمسلمون لما فتحوا البلاد عمروها أفضل مما كانت

(١) صحيح مسلم رقم١٨٤٨.

عليه، ورقوا بالمستوى الاقتصادي والاجتماعي والخلقي.. الشامل للمسلم وغير المسلم.

قال الله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣].

وروى الشيخان في حديث طويل عن عبد اللهِ بن عَبّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ أَبا سُفْيانَ بن حَرْبٍ قال: إنَّ هِرَقْلَ سأله عن النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالكَذِبِ قبل أَنْ يَقُولَ ما قال؟

قلت[1]: لا.

قال: فَهَلْ يَغْدِرُ؟

قلت: لا، وَنَحْنُ منه في مُدَّةٍ لا نَدْرِي ما هو فاعِلٌ فيها.

قال: ماذا يَأْمُرُكُمْ؟

قلت: يقول: اعْبُدوا اللهَ وَحْدَهُ ولا تُشْرِكُوا بِهِ شيئًا، وَاتْرُكُوا ما يقول آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلاةِ وَالصِّدْقِ وَالعَفافِ وَالصِّلةِ.

فقال لِلتَّرْجُمانِ: قُلْ له: سَأَلْتُكَ هل كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالكَذِبِ قبل أَنْ يَقُولَ ما قال، فَذَكَرْتَ أَنْ لا، فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لم يَكُنْ لِيَذَرَ الكَذِبَ على الناس، وَيَكْذِبَ على الله.

وَسَأَلْتُكَ هل يَغْدِرُ، فَذَكَرْتَ أَنْ لا، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لا تَغْدِرُ.

---

(١) أي أبو سفيان.

وَسَأَلْتُكَ بِمَ يَأْمُرُكُمْ، فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا الله، ولا تُشْرِكُوا بِهِ شيئًا، وَيَنْهاكُمْ عن عِبادةِ الأَوْثانِ، وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلاةِ وَالصِّدْقِ وَالعَفافِ، فَإِنْ كان ما تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هاتَيْنِ، وقد كنتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ، لم أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ، فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إليه لَتَجَشَّمْتُ[1] لِقاءَهُ، وَلَوْ كنت عنده لَغَسَلْتُ عن قَدَمِهِ[2].

فالمسلمون لما فتحوا دمشق والأندلس وغيرها حوَّلوها إلى منارات علميّة، ومعالم اقتصادية..، يقصدها القاصي والداني، بخلاف الدول غير المسلمة لما دخلوا بعض البلاد الإسلامية أو غير الإسلامية حرباً تعدَّت الخسائر الاقتصادية بسببهم مئات المليارات، وتسببت حربهم في قتل الملايين من الناس الأبرياء، وتشريد أضعافهم.

لذا لو كان للمسلمين منْ قبلُ جهادٌ حقيقيٌّ لما وصل أعداؤهم إليهم، كما قال الله تعالى: ﴿فَقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ [النساء: ٨٤].

أي فجاهد ـ أيها النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ ـ في سبيل الله لإعلاء كلمته، وحُضَّ المؤمنين على القتال والجهاد، ورغِّبهم فيه، لعلّ الله يمنع بك وبهم صولة الكافرين وطغيانهم وشدّتهم وأطماعهم، والله تعالى أشدّ قوّة وأعظم عقوبة للكافرين.

---

(١) أي: لَتَكَلَّفْت الوُصُول إِلَيْهِ وَارْتَكَبْت المَشَقَّة فِي ذَلِكَ.

(٢) صحيح البخاري رقم٧، وصحيح مسلم رقم١٧٧٣.

وروى أبو داود وابن ماجه رحمهما الله تعالى ـ بإسناد حسن ـ عن أَبي أُمامةَ رضي الله عنه قَال: قال رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: «مَن لمْ يَغْزُ أو يُجَهِّزْ غازِياً أو يخلُفْ غازِياً في أَهْلِهِ بِخَيْرٍ، أَصابَهُ اللهُ سُبْحانَهُ وَتَعالى بِقارِعةٍ، قَبْلَ يَوْمِ القِيامة»(١).

وروى أبو داود أيضاً عَنِ ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يَقُولُ: «إذا تَبايَعْتُمْ بِالعِينةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنابَ البَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الجهادَ، سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعوا إلى دِينِكُمْ»(٢).

ومعنى هذا الحديث أن المؤمنين لو انشغلوا بالتجارة والصناعة والزراعة مع إهمال الجهاد، فإنّ الله سيُسلِّط عليهم عدوَّهم؛ ويَسلبهم أموالهم وكرامتهم وأرواحهم..، ولا سبيل لهم في العزّة والكرامة إلا بالموازنة بين الأمور الدينية والدنيوية.

❊ ❊ ❊

(١) سنن أبي داود رقم ٢٥٠٣، وسنن ابن ماجه رقم (٢٧٦٢). وإسناده صحيح.
وقوله: «أو يخلف» أي لم يَقُم بعده في خدمة أهله، بأن يصير خليفة له ونائباً عنه في قضاء حوائجه، وقوله: «بقارعة» أي: بداهية مهلكة، يقال: قرعه أمر، إذا أتاه فجأة، وجمعها قوارع.
(٢) سنن أبي داود رقم ٣٤٦٢.

الخاتمة

وفيها أهم النتائج والتوصيات:

وبعدُ، فإنّ الشخصية العسكرية عند الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم لهي جزء من نبوّته، فهو نبيّ مؤيّد ومسدّد من الله تعالى في أقواله وأفعاله عامة والعسكرية خاصة، قال الله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ١٧].

قال الطبري رحمه الله تعالى: «قوله لنبيه عليه السلام: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ فأضاف الرميَ إلى نبيّ الله، ثم نفاه عنه، وأخبر عن نفسه أنه هو الرامي، إذ كان جَلَّ ثَنَاؤُه هو المُوصلُ المرميَّ به[1] إلى الذين رُمُوا به من المشركين، والمسبِّب الرمية لرسوله..»[2].

ولقد جاء الأمر الإلهيّ بالاقتداء بهذه الشخصية العسكرية صلى الله عليه وعلى آله وسلم، عندما أمر المؤمنين باتّباعه في أصعب الظروف التي مرّت

---

(١) وهو التراب.

(٢) تفسير الطبري «جامع البيان» ١٣/ ٤٤٢.

وقوله: ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾ معناه: كي ينعم على المؤمنين بالله ورسوله بالظفر بأعدائهم، ويغنمهم ما معهم، ويكتب لهم أجور أعمالهم وجهادهم مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وذلك «البلاء الحسن»، هو رمي الله هؤلاء المشركين، ويعني بـ«البلاء الحسن» النعمة الحسنة الجميلة.

عليهم في معركة الخندق، قال الله تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ۞ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۞ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٠-٢٢].

فلقد جعل الله تعالى في الآية السابقة علامة القبول من الله تعالى، وطلب رضاه، والإكثار من ذِكرِه؛ هو اتباع الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وجعل أيضاً من نواتج الاقتداء به صلى الله عليه وعلى آله وسلم التوبة من الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧].

فلا نجاح لقائد ولا لتابع ولا لغيرهما ما لم يجعلوا الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم محلّ اقتدائهم.

فهي الشخصية التي رقَتْ إلى أعلى السُّدَدِ في القيادة الاستراتيجية، قد عَلَّمَتِ البشرية القيادة الإنسانية في الحروب.

بل جمعت شخصيتُه الكريمة بين الشجاعة والتواضع.

ووازنت بين القدرات العسكرية وما هو مطلوب لربح المعركة القتالية.

ويتوقع الخسارة ويخطط لتلافيها إن حصلت.

هو نبيّ الرحمة شملَت رحمتُه حتى الأعداء.

لم يقتل أحداً منهم بطرًا، ولا انتقاماً لنفسه، بل دعاهم إلى الله تعالى قبل أي قتال، وحاورهم بأبلغ الكلام، وأعذب الألفاظ.

فكان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يخطط لغزواته من أول ابتدائها إلى وقت انتهائها.

على بصيرة بعقلية مَن يقودهم.

بل على بصيرة بعقلية مَن يحاربهم.

مع وضعِ الجنديّ المناسب في المكان المناسب.

يحدّد الزمان الذي يسير فيه.

ويقَدِّر الزمنَ الذي يستغرقُه للوصول للعدوّ.

مع أعلى مقاييس السرعة بالاتصال بين القائد وجنده.

ويحدّد المكان الذي يَسلكُه، ويستفيد من تضاريسه.

ويقدِّر العتاد والعُدّة لجيشه.

بل ويقدِّر العتاد والعدّة لجيش عدوّه، ولا يدع سبباً للنصر إلا ويعمل عليه.

ويكتم الأخبار في مواطن فلا يدري بها أقرب الناس إليه.

ويضع الخطط البديلة لو تبدّلت مُجرَيات أحداث الحرب.

فلم يكن أسرع منه لتدارك أي خطر محتمل.

ويدرس طبيعة العدوّ النفسية.

يُمهلُ العدوّ ولا يُهمِلُه، لكن ضمن وقت لا يأتيه ضرره، وإلا كان عليه كالشهاب الثاقب.

ويحسب للصغيرة والكبيرة.

يُسَبِّق العيون (الجواسيس) لعدوِّه قبل غزوه.

ويعرف أرض عدوّه ومكامِن تحصينه.

ولا يعرف عدُوُّه متى سيأتيه.

ما ظلمَ عدوّاً، بل ردَّ بالمثلِ وأكثر حاله العفو.

ويقدّم الرحمة على الانتقام من عدوّه.

إذا ضرب عدوّه أصابه في الصميم.

وإن عفا عن عدوّه صار كأنه وليٌّ حميم.

لم يمدح في مثل هذا الموطن بمثل بيت كعب بن زهير رضي الله عنه:

إِنَّ الرَّسُولَ لَسَيْفٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ ... مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ الله مَسْلُولُ[1].

عزَّ وَصْفُ الواصفين فيه؛ فلم يكن أبلغ من مدح الله فيه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

رحمةً في السِّلم، رحمةً في الحرب، رحمةً بالمسلم، رحمةً بالكافر، رحمةً بالكبير والصغير، رحمةً بالرجل والمرأة، رحمةً بجميع العَوالم.. صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

فداك أبي وأمي، من مُرَبٍّ، وناصحٍ، وأمينٍ، وعفوٍّ، وكريمٍ، ورحيمٍ..

وبعد فهذا الكتابُ قد اشتمل على مئة قاعدة استراتيجية في التخطيط العسكري، بيَّنتُ فيها بعض الجوانب الإنسانية والحضارية في القيادة العسكرية عند النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وكيفية إدارة المعارك من أول التفكير بها إلى الانتهاء منها، وكيفية التعامل مع المسلم وغير المسلم، وكيفية الأخذ بالأسباب لكسب المعارك مع حُسْنِ التوكُّل على الله تعالى، وصدق الإخلاص له.

---

(١) المستدرك على الصحيحين رقم ٦٤٧٩.

ولقد سلكت في بيان التخطيط الاستراتيجي عند النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم وفق قواعد، شرحتها من خلال المسلك الوسطي، فلم أُسهِب في الشرح، ولم أقصر.

فأرجو من الله تعالى أن يكون هذا الكتاب لَبِنَةً لكل قائد، ولكل جنديٍّ تابع، كي يقتدي بالنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم حقّ الاقتداء في التخطيط العسكري، فلا يبقى لأحد عذر في الجهل في الأخلاقيات المحمدية في القيادة العسكرية.

النتائج والتوصيات:

• التخطيط الاستراتيجيّ العسكريّ عند النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم؛ اكتملت فيه جميع الجوانب المادية والمعنوية والأخلاقية..

• وجوب اتباع منهج النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلّم في التخطيط الاستراتيجي العسكريّ تحت إطار الدولة المسلمة، فالجهاد أمانة أُمَّةٍ لا أمانة فصيل، وإذا قامت به الأُمّة تعذّرت أخطاؤها.

• وجوب تقديم جهاد البيان على جهاد السنان.

• لزوم الطاعة لوليّ الأمر في غير معصية الله تعالى، والتزام الجماعة من أهم أسباب النصر.

• الإعداد الماديّ الشامل والمعنوي والأخلاقي من أهم الأسباب في استنزال نصر الله تعالى.

• الفقه الأصلح لسَيرِ الجهاد في مساره الصحيح هو **الفقه المذهبي** (وأعني به مذهب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد رحمهم الله تعالى وغيرهم من الأئمة المعتبرين) **لا فقه الدليل**.

• فقه الدليل من أهم الأسباب التي أدَّت إلى انحراف الجهاد عن مساره الصحيح، لا بسبب الدليل ذاته بل بالفهم السّقيم له، ويبقى فقه الدليل من اختصاص الفقهاء الذين وصلوا لمرتبة الاجتهاد.

• من أهم الأساليب في تثقيف الجند هو هيكلة التخطيط العسكري عند النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وفق قواعد لتسهيل حفظها.

• أزمة الجهاد الخاطئ عند بعض المسلمين هي أزمة فكرية عقدية مستوردة من أعداء الله تعالى والإنسانية.

• استمرار الدراسات العسكرية في منهج النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

• التوازن في الجهاد بين مساره العقدي والمسار الفقهي من أهم العوامل في تصيير الجهاد في مساره الصحيح.

• تحويل الخلاف بين الفرق الإسلامية من خلاف عقدي إلى خلاف فقهي مما يؤدي إلى توجيه دفّة الجهاد من قتال المسلمين فيما بينهم على جهاد الكافرين.

• مَنْ لم يعرف ماضي الأُمّة في حروبها فليس له نصر في مستقبلها.

• الموازنة بين أقسام الجهاد في سبيل الله في التخطيط الاستراتيجي من أهم الأسباب الاستباقية لتحقيق النصر.

• العمل على إنشاء كليات عسكرية متخصّصة بالتخطيط الاستراتيجي العسكري.

• متابعة انعقاد المؤتمرات والندوات العلمية في دراسة التخطيط الاستراتيجي العسكريّ.

ملحق رقم ١
الجدول الرقمي التقريبيّ
لغزوات النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وسراياه

أ- الجدول الرقمي التقريبيّ لغزوات النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم:

النتائج التقريبية الهامة للبحث في الغزوات		
١	جميع أعداد الغزوات للنبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم	٢٧
٢	الوقت الزمني المستغرق لجميع الغزوات بالسنين الهجرية	سبع سنوات وخمسة أشهر
٣	أول غزوة بدأت في حياة المسلمين	الشهر الثاني من السنة الثانية للهجرة
٤	أكثر السنوات التي حدثت فيها الغزوات	السنة الثانية للهجرة
٥	أكثر الشهور التي حدثت فيها الغزوات من خلال جميع السنوات	شوال وتكررت الغزوات فيه سبع مرات
٦	معدل حدوث الغزوات خلال الأيام	غزوة واحدة كل ٩٧ يوماً
٧	عدد الحالات الشخصية التقريبية المشاركة لجميع الغزوات	٨١٣٦٩

٨	عدد الحالات الشخصية المشاركة لجميع جيوش المشركين	٧٧٨٨٨
٩	أقصى مسافة وصلت إليها الغزوات كخط نظر	٥٩٢كم دومة الجندل
١٠	المسافة الإجمالية التي مشتها الغزوات بالبعد عن المسجد النبوي	١٠٣٥٩كم
١١	تعداد شهداء المسلمين	١٣٤
١٢	تعداد قتلى المشركين	٢١٢
١٣	مجموع القتلى من المسلمين والمشركين	٣٤٦
١٤	عدد المرات التي انتصر فيها المسلمون على المشركين	١٩
١٥	عدد المرات التي غلب فيها المشركون المسلمين	١
١٦	عدد المرات التي حصل التعادل بين الجانبين	٧
١٧	عدد المرات التي حصلت فيها المواجهة القتالية	١١
١٨	عدد الغزوات ذات الهدف لردّ كيد جموع المشركين	٢٤
١٩	عدد الغزوات التي يشترك فيها الهدف الاقتصادي مع الدعوي	٣
٢٠	عدد الغزوات التي تراوح أفرادها بين ١ إلى ٥٠٠	١٣
٢١	عدد الغزوات التي تراوح أفرادها من ٥٠٠ إلى ١٠٠٠	٦
٢٢	عدد الغزوات التي زاد عدد أفرادها عن ١٠٠٠	٨

❊ ❊ ❊

ب - الجدول الرقمي التقريبيّ لسرايا النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم:

رقم النتيجة	النتائج الهامة للبحث في السرايا	
١	جميع أعداد السرايا للنبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم	٧٠
٢	الوقت الزمني المستغرق لجميع السرايا بالسنين الهجرية	تسع سنوات وخمسة أشهر
٣	أول سرية بدأت في حياة المسلمين	في شهر رمضان بعد وصول النبي صلى الله عليه وسلم المدينة بسبعة أشهر
٤	أكثر السنوات التي حدثت فيها السرايا	السنة الثامنة للهجرة وفيها ١٨ سرية
٥	أكثر الشهور التي حدثت فيها السرايا من خلال جميع السنوات	رمضان
٦	معدل حدوث السرايا خلال الأيام	سرية واحدة كل ٤٧ يوماً
٧	عدد السرايا البرية	٦٩
٨	عدد السرايا البحرية	١
٩	عدد القادة الذين شاركوا في قيادة هذه السرايا	٤٧
١٠	أكثر الصحابة رضوان الله عليهم في قيادة السرايا	زيد بن حارثة، ثم خالد بن الوليد رضي الله عنهما

١١	عدد السرايا التي كانت في قلب العدوّ وأرضه	١٩
١٢	عدد السرايا التي كانت في قلب العدوّ وأرضه وحقّقت هدفها	١٢
١٣	عدد السرايا التي كانت في قلب العدوّ وأرضه ولم تحقّق أهدافها	٧
١٤	أكثر الصحابة رضوان الله عليهم في قيادة السرايا التي كانت في قلب العدوّ وأرضه	محمد بن مَسْلمة رضي الله عنه
١٥	عدد السرايا التي قادها أبو بكر الصديق رضي الله عنه	١
١٦	عدد السرايا التي قادها عمر بن الخطاب رضي الله عنه	١
١٧	عدد السرايا التي قادها علي بن أبي طالب رضي الله عنه	٣
١٨	عدد السرايا التي قادها عثمان بن عفان رضي الله عنه	غير معروف
١٩	عدد السرايا التي تدخلت العناية الإلهية المحضة في نجاتها	٢ جاء سيل فمنع وصول المشركين إليهم(سريتان)
٢٠	عدد الحالات الشخصية المشاركة لجميع السرايا	٢١٣٠٧
٢١	عدد الحالات الشخصية المشاركة لجميع جيوش المشركين بما فيهم الروم	٢٢٢٢٥٨
٢٢	عدد الحالات الشخصية المشاركة لمشركي العرب	١٢٢٢٥٨
٢٣	أقصى مسافة وصلت إليها السرايا	١٢٢٠كم وهي سرية علي بن أبي طالب إلى بلاد مَذْحِج

٢٤	المسافة الإجمالية التي مشتها السرايا بالبعد عن المسجد النبوي	٥٥٧٤٩كم
٢٥	المساحة الإجمالية التي دخلت في الإسلام	٣،٢٣٧،٥٠٠ كم^2
٢٦	المساحة الإجمالية التي غطتها السرايا	١،٠١٣،٠٧٦ كم^2
٢٧	النسبة الإجمالية التقريبية للفتح بواسطة السرايا على الفتح السلمي	الثلث إلى الثلثين٢/ ٣
٢٨	عدد السرايا باتجاه شمال المسجد النبوي	٣٩
٢٩	عدد السرايا باتجاه جنوب المسجد النبوي	٣١
٣٠	تعداد شهداء المسلمين بما فيهم القتل الخطأ	٢٩٥
٣١	تعداد قتلى المشركين	٥٤٥
٣٢	مجموع القتلى من المسلمين والمشركين	٨٤٠
٣٣	عدد المرات التي انتصر فيها المسلمون على المشركين	٥١
٣٤	عدد المرات التي غلب فيها المشركون المسلمين	٧
٣٥	عدد المرات التي حصل التعادل بين الجانبين	١٢
٣٦	عدد المرات التي حصلت فيها المواجهة القتالية	٣١
٣٧	عدد السرايا ذات الهدف الشخصي لرد كيد مشرك واحد	٩
٣٨	عدد السرايا ذات الهدف لرد كيد جموع المشركين	٣٢
٣٩	عدد السرايا التي يغلب عليها الهدف الدعوي	١٨
٤٠	عدد السرايا التي يغلب عليها الهدف الاقتصادي	٧

٤١	عدد السرايا التي يغلب عليها الهدف الاستطلاعي والتمويه العسكري	٤
٤٢	عدد السرايا التي تراوح أفرادها بين ١ و١٠	١٥
٤٣	عدد السرايا التي تراوح أفرادها بين ١٠ و١٠٠	٣١
٤٤	عدد السرايا التي تراوح أفرادها بين ١٠٠ و٥٠٠	١٩
٤٥	عدد السرايا التي تراوح أفرادها بين٥٠٠ و١٠٠٠	١
٤٦	عدد السرايا التي تراوح أفرادها بين١٠٠٠ و٤٠٠٠	٤
٤٧	عدد السرايا التي يزيد فيها عدد المسلمين على المشركين	[بسبب هروب المشركين وعدم المواجهة فلا يذكر لهم عدد] ٥١
٤٨	عدد السرايا التي يزيد فيها عدد المشركين على المسلمين	١٩

❊ ❊ ❊

ملحق رقم ٢

بعض الصور التفصيلية لمواقع أهم غزوات النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم:

غزوة بدر

غزوة أحد

جبل أحد
جبل أحد
مكان انسحاب النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة بعد انتهاء المعركة
الشمال
قبر حمزة رضي الله عنه
مركز قيادة النبي صلى الله عليه وسلم (المسجد)
جبل الرماة
مسار خالد بن الوليد
مكان استشهاد حمزة رضي الله عنه
احداثيات موقع غزوة أحد

غزوة الخندق

ميدان معركة أحد
احداثيات بداية لخندق
بداية الخندق (أطما الشيخين) شارع الملك فهد
الخندق
احداثيات نهاية لخندق
مسجد الراية على جبل ذباب
المساجد السبعة على سفح جبل سلع
نهاية الخندق (أطم المزاد) على امتداد شارع سكة الحديد
البقيع
المسجد النبوي

غزوة فتح مكة
مسجد الفتح في الجموم

وعنده كان معسكر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ليلة الفتح في وادي مرّ الظهران

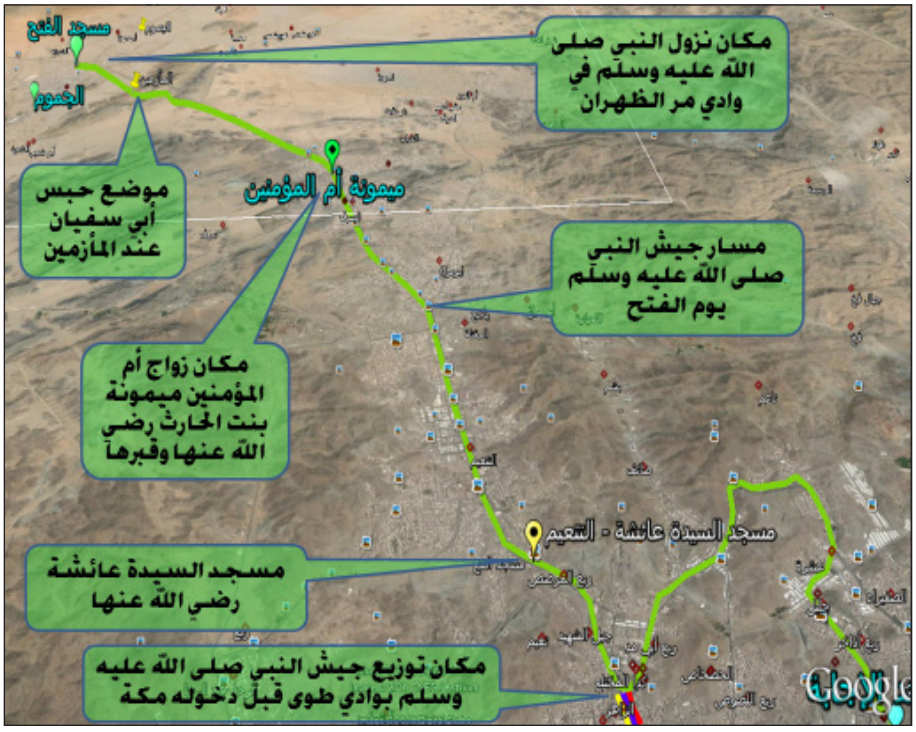

مسار جيش النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم للدخول إلى مكة المكرمة

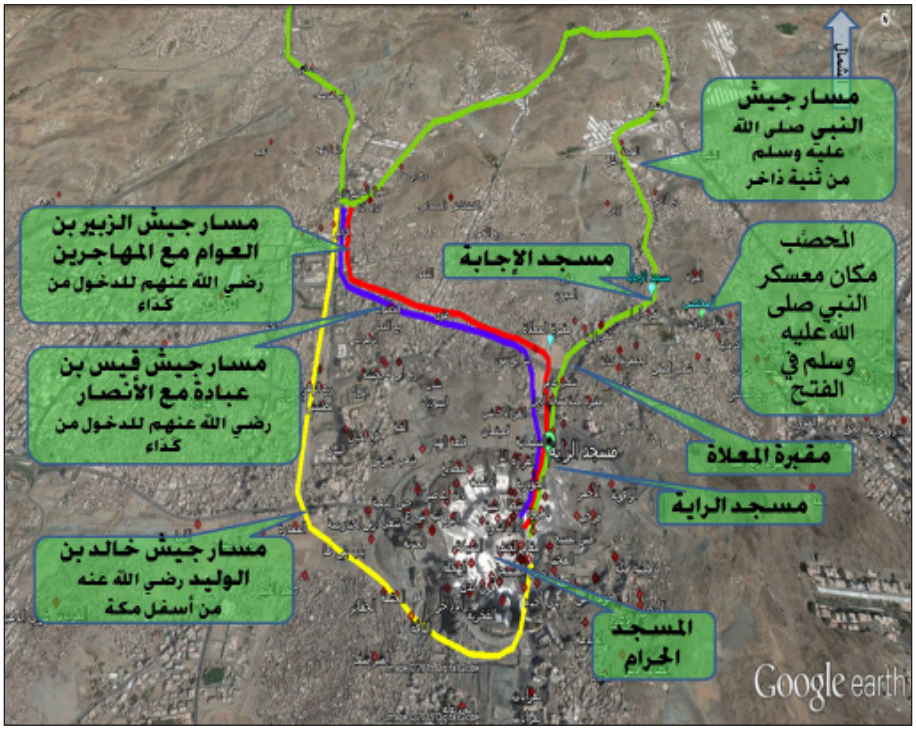

غزوة فتح خيبر

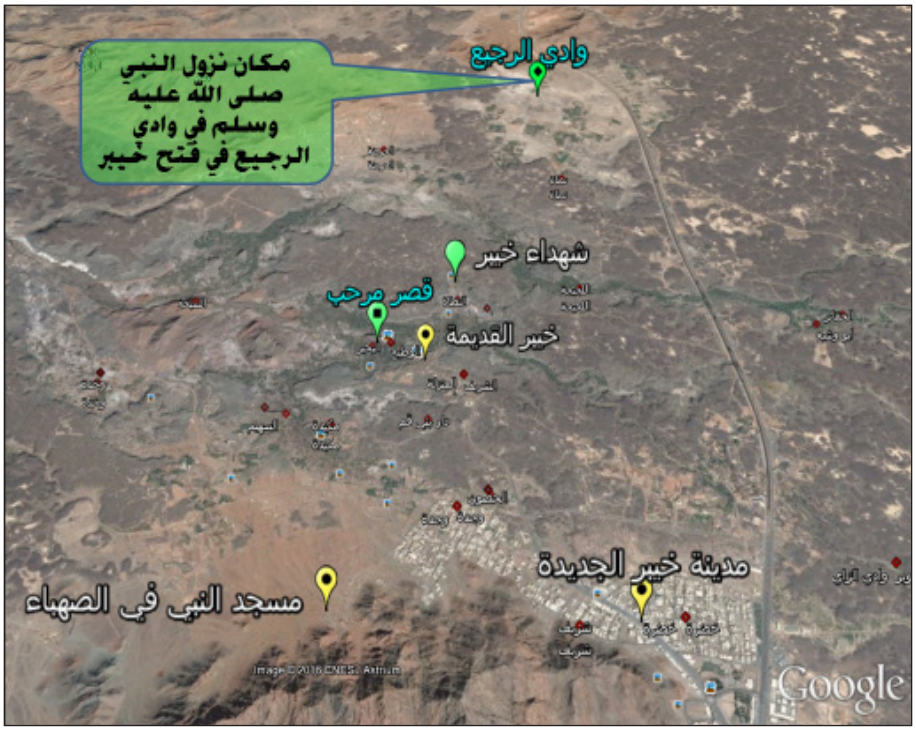

غزوة الطائف

مقبرة عبد الله بن عباس رضي الله عنه
مسجد ابن عباس مكان معسكر جيش النبي صلى الله عليه وسلم في حصار الطائف
مسجد عداس
مسجد الكوع
مكان حصن ثقيف الذي حاصره النبي صلى الله عليه وسلم

مواقع غزوات النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم
مرتبة حسب التسلسل الزمني

تتمة مواقع غزوات النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم
مرتبة حسب التسلسل الزمني

مواقع سرايا النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم
مرتبة حسب التسلسل الزمني

تتمة مواقع سرايا النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم
مرتبة حسب التسلسل الزمني

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المصادر والمراجع[١]

١ـ أحكام الجهاد، عبد العزيز، العز بن عبد السلام، تحقيق نزيه حماد، دار الوفاء، جدة.
٢ـ الأحكام السلطانية، علي بن محمد الماوردي، دار الكتب العلمية.
٣ـ الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
٤ـ الأذكار النووية أو (حلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات والأذكار المستحبة في الليل والنهار)، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، المحقق: محيي الدين مستو، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.
٥ـ إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٢٣هـ.
٦ـ أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، المحقق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ١٤١١هـ.
٧ـ الاستذكار، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت.
٨ ـ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر

(١) ملحظ بعض المراجع هنا لا تتوافق مع المصدر المُحال في داخل البحث، لوجود أكثر من طبعة مستخدمة في هذا البحث من المكتبة الشاملة وغيرها.

الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٩ـ البلدان، المؤلف: أحمد بن إسحاق (أبو يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ.

١٠ـ تاريخ خليفة بن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري (المتوفى: ٢٤٠هـ)، المحقق: د. أكرم ضياء العمري، الناشر: دار القلم، مؤسسة الرسالة ـ دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٧هـ.

١١ـ تفسير البغوي (معالم التنزيل في تفسير القرآن)، محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ١٤٢٠هـ.

١٢ـ تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن)، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

١٣ـ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، مؤسسة القرطبة.

١٤ـ الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، صهيب عبد الجبار، تاريخ النشر: ٢٠١٤م [الكتاب غير مطبوع كما ذكر في المكتبة الشاملة].

١٥ـ الحِرَف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم، د. عبد العزيز بن إبراهيم العمري، دار إشبيليا، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

١٦ـ خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني السمهودي (المتوفى: ٩١١هـ)، دراسة وتحقيق: د. محمد الأمين محمد محمود أحمد الجكني.

١٧ـ الروض المربع شرح زاد المستقنع في اختصار المقنع، منصور بن يوسف البهوتي، تحقيق سعيد محمد اللحام، المكتبة التجارية مكة المكرمة.

١٨ـ سنن ابن ماجه، ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.

١٩ـ سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، المحقق: شعَيب الأرنؤوط، محَمَّد كامِل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.

٢٠ـ سنن الترمذي (الجامع الكبير) محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، سنة ١٩٩٨م.

٢١ـ السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٢٢ـ السيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون)، علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج، نور الدين بن برهان الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٧هـ.

٢٣ـ السِّيرةُ النّبوية ـ عرضُ وقائع وَتحليل أحدَاث، المؤلف: عَلي محمد محمد الصَّلَّابي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٢٤ـ السيرة النبوية، تأليف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ.

٢٥ـ السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، صحّحه وعلّق عليه: الحافظ السيد عزيز بك وجماعة من العلماء، الناشر: الكتب الثقافية ـ بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٧هـ.

٢٦ـ السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، المؤلف: أحمد أحمد غلوش، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م.

٢٧ـ الشرح الكبير للدردير، أحمد بن محمد بن أحمد العدوي، أبو البركات الشهير بالدردير، دار إحياء الكتب العربية.

٢٨ـ شرح صحيح مسلم (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج)، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.

٢٩ـ شُعَب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، حققه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، الدار السلفية ببومباي، الهند.

٣٠ـ صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تأليف: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٣١ـ صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وسننه وأيامه)، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٣٢ـ صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم)، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار الجيل، بيرت.

٣٣ـ صيد الذاكرة الباصرة من آثار الوطن الحبيب: قائمة أو داثرة، د. تنضيب الفايدي، الطبعة: السابعة، ١٤٢٩ هـ ـ ٢٠٠٨ م.

٣٤ـ الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد، المحقق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٦٨م.

٣٥ـ عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد ابن حسين العينتابي الحنفي بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٦ـ عمل اليوم والليلة سلوك النبي مع ربه عزّ وجلّ ومعاشرته مع العباد، أحمد بن محمد ابن إسحاق بن إبراهيم بن أسباط بن عبد الله بن إبراهيم بن بُدَيْح، الدِّيْنَوَرِيُّ، المعروف بـ «ابن السُّنِّي»، المحقق: كوثر البرني، دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن، جدة ـ بيروت.

٣٧ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقَم كُتُبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩م.

٣٨ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف الحدادي ثم المناوي القاهري، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

٣٩ـ كشف المشكل من حديث الصحيحين، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: علي حسين البواب، الناشر: دار الوطن ـ الرياض.

٤٠ـ المبدع في شرح المقنع، إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن مفلح الحنبلي أبو إسحاق، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٠هـ.

٤١ـ اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٤٢ـ المستدرك على الصحيحين، تأليف: محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

٤٣ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المحقق: شعيب الأرنؤوط ـ عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

٤٤ـ المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، محمد بن محمد حسن شُرَّاب، الناشر: دار القلم، الدار الشامية، دمشق ـ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ.

٤٥ـ معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥م.

٤٦ـ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٣هـ.

٤٧ـ المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين، الناشر: المكتبة التوفيقية، القاهرة ـ مصر.

٤٨ـ موطأ الإمام مالك، تأليف: مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، مصر.

٤٩ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين، الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر.

٥٠ـ النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري بن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ـ محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

❊ ❊ ❊

فهرس الأماكن الجغرافية

أُبنى: ٢٢٥، ٢٧٩.
الأبواء أو ودان: ٢٧٨.
أحد: ٢٢٨، ٢٤٥، ٢٤٨، ٢٥٠، ٢٥٤، ٢٦٢، ٢٩٠، ٣١٣، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٨، ٣٧٠.
الأراك: ٣٢٦، ٣٢٧.
إيلياء: ١٢٧.
بدر: ٢٧، ٣٠، ٤٦، ٦٥، ١٠٧، ١٠٨، ١١٢، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٤١، ١٦١، ١٦٢، ١٦٧، ١٧٢، ١٩٠، ٢٢٥، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٤، ٢٣٧، ٢٤٤، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٦٣، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٦، ٢٧٨، ٢٨٦، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٤، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٨، ٣٢٣، ٣٣٢، ٣٣٧، ٣٦٩.
بطن إضم: ٢٠٣، ٢٧٩، ٣٠٩.
البلقاء: ٢٢١، ٣٤٠.
بنو المصطلق: ٢٧، ٧٣، ٧٤، ١٨٣، ١٨٤، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٧٠، ٣٣٣.
بنو النَّضِير: ١٠٠، ١٠١.
بنو جَذِيمة: ٥٨.
بنو زُرَيق: ١٥٦.
بنو قريظة: ٢٤٢.
بنو كلاب (الهامش): ٩٦، ١٥٣.
بنو لحيان: ٤٩، ٣١٠.
بني المُلَوِّح (الكديد): ٣٤٤
بني كلاب: ٩٦.
بئر مَعُونة: ٩٩.
تبوك: ٢٦، ٨٣، ٢٠٣، ٢٢١، ٢٢٧، ٢٥٤، ٢٥٧، ٢٦٢، ٢٧٨، ٢٨٢، ٢٩٢، ٣٠٩، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٨، ٣٤٠.
ثنية الوداع: ١٥٥، ٢٦٥.
جبل سلع: ٢٤٢.
جبل سلع (الهامش): ٢٤٢.
جَبَلَا طيِّء: ٢٥٧.
جُرَش: ٢١٨، ٢١٩.
الجعرانة: ٦٣، ١٥١، ١٥٢، ٢٥٩.
الحُدَيْبِيَة: ٦٠، ٧٧، ٨٤، ١٠٨، ١١٥، ٢٨٩، ٢٩٧، ٣٢١، ٣٣٣.

الحُرَقات أو الحُرَقة: ١٦٠.
الحفياء: ١٥٥، ٢٦٥.
حمراء الأسد: ٢٣٦، ٢٩٠، ٣١٣، ٣٣٦.
حمص: ١٢٧.
حنين: ٢٧. ٦٣، ٦٧، ١٣٧، ١٤٢، ١٤٤، ١٦٥، ١٧٧، ١٧٨، ٢١٠، ٢٨٧، ٢٩٦، ٣٣٥.
الحيرة: ٣٥١، ٣٥٢.
خَطْم الجبَلِ (المأزمين): ٢٤٨، ٣٢٩.
الخندق: ٢٧، ٩٩، ١١٣، ١٧١، ١٩٤، ٢٤٨، ٢٥١، ٢٨٨، ٣١٣، ٣٣٥، ٣٤٠، ٣٥٨، ٣٧١.
خيبر: ٢٦، ٢٧، ٧٢، ١٠٤، ١٢٢، ١٥٣، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٩، ٣١١، ٣١٦، ٣١٨، ٣١٩، ٣٧٤.
دُومَة الجَنْدَل: ١٣٢، ١٣٣، ٣٦٤.
ذو الحليفة: ٣٣٣.
ذو الخَلَصَة: ٢١٢.
ذو القَصَّة: ٢٠١.
ذو خُشُب: ٢٦، ٣٠٩.
ذو قَرَدٍ: ٩١.
ذي المروة: ٣٠٩.
الرَّجِيع: ٤٩، ١٢٣، ٣١٨.
الروحاء: ٢٩٠، ٣٣٧.
روضة خاخ: ٢٣٦.
الزاوية: ٤٨.
سَرِف: ١٧٦.
سَمَرْقَنْدُ: ٥٧.
الشِّعب في جبل أُحُد: ١١٤، ١٧٥.
الشوط: ١١٣.
الطائف: ٢٧، ٦٢، ٦٣، ١٠٤، ١١٥، ١٥١، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٦، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٩، ٢٧٨، ٣٤٦، ٣٧٥.
عُسفان: ٤٩، ٥٠، ١٠٩، ١٢٣، ٢٩٧، ٣١٠، ٣٣٤، ٣٤٤.
عسقلان: ٣٧.
العشيرة: ٢٧٨.
العِيْص: ٣٢٢.
عين تبوك: ٢٥٤.
عَيْنين: ١١١.
غدير الأشطاط: ١٠٩، ٢٩٧.
غطفان: ٩٢، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٤٢، ٣١٨، ٣١٩.
الغميم: ٥٠، ٢٩٧، ٢٩٨، ٣٣٤.
فدك: ١٢٢.
قُدَيد: ١٨٤، ١٩٩، ٢٢١.

القُرَطاء: ٩٣، ٩٤، ٩٦.
قرية الشعيبة (الهامش): ١٤٩.
قَناةٍ: ٩٩، ١١١، ١١٣، ١٢٥، ٣٠٩.
مرّ الظَّهْرانِ (الجموم): ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٤٢، ٣٧٣.
مكة: ١٠، ٢٧، ٤٩، ٥٠، ٥٨، ٦٣، ٧٧، ٩٤، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٧، ١٢٣، ١٣٥، ١٤٩، ١٥٤، ١٦٢، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٩٩، ٢٠٤، ٢١٠، ٢١٢، ٢٢٦، ٢٢٨، ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٤٨، ٢٥٩، ٢٧٤، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٩، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٩٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٣، ٣١٥، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٣٣، ٣٣٥، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٦، ٣٧٢.
مؤتة: ١٢٠، ١٣٩، ٢٢٥، ٣٤١.
نجْد: ٧٢، ٩٣، ٩٩، ١٥٣، ٣١٨.
نَخْلَة: ١٠٣، ١٤٦، ٢٢٦، ٣٠٠، ٣٤٧.
نخلة (الهامش): ٢٢٦، ٣٤٦.
وادي الرَّجيع: ٣١٨.
وادي بواط: ٢٧٨.
وادي عرنة: ٢٢٦.
اليرموك: ٢٩، ٢٦٣.
اليمامة: ٩٥.

❊ ❊ ❊

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٩
تعريف التخطيط الاستراتيجي والفرق بين الغزوة والسرية	٢٤
أهمية التعرّف على مواقع الغزوات وأزمنتها في التخطيط الاستراتيجي	٢٥
أقسام الجهاد في سبيل الله في التخطيط الاستراتيجي	٢٨
فضل الجهاد والرباط وفضل الشهادة في سبيل الله	٣٨
البعد الروحي في التعرّف على شخصية النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ العسكرية	٤٣
منطلقات التخطيط الاستراتيجي في قيادة النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ العسكرية	٥١
الفصل الأول: منطلق التعامل مع غير المسلمين في الحرب	٥٣
١ ـ الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة	٥٥
٢ ـ الدعوة قبل التحام السِّنَان	٥٨
٣ ـ لغة التأثير في العدو	٦٠
٤ ـ كسب العدو بالطرائق الودية	٦٢
٥ ـ رعاية أسرى الحرب	٦٤
٦ ـ وفاء النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لأعدائه	٦٧
٧ ـ إعلام العدوّ بالحرب عند نقض العهد	٧٠

الموضوع **الصفحة**

٨ـ العفو والصفح والسماحة مع المغلوب ٧٢
٩ـ منع التمثيل بجثث الأعداء أو تعذيب جرحاهم ٧٥
١٠ـ حرمة الاعتداء على الأعداء بغير حق ٧٧
١١ـ النهي عن قتل غير المقاتلين ٧٩
١٢ـ الوفاء بتأمين المحاربين والمُسْتَأْمَنِين ٨٠
١٣ـ الاستجابة للسلم، والتمسك بالثوابت ٨٤
١٤ـ قبول جوار غير المسلم ٨٧
١٥ـ حرمة الغدر بالكافر بعد إعطائه الأمان ٨٩
١٦ـ الرفق بالعدو إنْ حصلت النِّكاية بما يردُّه عن كيده ٩١
١٧ـ عرض الإسلام العملي على الأسير ٩٣
١٨ـ رعاية حق الرَّحِم ٩٦
١٩ـ تعويض الخطأ في دماء المشركين في الحرب ٩٨
٢٠ـ حرمة الاعتداء على البيئة في الحرب بغير حق ١٠٢
الفصل الثاني: منطلق المجلس العسكري ١٠٥
٢١ـ الشورى ١٠٧
٢٢ـ رسم الخطة الحربية ١١١
٢٣ـ الجمع بين العبقرية العسكرية والسياسة الحربية ١١٥
٢٤ـ تعزيز القيم الحضارية ١١٧
٢٥ـ اختيار القادة ١١٩
٢٦ـ لغة المحبة بين القائد وجنده ١٢٣

الموضوع **الصفحة**

٢٧ ـ بين المركزية وعدم المركزية في القيادة العسكرية ١٣٢
٢٨ ـ صلاحية ولي الأمر في الأسرى ١٣٤
٢٩ ـ السمو الأخلاقي مع الجند ١٣٦
٣٠ ـ العناية بأُسرِ الشهداء ١٣٨
٣١ ـ رعاية الحالة النفسية عند الجنود ١٤١
٣٢ ـ المكافأة المادية للجند ١٤٤
٣٣ ـ المكافأة المعنوية للجند ١٤٦
٣٤ ـ وجوب طاعة القائد ١٤٩
٣٥ ـ تعويض الحقوق المعنوية للجند ١٥١
٣٦ ـ الاهتمام بفكّ أسرى المسلمين ١٥٣
٣٧ ـ التربية البدنية للجنود ١٥٥
٣٨ ـ تأمين رسل العدوّ ١٥٧
٣٩ ـ الموازنة بين المرونة والحزم ١٥٨
٤٠ ـ العدل بين جند المسلمين ١٦١
الفصل الثالث: منطلق التربية الأخلاقية في الحرب ١٦٣
٤١ ـ تحديد المنطلق إلى الله تعالى ١٦٥
٤٢ ـ التعبئة الإيمانية ١٧١
٤٣ ـ شجاعة القائد وأثرها في توجيه الجند ١٧٣
٤٤ ـ استنهاض الهمم وجمع الشمل ١٧٧
٤٥ ـ الانتصار على الهزيمة وتحريم الفرار ١٨٠

الموضوع **الصفحة**

٤٦ ـ تعزيز الولاء للدّين وسرعة حلّ الخلافات الداخلية ١٨٣

٤٧ ـ التربية الروحية والأخلاقية للجنود..... ١٨٩

٤٨ ـ جهاد النساء والكهول والصبيان ١٩٣

٤٩ ـ التماس الرخص..... ١٩٨

٥٠ ـ الصبر ٢٠٠

٥١ ـ التحرّي في دماء المسلمين عند اختلاطهم بأهل الكفر..... ٢٠٣

٥٢ ـ الخطأ في دماء المسلمين في الحرب ٢٠٦

٥٣ ـ الإخلاص لله تعالى ٢٠٨

٥٤ ـ الشكر لله تعالى واليقين بنصره..... ٢١٠

٥٥ ـ معالجة حالات الضعف في الجُنْد..... ٢١٢

الفصل الرابع: منطلق الاستعداد العسكري..... ٢١٥

٥٦ ـ الإعداد المادي الشامل..... ٢١٧

٥٧ ـ المبادرة بغزو العدو إن همَّ بالحرب ٢٢٠

٥٨ ـ التخذيل بين الأعداء ٢٢٢

٥٩ ـ التجسّس على الأعداء..... ٢٢٤

٦٠ ـ أفضل الجهات في الحرب ٢٢٧

٦١ ـ المعرفة التامّة بعتاد العدوّ وعُدَّته ومكانه ٢٣٠

٦٢ ـ استغلال الظروف الجوية..... ٢٣٣

٦٣ ـ السرية التامّة في التخطيط العسكري..... ٢٣٥

٦٤ ـ تحضير فِرَقِ الإنقاذ والفرق الطبية ٢٣٨

الموضوع **الصفحة**

٦٥ ـ تأمين الجبهات الداخلية ٢٤١
٦٦ ـ هيكلة الجيش ٢٤٣
٦٧ ـ تحصين الجند ٢٤٧
٦٨ ـ اختبار كفاءة الجند ٢٥٠
٦٩ ـ تفقد الموارد الطبيعية ٢٥٢
٧٠ ـ تحسّس الأحوال الجوية والاستعداد لكوارثها ٢٥٦
٧١ ـ اتخاذ المُساندين في أرض المشركين ٢٥٨
٧٢ ـ لزوم تضافر جميع أنواع الجهاد ٢٦٠
٧٣ ـ العدد الأكمل في تعداد الجيش ٢٦٢
٧٤ ـ تعليم الجند الفنون الحربية ٢٦٥
٧٥ ـ تصنيع الأجهزة الحربية وإتقان صناعتها ٢٦٧
٧٦ ـ الدعاية الحربية ٢٧٠
٧٧ ـ الإعلام الحربي ٢٧٣
٧٨ ـ رفع الكفاءة الحربية ٢٧٧
٧٩ ـ استراتيجية الإنفاق في المؤسسة العسكرية ٢٨٠
٨٠ ـ تعريب الأجهزة الحربية والاستقلال الحربي بجميع أشكاله ٢٨٣
٨١ ـ تضافر العلوم الكونية مع العلوم العسكرية ٢٨٨
٨٢ ـ استراتيجية الاستثمار في المؤسسة العسكرية، والمحافظة على أموالها ٢٩٠
٨٣ ـ تعلم العلوم الشرعية، والحفاظ على الكفاءات العلمية ٢٩٤
٨٤ ـ دعم المؤسسة العَسْكَرِيَّة بالعلوم النفسية ٢٩٦

الموضوع **الصفحة**

٨٥ـ حماية الحدود وتحصينها **٣٠١**

الفصل الخامس: منطلق الخطط العسكرية **٣٠٥**

٨٦ـ الجاهزية القتالية..... **٣٠٧**

٨٧ـ التورية المكانية..... **٣٠٨**

٨٨ـ اختيار المواقيت الزمانية..... **٣١١**

٨٩ـ اختيار المواقع الاستراتيجية **٣١٣**

٩٠ـ استخدام عنصري المفاجأة والمداهمة في الحرب..... **٣١٥**

٩١ـ قطع الإمداد عن الأعداء..... **٣١٨**

٩٢ـ حرب العصابات في أرض الأعداء **٣٢٠**

٩٣ـ الترشيد في استخدام الأسلحة..... **٣٢٣**

٩٤ـ السياسة الحربية في إدخال الرهبة والخوف في قلب العدوّ **٣٢٥**

٩٥ـ تجنب المواجهة القتالية **٣٣٢**

٩٦ـ مواجهة المواقف الصعبة بالتدابير المناسبة لها..... **٣٣٥**

٩٧ـ نقل الحرب إلى أرض العدو **٣٣٩**

٩٨ـ تبييت الغارات **٣٤٢**

٩٩ـ المراسلات في المهمات العسكرية **٣٤٥**

١٠٠ـ توحيد صفوف المسلمين..... **٣٤٨**

الفصل السادس: التخطيط العسكري المستقبلي **٣٤٩**

المحور الأول: وضع تصور عن آلية تحقيق المنظور العسكري في التخطيط المستقبلي **٣٥٣**

أولاً: آلية تحقيق التخطيط المستقبلي العسكري **٣٥٣**

الموضوع **الصفحة**

ثانياً: الهيكلة التنظيمية للمؤسسات العسكرية ٣٥٥
ثالثاً: آلية استمرار التخطيط العسكري..... ٣٥٧
المحور الثاني: بيان سمات التخطيط العسكري المستقبلي ٣٦٠
الخاتمة ٣٦٩
النتائج والتوصيات..... ٣٧٣
ملحق ١ الجدول الرقمي التقريبي لغزوات النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وسراياه ... ٣٧٥
ملحق ٢ بعض الصور التفصيلية لمواقع أهم غزوات النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم .. ٣٨١
المصادر والمراجع..... ٣٩٣
فهرس الأماكن الجغرافية ٣٩٩
الفهرس..... ٤٠٣

❊ ❊ ❊

أهم الأعمال العلمية للمؤلف
(بعضها مطبوع والآخر منشور إلكترونياً)

١. أثر التخطيط المستقبلي في دعوة غير المسلمين للإسلام في ضوء السنة النبوية. طباعة دار السلام، مصر.

٢. أثر الفقه في الحديث الشريف. طباعة دار البشائر، دمشق.

٣. الاختصاص الزماني والمكاني في النظام الجنائي الإسلامي وفي قانون دولة الإمارات. جامعة الشارقة ٢٠٠٨م.

٤. الاختصاص القضائي المكاني. جامعة الشارقة، ٢٠٠٦م، منشور إلكترونياً.

٥. أخلاق المسلم في خطاب المتعلم.

٦. الأربعون المختارة في الفلك.

٧. أساليب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في التعليم.

٨. استدراكات على الموسوعة الفقهية الكويتية.

٩. استدراكات على بعض البحوث المقدمة للمؤتمر العالمي لإثبات الشهور القمرية عند علماء الشريعة والحساب الفلكي.

١٠. اسم الله العدل، قراءة في فكر سعيد النورسي.

١١. الأطلس الجغرافي الإلكتروني لسرايا النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم مع الربط بالمواقع والصور، طباعة دار أحب أن أتعلم، جدة.

١٢. الأنوار في الحوار. جامعة الشارقة، ٢٠٠٧م.

١٣. بوستر الأطلس الجغرافي الإلكتروني لسرايا النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم مع الربط بالمواقع والصور، طباعة دار أحب أن أتعلم، جدة.

١٤. بوستر مصور غزوات النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وطريق الهجرة. طباعة دار أحب أن أتعلم، جدة.

١٥. تحقيق قسم من مخطوطة «الإعلام بفوائد عمدة الأحكام» لابن الملقن، منشور إلكترونياً.

١٦. التزام التاجر. مطبوع بمؤسسة التزام للمعايير الأخلاقية، ٢٠٠٨م، دبي ـ الإمارات.

١٧. حرمة تثبيت الوقت بين المغرب والعشاء.

١٨. حسن اختيار الزوجين وأثره في الحد من حالات الطلاق. دار الرسالة ناشرون ـ بيروت.

١٩. دخول وقت الظهر بالزوال الشرعي.

٢٠. الدكتور نور الدين عتر وجهوده المبذولة في خدمة الحديث الشريف. جامعة الشارقة، ٢٠٠٥م، مطبوع في مجلة الشارقة.

٢١. دور المناظير الفلكية في رؤية الأهلّة الشرعية. جامعة الشارقة.

٢٢. دور علماء المسلمين في تطوير المعايير الفلكية لدورتي الشمس والقمر. جامعة الشارقة.

٢٣. الرؤية الحرجة في ثبوت الأهلة بين الحكم الفقهي والمنظور الفلكي.

٢٤. القوانين الزمانية والمكانية لدفع الزكاة. مجلة أبحاث الاقتصاد – جدة.

٢٥. مدى الاعتماد على الحسابات الفلكية لدخول الأهلة الشرعية. طباعة دار السلام، مصر.

٢٦. مصور غزوات النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وطريق الهجرة. طباعة دار أحب أن أتعلم، جدة.

٢٧. المعالم التاريخية للمسجد النبوي والحجرات الشريفة.

٢٨. المعايير الفقهية والفلكية في إعداد التقاويم الهجرية. مطبوع بدار البشائر، بيروت – لبنان.

٢٩. المعايير الفقهية والفلكية لدخول وقتي الظهر والعصر. طباعة دار البشائر، دمشق.

٣٠. المواقيت الزمانية والمكانية للحج والعمرة وزيارة المدينة المنورة دراسة فقهية مقارنة.

٣١. مواقيت العبادات الزمانية والمكانية. (دراسة فقهية مقارنة)، وهو موضوع رسالة الدكتوراه، مطبوع في دار الرسالة ناشرون ـ بيروت.

٣٢. Expeditions led by Prophet Muhammad Peace be upon Him and His Family.

❊ ❊ ❊